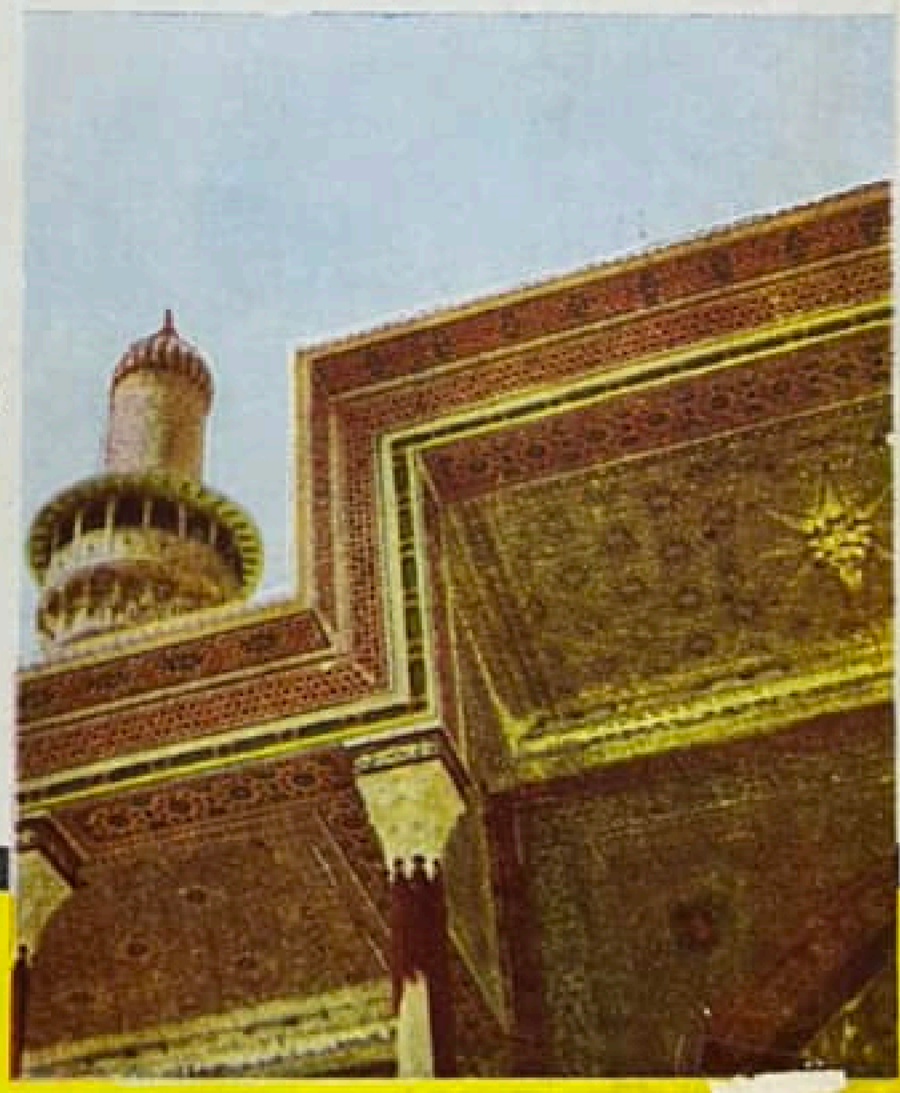
دوحة الوزراء

في تاريخ وقائع بغداد الزوراء



تأليف :

الشيخ رسول الكركوكلي

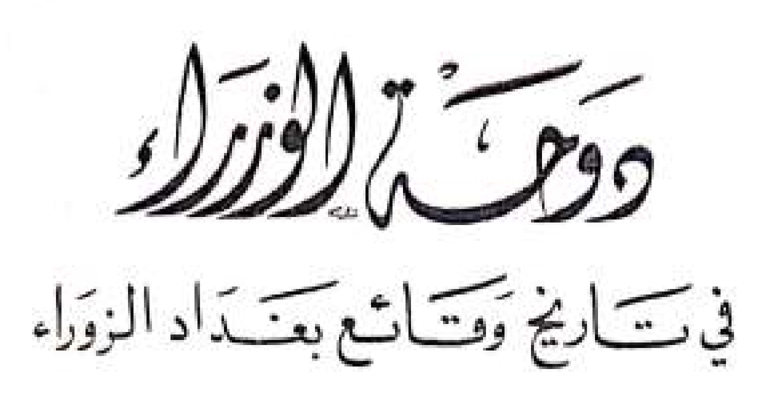
نقله عن التركية :

موسى كاظم نورس

دار الكاتب العربي . بيروت

مكتبة النهضة . بغداد

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books



دوحة الوزراء

في تاريخ وقائع بغداد الزوراء

تاليف : الشيخ رسول الكركوكلي

نقله عن التركية

موسى كاظم نورس

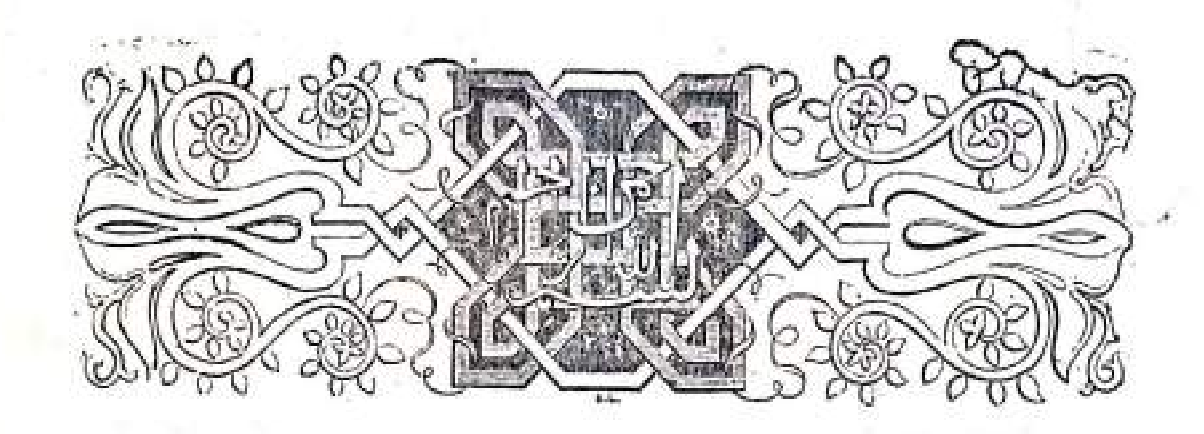
عضو جمعية المؤلفين والكتاب

Kamaran Kurdewar

دار الكاتب العربي - بيروت

مكتبة النهضة - بغداد





مقدمة المترجم

« قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » .

وبعد فقد حبّب اليّ تعريب هذا الكتاب المسمى « دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء » لما فيه من فوائد وفرائد ، ولانه مرجع من مراجع التاريخ لا يستغني عنه الباحثون والمؤرخون عسى ان اكون بعملي هذا قد ساهمت ولو بجزء يسير في خدمة ابناء وطني العزيز .

تناول هذا الكتاب الحالات الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في العراق وايران وتركيا والحوادث التي وقعت في هذه البلاد خلال سني ١١٣٢ — ١٢٣٧ هـ ، وقد اعتبره المؤلف ذيلاً لكتاب مطبوع بالتركية يسمى (كلشن خلفا) لمؤلفه نظمي زاده مرتضى افندي .

وقد قمت بتعريبه عن النسخة الخطية الموجودة في مكتبة المتحف العراقي قسم المخطوطات في المدرسة المستنصرية برقم ١٥٩٦ .

وهذه النسخة منقولة طبق الاصل عن النسخة الخطية بخط المؤلف والتي كانت بحوزة المرحوم العلامة محمود شكري الالوسي . يقول المرحوم الأب انستاس ماري الكرملي في تعليقه الخطي على هذه النسخة الخطية ما نصه :

« قال الاب انستاس ماري الكرملي مستنسخ هذا الكتاب ، نقلت هذه النسخة عن السفر الذي خط على نسخة المؤلف وكانت محفوظة عند حضرة الشيخ الجليل محمود شكري الآلوسي فأعارني اياها على ما عهد فيه من حب العلم ونشر اعمال السلف ومؤلفاتهم . وكانت هذه النسخة الآلوسية بحجم هذه ، ولهذا اخترت لها ورقاً بقدر ورقها ، وعدد سطورها كعدد هذه ، وكذلك قل عن عدد الصفحات ، ولله الحمد اولاً وآخراً . »

وعدا هذه المخطوطة توجد نسخة مطبوعة في دار طباعة دار السلام بغداد سنة ١٢٤٦ ه (١٨٣٠) م. باشراف محمد باقر التفليس ، وهي النسخة الوحيدة المتباقية المطبوعة لهذا الكتاب ، وكان محتفظاً بها البحاثة يعقوب سركيس ، والآن محفوظة في جامعة الحكمة ببغداد ، وقد قابلتها مع النسخة الخطية هذه فلم اجد فرقاً او اختلافاً بين النسختين .

لقد بدأ المؤلف كتابه بمقدمة طويلة افتتحها بالتضرع الى الباري تعالى أن يوفقه لتأليف الكتاب امتثالاً للأمر الصادر اليه بذلك ، وأطنب بهــا في سرد الجهود التي بذلها في جمع المعلومات الصحيحة من مصادرها ، كما وأطنب في مدح السلطان العثماني ووزرائه وحكامه وولاة بغداد كعادة المؤلفين في ذلك العهد . وقد شحنها بالزخرفة اللفظية والمحسنات البديعية حتى لتكاد تخرج عن كونها مقدمة لكتاب تاريخي .

ان اسم الكتاب يبعث على الاعتقاد بأن الحوادث التاريخية التي يسردها انما

تقتصر على بغداد وما جاورها فقط ، بينما الامر خلاف ذلك اذ تناولت تلك الحوادث والوقائع تركيا والعراق وايران والافغان والهند واذربايجان وبعض البلاد العربية الاخرى ، هذا وان القارىء اللبيب يستطيع ان يستنبط من الحوادث المذكورة ما كان عليه الناس عهدئذ من عادات واخلاق وحالات اجتماعية وسياسية ليتوصل الى معرفة ما بلغته امم تلك البلاد من التطور الفكري والعقلي والحضارة في العصر الحاضر .

ويلاحظ من هذا الكتاب ان الثورات كانت كثيرة الوقوع سواء في الشمال أم في الجنوب ، في الشرق ام في الغرب من العراق ، وكان اهتمام الحكام منصباً ومقتصراً على قمع تلك الثورات بالقوة دون معالجة الأسباب والعلل والبواعث .

ولعل اكثر هذه الثورات كان بسبب سوء ادارة الحكام ، ثم تليها جسامة الضرائب والرسوم المفروضة عليهم والتي ينوء بها كاهلهم .

ومن الغريب ان العشائر والقبائل عندما يعجزون عن دفع الضريبة تعتبرهم الحكومة متمردين وتوجه اليهم الحملات العسكرية لمعاقبتهم ، فتقوم تلك الحملات بتشريدهم من ديارهم وتستولي فيما تستولي على مواشيهم وتعتبرها من الغنائم الحربية ، ولما كان مدار معيشة اولئك العشائر على هذه المواشي فانهم بطبيعة الحال يلجأون الى قطع الطرق والسلب والنهب لكي يعيشوا .

أما اهل الشمال فلما كانت بلادهم متاخمة لبلاد ايران فانهم يلجأون الى تلك الدولة اضطراراً وتخلصاً من عنت الحكام وجورهم وإلحاحهم في طلب الخراج والضرائب ، ولذلك تراهم عندما تعفو الحكومة عنهم يسارعون في العودة الى ديارهم ووطنهم وهم اشد حنيناً وشوقاً اليه واكثر اخلاصاً وحماساً له .

وقد أحدث حكام ذلك العهد بهذه التصرفات فجوة عميقة بين الحكومة والشعب امتدت اثارها الى زماننا هذا ، اذ كان الافراد والجماعات ينفرون من رؤية الموظف العمومي ويعتبرونه من ألد اعدائهم ولا يترددون في الفتك به ان

وجدوا الى ذلك سبيلا، كأن لم يكن من ابنائهم وكأن لم يكن منهم واليهم.

يضاف الى ما تقدم ان بعض الحكومات الاجنبية كانت تحاول أو تطمع في لاستيلاء على العراق، ولما كانت الدولة العثمانية في شبه غفوة او غيبوبة حينذاك، فان الحكومات الطامعة لم تدخر وسعاً في بث الفتن والاضطرابات والقلاقل والحزازات الطائفية والعنصرية بين سكانه، كل ذلك في سبيل اقلاق راحة الدولة العثمانية واشغالها في اخمادالفتن والثورات وزعزعة حكمها وايجاد الثغرات للدخول في صفوفها.

ولعل للدولة العثمانية ايضاً عذرها في هذا التقصير والاهمال وعدم معالجتها الامور والاوضاع معالجة ضرورية وذلك بتعديل انظمتها التي تطرق اليها الوهن على الاقل، غير انها لم تفعل شيئاً من ذلك بسبب انشغالها بالحروب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مع الدول الاوروبية وغيرها، ولهذا تراها تسارع الى قبول الصلح مع الشاه الايراني الذي كان يشن على حدودها الغارات، بأي ثمن كان لكي تتفرغ الى معالجة الميادين الواسعة الاخرى التي هي بنظرها أهم من العراق، ولولا ذلك لاستطاعت ان تحتل ايران بكل سهولة بعد مقتل نادر شاه.

كما وان الشاه نفسه كان كثير الحذر والخوف على بلاده من الفتن والثورات الداخلية التي كانت تنتشر وتتسع في بلاده عند غيابه عنها لأوهى الاسباب، فكان يكتفي بدغدغة احمد باشا الوزير المسؤول عن منطقة العراق ثم يعود ادراجه مسرعاً نحو بلاده، وكذلك فعل الذين اتوا من بعده مع الولاة العثمانيين، ومما يدلك على خوف الشاه عندما يغادر مقر حكمه، محاولة المستميتة للتوفيق بين الطائفتين الشيعة والسنة في المؤتمرين اللذين عقدهما في صحراء (صفان) وفي النجف الاشرف.

فبعد الحروب الضارية والخسائر الجسيمة والهجمات المتوالية التي كاد ان يستولي بها على العراق بأجمعه، وافق على الصلح بدون قيد او شرط بعد المؤتمر

الثاني وعاد مسرعاً الى بلاده وكأن لم يكن قتال وكأن لم تقع خسائر .

لقد كانت مطامع الاجانب لا تقتصر على العراق فحسب ، بل وعلى البلاد الايرانية ايضاً ، يدلك على ذلك انتهازهم الفرص للايقاع بين الدولتين الايرانية والعثمانية واستمرار كيدهم ودسائسهم على اثر انعقاد الصلح بينهما ، ذلك الصلح الذي انتهى بقتل نادر شاه وانتشار الفوضى والاضطرابات في البلاد التي كانت تحت حكمه ، مما ستجده مفصلاً في محله في هذا الكتاب .

هذا واذا كان الشيخ معروف شيخ عشائر المنتفق قد حاول ان يكون ملكاً على العرب بثوراته المتكررة على الحكومة العثمانية وبتصريحاته بذلك عندما اقترب بعشائره من الحلة ، فان مـــا قام به الشيخ المومأ اليه يعد اول محاولة لعرب العراق في سبيل استرداد حريتهم واول حركة يقومون بها لتشكيل حكومة وطنية مستقلة لهم في العراق .

ان المؤلف رحمه الله قد دون كتابه هذا بلغة لا هي عربية ولا هي تركية ولا هي فارسية ، وانما هو خليط عجيب من اللغات الثلاث ، وقد صرح بذلك في مقدمته بقوله : « وزراي عالبشانك » (يقصد ولاة العراق لأنهم كانوا برتبة وزير) انتصاب وانفصاللري ، مدت حكومتاري ايله ايا ملرنده تكوّن ايدن وقائع واحواللري تواريخي وصله وصله ، بعضاً عربي العبـــارة وبعضاً فارسي وتركي اللهجة ... ».

وكثيراً ما يخرج بأسلوبه من الاسلوب التاريخي الى الاسلوب الادبي السائد حينذاك ، بالاضافة الى وضعه بعض العبـــارات العربية او الفارسية في غير مواضعها ، ولهذا يصعب على من لم يتقن اللغات الثلاث ان يترجم هذا الكتاب الذي اتعبني كثيراً ، ولقد استنجدت بالذاكرة في حل بعض معاني العبارات المبهمة والألفاظ الغريبة ، حيث عادت بي الى ايام التحصيل في المدارس العثمانية فكانت لي خير معين على تذكر معاني تلك الألفاظ من تركية وفارسية .

ومهما يكن من امر فقد بذلت جهداً غير يسير حتى ذللت الصعاب وتغلبت

على العقبات وتمكنت من جعل الترجمة طبق الاصل ، واتيت ببعض العبارات العربية او التركية التي استعملها المؤلف بالنص لطرافتها وللتدليل على ان للرجل معرفة باللغة العربية غير قليلة ، وهو فوق هذا وذاك اديب وشاعر وكاتب قدير وله باللغات الثلاث أبيات وقصائد بعضها يتجاوز المائة بيت نثرها في كتابه .

يقول عبد القادر الخطيبي الشهرباني في صفحة ٢٥ من كتابه « تذكرة الشعراء او شعراء بغداد وكتابها في ايام وزارة المرحوم داود باشا والي بغداد» ما نصه : « ان حاوي رسول افندي (مؤلف دوحة الوزراء) نجل منلا يعقوب الماهوني اصلاً والكركوكلي وطناً هو شقيق ثابت خضر افندي واكبر منه سناً وكان منشئاً (ناثراً) وشاعراً ، هاجر من كركوك الى بغداد سنة ١٢٢٠ هـ في وزارة علي باشا وكان كاتباً بالمصرفخانة وكان معجباً بنفسه» ، وتوفي سنة ١٢٤٢ هـ».

وانا لا اميل الى القول بأن المؤلف رحمه الله كان معجباً بنفسه ، لأن اثاره تدل على انه كان من اكابر الكتاب والأدباء الفضلاء في ذلك الوقت ، ولعله كان ممن ينطبق عليه قول القاضي الجرجاني :

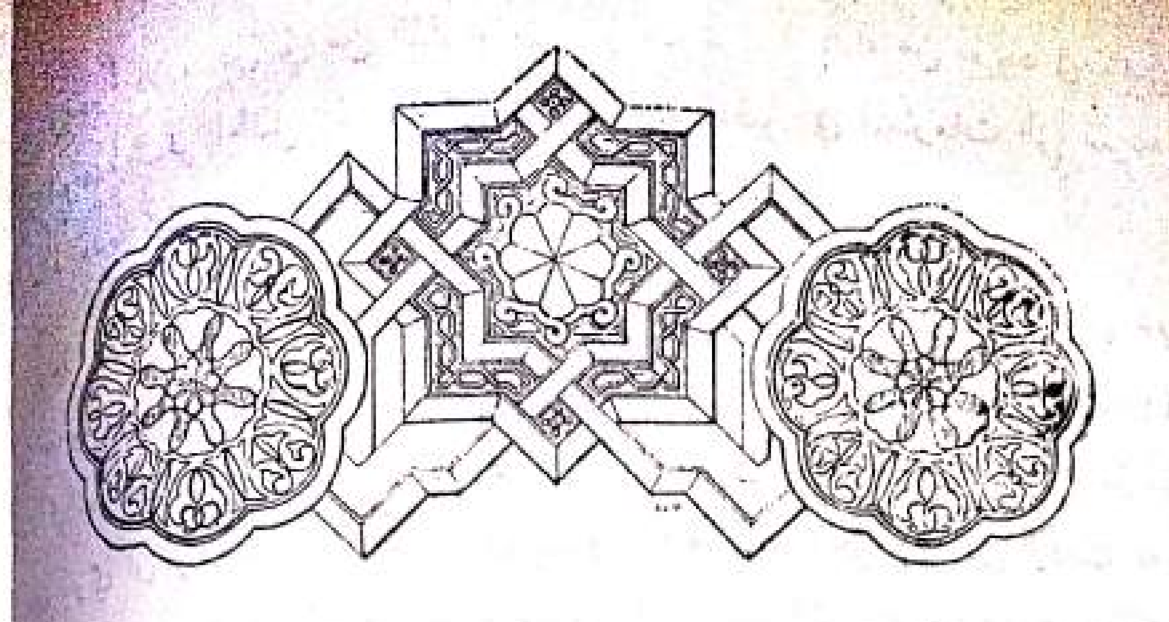
يقولون لي فيك انقباض وانما	رأوا رجلاً عن موقف الذل احجما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما	بدا طمع صيّرته لي سلما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً	من الذل أعتدّ الصيانة مغنما
اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى	ولكن نفس الحر تحتمل الظما

هذا وقد اعرضت صفحاً عن الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية التي يميل المؤلف الى استعمالها كثيراً وتستغرق منه جهداً وتملأ من كتابه عدة صفحات لا سيما عندما يريد مدح الحكام والأمراء وبعض الشخصيات ، او عندما يريد ان يطنب في وصف حادثة من الحوادث ، فقد تجنبتها وتجنبت بعض ما ليس في ترجمته من فائدة ، وفعلت ذلك لدفع ملل القارىء من الاطالة فيما لا طائل تحته .

واخيراً فلا مناص لي من الثنـاء على المؤلف لمـــا بذله من جهود في سبيل اخراج هذا السفر الجليل الى حيز الوجود ، وله الفضل في المعلومات التي سردها بأمانة بعدما تجشم الصعاب واستقاها وجمعها من مصادرها .

هذا وبما تجدر الاشارة اليه ان المؤلف لم يتطرق الى حوادث السنين ٧٢ و ٧٣ و ١١٧٤ ، وكذلك السنين من ٧٩ الى ١١٨١، ومن ١١٨٣ الى ١١٨٥ وذكر حوادث السنين من ١١٨٦ الى ١١٩٢ جملة واحدة، كما ويظهر ان المؤلف كان ينوي ان يردف كتابه بمجلد ثان يتناول فيه سرد الحوادث التي وقعت بعد سنة ١٢٣٧ هـ. إلا ان المنية عاجلته وتوفى الى رحمة الله سنة ١٢٤٠ هـ. فكان كتابه هذا هو المجلد الاول والأخير .

موسى كاظم نورس



مقدمة المؤلف

اعنّي اللهم على اداء هذه المهمة ، ويسر لي انجازها وانعم عليّ بباقات من ازهار فيض احسانك .

لقد امرني من لا يرد له امر بتأليف هذا الكتاب [1] ليكون تكملة وذيلاً لكتاب (كلشن خلفا) فسهل لي يا رب تلبية هذا الامر كما سهلت على صاحب روضات الجنان العالم العبقري المرحوم نظمي زاده مرتضى افندي، مبتدأ بذكر غصن الشجرة الاموية فاتح همدان وأحد الوزراء العظام حسن باشا عليه الرحمة والرضوان ، مع سرد ما قام به سلاطين آل عثمان (انار الله براهينهم الى آخر الزمان) من اعمال جسام واثار عظام وما فعله الوزراء الذين تقلدوا ازمة الامور في دار الخلافة بغداد من خدمات جليلة ومن شجاعة وقوة شكيمة في مقارعة طغيان الاعاجم والوقوف دون تقدمهم واعتداءاتهم ، وما وقع من احداث وتقلبات في ايامهم مع ذكر صفاتهم واخلاقهم وتواريخ تعيينهم ووفاتهم

١) يقصد الوالي داود باشا

او عزلهم وانفصالهم مقتدياً باسلوب صاحب كتاب كلشن خلفا وبلغة جزلة العبارات يفوح منهـــا مسك البيان وعنبر البلاغة بمـــا تضمنته من استعارات واشارات يطرب لها الفصحاء وأولي الابصار من مشاهير البلغاء .

اما ما يتعلق بالحوادث التي جرت في ايام المرحوم حسن باشا ، ولا سيما تلك التي وقعت سنة احدى وثلاثين ومائة والف هجرية (على هاجرها الف تحية) فانها مع الاسف تكاد تكون مطموسة المعالم ومجهوله الحقائق ولم اتمكن من العثور على تفاصيلها ووقائعها بصورة دقيقة وواضحة بالرغم من الجهود التي بذلتهـــا في البحث عنها .

ولذلك سأتناول سرد الحوادث والوقـــائع من سنة ١١٣٢ هـ مع ذكر تواريخ تعيين وانفصال الولاة العظام الذين تولوا الحكم في بغداد الزوراء ومدة حكم كل واحد منهم ومـــا حدث من الوقائع في ايامهم شيئاً فشيئاً وبصورة مفصلة (بعضاً عربي العبارة وبعضاً فارسي وتركي اللهجة) مستعيناً بما عثرت عليه من النسخ لدى بعض الشخصيات التي يعتمد عليهـــا وتلك التي تناولت بالبحث وقائع الوزراء لمدة سنتين او ثلاث وبعضها لمدة عشرين او اربعين سنة ولم اكتف بذلك بل رحت ابحث في السجلات الرسمية واقابلها معهـــا واستطعت تحري الاخبار التي يركن الى صحتها من أفواه الاشخاص الذين واكبوا اصحابها من الوزراء الذين لم يتيسر لهم تدوين ما قاموا به من اعمال لسبب مشاغلهم ، وقد رتبتها بحسب وقائعها بعد التثبت منها .

اما مـــا يخص وقـائع سنة ١٢٣٢ هـ على عهد حكم والي بغداد والبصرة وشهرزور داود باشا الذي بلغ منزلة من الرفعة والسمو لم يبلغها سواه (وهنـا اطنب المؤلف وبالغ في مدح هذا الوالي نظمـــاً ونثراً) فقد تناولتها ولم ازل اتناولها بالتفصيل والتعليل متدرجاً بالأهم فالأهم ، وقد يسر الله لي ان اتناول هذه الحوادث كما اسلفت ابتداءً منذ زمن اواخر ايام المرحوم حسن باشا ورتبت هذه الحوادث على نسق كتاب كلشن خلفا .

وقد ورد في الاثر : اذا اراد الله امراً هيأ اسبابه . وقد تهيأت لي بحمد الله هذه الاسباب برغم عجزي وتقصيري ، واستطعت ان اكون عند حسن ظن الذي دعاني لهذه الخدمة التي قاسيت من جراء تحري المعلومات والموارد وتحقيقها والتأكد من صحتها من الاتعاب والارهاق ما الله به عليم ، وقد اسميته دوحة الوزراء ومن الله التوفيق والاعتصام [1] .

---

١) لقد افتتح المؤلف هذه المقدمة بالدعاء واختتمها ايضاً بالدعاء في الابيات الآتية :

اثا رمى بي زلك بقا ايله يا رب
كازا رمى بي آب وهوا ايله يا رب
ايندم هوسى غرسى درخت اثار
بودوحه مى بي برك نوا ايله يا رب



ذكر وقائع سنة ١١٣٢ هـ.
١٧١٩ م.

الاضطرابات والفتن في البلاد الايرانية

إن حوادث هذه السنة سبق أن ذكرت بصورة مفصلة في كتاب «مراد اللباب» وكذلك في كتاب «حديقة الزوراء» تأليف فريد العصر والزمان وسليل الدوحة العباسية المرحوم الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الشهير بالسويدي، عليهم الرحمة، فان كتابه باللغة العربية قد تناول كل ما وقع له مع الوزير احمد باشا.

اما حوادث سنتي ١١٣٣ و ١١٣٤ فانها اشتملت على ما حدث من الفوضى والاضطرابات والفتن والثورات في البلاد الايرانية والافغانية ، وفي بلدة قندهار خصوصاً واصفهـان على الاخص ، وكذلك تناولت الاختلافات والمنازعات المذهبية التي خرجت بهم عن الطريقة السمحاء وادت الى ارتكاب المعاصي والشرور والتحلل من الاوامر والنواهي ، الامر الذي يعد من الامـارات الدالة على قرب اضمحلال وزوال الدولة الايرانية، ففي تلك الاثناء برز شخص مصلح في الافغان يسمى اويس الافغاني ، التف حوله جمع غفير هجم بهم على حاكم قندهار المسمى كركين خان وهو كرجي الاصل فقتله واستولى على الديار وراح يحكمها بمكانه ، ثم هجم على ما حوله من المدن واحتلها الواحدة تلو الاخرى بمـا اثار ارتياب الدولة العثمانية وشكوكها وحملها على مراقبة حركات الموما اليه واتجاهاته واتخاذ الحيطة والحذر منه ، وصدرت الاوامر الى والي بغداد حسن باشا بان يكون على اهبة الاستعداد وان يقوم بتجديد وتقوية الاسوار والحصون والخنادق .

ثم توفي أويس الافغـاني واخلفه مير محمود الذي هجم بعساكره على مدينة اصفهان فحاصرها ثم احتلها واخذ الشاه حسين اسيراً .

ولما رأى والي بغداد تقدم هذا الرجل في زحفه وما قام به من اعمال وجه اليه كتاباً يسبر به غوره ويستوضحه نواياه وما يقصده من هذه التحركات، فكان جواب المير محمود انـه رأى من واجبه الديني وحميته الاسلامية ان يطهر البلاد من الكفرة الفسقة الذين عـاثوا في الارض فساداً وانه على الشريعة الاسلامية السمحاء وليست له اطماع واغراض أخر ، كما وانـه من الموالين للدولة العثمانية ويستمد منها العون لشد ازره في سبيل المحافظة على شعائر الدين الاسلامي وازالة الكفر والفسوق من بين المسلمين .

وقد وجه هذه الرسالة التي اطنب بهـا في مدح الدولة العثمانية بيد سفيره الخاص المدعو محمد صادق خـان ، وهذا الاخير حث والي بغداد ورغبه في

مساعدة المير الموما اليه وتقويته ليتمكن من الاستيلاء على البلاد الايرانية كلها لتكون حليفة مخلصة للدولة العلية . وقد كتب الوالي بكل ذلك الى الجهات العليا في الاستانة لترى رأيها .

وفي سنة خمس وثلاثين ومائة والف اصدر مفتي الانام وشيخ الاسلام العارف بالله الشيخ عبد الله مفتي القسطنطينية فتوى بالجهاد وانقاذ البلاد الايرانية من الفوضى ومحاربة الروافض وازالة البدع منها وشد ازر المير محمود في جهاده ومناصرة اتباعه وعساكره .

وكانت خلاصة هذه الفتوى هي انه لما كان الروافض المقيمون في ايران منذ عهد اسماعيل الصفوي قد عاثوا في الارض الفساد واعلنوا سب الصحابة الكرام ابا بكر وعمر وعثمان وكفروهم كلهم باستثناء علي ، وقذفوا الصديقة عائشة وابتعثوا مذاهب الزنادقة ممن سبقوهم وتأولوا الآيات القرآنية بحسب ميولهم وقاموا بمقاتلة من ينتسب الى اهل السنة والجماعة واباحوا نساءهم وفعلوا غير ذلك من الاعمال المنكرة فان بلادهم تعتبر ديار حرب وتطبق عليهم احكام الشريعة فيما يختص بالمرتدين وتجب محاربتهم وتطهير البلاد منهم .

وقد استحصل شيخ الاسلام فتويين اخريين من علماء الدين بهذا الصدد ، وبناء على هذه الفتاوى والتعليمات التي وردت على الوزير والي بغداد فقد استعد الموما اليه للحرب والهجوم على البلاد الايرانية وسار بجيش جرار نحو بلدة كرمنشاه فاحتلها دون عناء لان امراءها ووجهاءها اعلنوا الاستسلام والخضوع وقدموا للوالي مفاتيح البلدة .

وبعد استتباب الأمن فيها اتجه نحو همدان واحتلها ايضاً كما واحتل ما يحيط بها من المدن وكذلك احتل لارستان وصاوق بولاق وامر جنوده بعدم التعرض للشيوخ والنساء والاطفال ولا للذين يظهرون الخضوع والطاعة والاستسلام متقيداً بالآية الكريمة (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) .

وقد شمل الجميع برعايته وحمايته قائلاً لهم ان اظهرتم الطاعة لله وللسلطان ونبذتم الكفر والفسوق والسب فان لكم ما لنا وعليكم ما علينا وان اموالكم واعراضكم وانفسكم في امن واطمئنان، والا فنحن بما لدينا من اوامر بادشاهية وجيوش جرارة قوية، سنحاربكم ونقضي عليكم كما لو كنتم كفاراً مشركين، فكان جوابهم الخضوع والامتثال والطاعة والاستسلام.

وقد اتى بالذين لا يركن اليهم ولا يؤمن جانبهم واسكنهم تحت الحراسة والمراقبة الشديدة حوالي بلدة كرمنشاه وكتب الى مير محمود الافغاني في اصفهان يعلمه بما فعل.

ثم حال الشتاء والامطار ووعورة الطرق واجتياز الجبال دون مواصلة الزحف والتقدم وظل بمكانه حتى انقضاء فصل الشتاء.

ولما حل فصل الربيع اختارت الدولة العليا الوزير الموقر حسن باشا للقيادة العامة على الجيوش الزاحفة نحو ايران وقد اوعزت الى المشير كوبرولو زاده عبد الله باشا ان يتخذ طريقه من وان بجيشه الزاحف نحو تبريز واذربايجان.

ولما وصل الوزير حسن باشا قرب كرمنشاه وضرب خيامه حواليها ما لبث قليلاً حتى وافته المنية، فقام امراء جيشه بتغسيله وتحنيطه وتكفينه وتجهيزه الى بغداد حيث دفن بجوار الامام أبي حنيفة، وكتبوا بذلك الى السلطان مرشحين ابنه للقيادة مكان ابيه الراحل فأجيب اقتراحهم، وفعلاً صدرت الاوامر بتعيين الوزير بن الوزير احمد باشا الذي كان في البصرة حينذاك قائداً عاماً ووالياً على بغداد.

وقد قيل في رثاء الراحل هذه الأبيات ننقلها نصاً:

وغيب منه في الثرى نيّر الهدى — فغارت ذكاء الدين وانكسف البدر
ومات الندى فلترثه ألسن الثنا — وليث الوغى فلتبكه البيض والسمر

وحق المعالي ان تشق جيوبها عليه وتنعاه المكارم والفخر
فلا تحسبن الدهر اهلك شخصه ولكنه في موته هلك الدهر

وقد حزن عليه أهل بغداد حزناً شديداً ، واقاموا له الفواتح والمآتم والتعازي في كل مكان لما للراحل من الفضائل والمناقب

ذكر مآثر واعمال الوزير بن الوزير احمد باشا

بالنظر لاخلاص الوزير وتفانيه في خدمة الدولة العلية ، فقد انعمت عليه بعدة اوسمة ووسعت رقعة حكمه بحيث تناولت ولاية قونية ، وحلب الشهباء ، والبصرة ، بالاضافة الى ولاية بغداد .

وعندما تلقى الفرمان بتعيينه والياً على بغداد وقائداً عاماً للجيش الزاحف على ايران ، اودع ادارة البصرة الى من يقوم بمكانه وهو عبد الرحمن باشا وتوجه الى بغداد ومنها الى كرمنشاه لتولي قيادة الجيش ولتنفيذ المهمة المنوطة به بدلاً من أبيه الراحل .

وحال اقترابه من كرمنشاه خرج امراء الجيش لاستقباله وقدموا له الطاعة والولاء ، وبعد استراحة قصيرة واصل سفره الى همدان واحاطت جنوده بقلعتها وضيقوا الخناق على حاميتها ، وبعد مناوشات وحروب تمكن من احتلالها . وتمكن من دحر الاعداء الذين اصطدم بهم .

وقد كانت تلفيات الاعداء حسب ما رواه الرواة الذين شهدوا الموقعة جسيمة جداً ، رغم كل ما كان لديهم من اموال وعتاد . ونظراً لما جبل عليه الوزير من السجايا الكريمة والخصال الحميدة ، فقد منحهم الامان ورفع عنهم السيف واعاد اليهم الاطمئنان ثم شرع بتعمير الامكنة التي دمرتها الحرب . وبعد استراحة قصيرة قام باحتلال ما جاور همدان من الامكنة والمدن مثل

سنقور ، وكرند ، وبروجرد ، ونهاوند ، وتوسركان ، والمواقع الاخرى استولى عليها ، بعضها عنوة وبعضها صلحاً .

وبالنظر لما وقع من الحوادث في اواخر سنة ١١٣٥ وانتقال حسين باشا الى دار البقاء ولنشوب ثوره محلية من قبل قسم من عشائر العراق ، فقد اقتضت المصلحة بالعودة الى بغداد فعاد .

غزوة بني جميل

عند وصول احمد باشا الى بغداد ، وقبل ان يأخذ قسطاً من الراحة توجه فوراً نحو عشيرة بني جميل وهجم عليهم . وبعد مناوشات واصطدامات تضعضعت صفوفهم ولم يتمكنوا من الصمود بوجهه ، ووقع بهم قتلاً واسراً وتشريداً وشتت شملهم ، واستولى على اموالهم وعاد الى بغداد . ولم يقع من الحوادث خلال السنتين ١١٣٦ و ١١٣٧ ما يستحق الذكر .

ذكر وقائع سنة ثمان وثلاثين ومائة والف
تجمع بعض العشائر في الكفل وتشتيتهم

اتفقت بعض العشائر في هذه السنة وتحالفت على الثورة وشق عصا الطاعة امثال عشائر شمر ، وبني لام ، وطوائف من عشائر مختلفة ، وراحوا يقطعون الطرق ويتعرضون بأهل المدن متخذين من بلدة الكفل مقراً لهم . فما كان من الوزير الا ان شمر عن ساعد الجد وسار بجيش جرار تحت جنح الظلام ووصل بالقرب منهم دون ان يشعروا به لانه قطع عنهم اخبار هذه الحملة التي باغتتهم واحاطت بهم من كل جانب ، فلم يروا الا والجنود تهجم عليهم وتسد امامهم نوافذ الهرب ، وكانوا ممن ينطبق عليهم قول الشاعر :

يا راقد الليل مسروراً بأوله ... ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

وقد اعتراهم الفزع والذهول من هول الصدمة وصاروا في بلبلة واضطراب وانقلبوا الى حال ينطبق عليها ما جاء في الآية الكريمة (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وفصيلته التي تؤويه ...) وتدافعوا ما بين فار على وجهه وبين قتيل معفر بالتراب ، واستولى الجيش على كل ما يملكون من سلاح ومال وحطام ، وبعد تشتيتهم عاد الى بغداد .

غير ان هؤلاء المتمردين حينما افاقوا من هول الصدمة لم يمنعهم ما حل بهم بل اخذوا يتجمعون ثانية ، واكثرهم من عشائر شمر . فلما علم الوزير بما اقدموا عليه جرد عليهم سرية من الجند باغتتهم وحاصرتهم ، ولكنهم قابلوا الحملة بالمثل وبعد قتال ومناوشات لاذوا بالفرار تاركين خلفهم اموالهم وعيالهم ، ثم عادت الحملة بعد استتباب الامن وابقاء فصيلة من الجند هناك لحفظ النظام وتعقب فلول المنهزمين الذين ركنوا اخيراً الى الاستسلام ، وتقدم رؤساؤهم طالبين العفو والصفح عما بدر ، وجرياً على قاعدة (عفى الله عما سلف) فقد صدر العفو عنهم وعادت الامور الى مجاريها الطبيعية .

ذكر وقائع سنة تسع وثلاثين ومائة والف

ترميم مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني

في هذه السنة جرى تعمير وترميم مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وبهذه المناسبة نظم امين الفتوى السيد عبد الله أفندي بيتين من الشعر مؤرخاً ذلك ، الاول قوله :

للمكافاة افصح التاريخ الجزاء بالجنات قصر وحور

والبيت الثاني قوله :

فارفع الكفين وادعُ قائلا تاريخها عمر اللهم ربي عمر احمد الحسن

سفر احمد باشا نحو ايران

بعد ما استتب الامن في ربوع العراق والبلاد التي تحت ادارة الوزير، تواردت الاخبار عن وفاة المير محمود بن ويس الافغاني، وتولى السلطة احد ابناء عمومته المدعو اشرف خان الذي اتخذ اصفهان عاصمة لملكه، وانه قد ركبه الغرور فأعلن الاستقلال والتمرد على الدولة العثمانية وبذلك تجددت الفتن والاضطرابات في انحاء ايران وفي المدن التي سبق ان ألحقت بالدولة العثمانية، ورأى الوزير ان الضرورة تقضي عليه بوجوب قمع هذه الفتن والضرب على ايدي المفسدين، فاستعد للسفر الى ايران بجيش جرار يزيد على ما كان عليه سابقاً. وبعد ورود الموافقة من السلطان العثماني غادر بغداد متجهاً نحو ايران. فلما سمع بذلك اشرف خان استعد لصد هذه الحملة، وجمع جيوشه واتباعه وتقدم لملاقاة الوزير في مكان يقع بين اصفهان وهمدان.

ولما تقارب الجيشان واتخذ كل منهما مواقع للقتال، التحما وهجم احدهما على الآخر فكانت حرباً ضروساً ابدى فيها العثمانيون من البسالة والشجاعة والاقدام ما ادهش الايرانيين الذين اصابهم الذعر والخور وزلزلت بهم الارض وتصدعت صفوفهم وولوا الادبار متجهين نحو اصفهان.

الا انه في هذه الاثناء حدث ما قلب حلاوة النصر الى مرارة، والفوز الى خسارة، ذلك ان عشائر الاكراد الذين كانوا يحاربون في صفوف الجيش العثماني قد انحازوا بدون سبب ظاهر وعادوا ادراجهم، وحذت حذوهم بعض العشائر والطوائف الاخر، وقسم من الجنود ايضاً.

فلما رأى الوزير ما حدث تعجب واستولى عليه الذهول واخذه الاندهاش، وتمنى الموت لما اصابه من خذلان، واضطر الى العودة الى كرمنشاه، وهناك عرض الحالة على الدولة العلية.

ولقد اخذ العقلاء واهل الرأي يضربون في هذه الفتنة اخماساً بأسداس،

محاولين تعليل ما حدث ، فمن قائل ان الاجانب بذلوا للاكراد رشوة حملتهم على الخيانة نكاية بالدولة العثمانية لمنع توسع رقعتها . ومن قائل ان لسحرة الافغان يداً في وقوع ما وقع ، ومهما يكن فقد اضطر الوزير الى المكوث والتحصن في كرمنشاه بانتظار تعليمات الجهة العليا .

ذكر وقائع سنة اربعين ومائة والف
ورود اوامر الدولة العلية بمواصلة القتال

بالنظر لورود الامدادات والتعليمات من الدولة العلية ، فقد قام الوزير بالاستعداد والتهيؤ للحرب . ثم غادر كرمنشاه متجهاً نحو اصفهان ، فلما رأى الايرانيون ان لا قبل لهم بمقابلة الجيوش التي يقودها الوزير ، جرت مشاورات ومراسلات كانت نتيجتها المصالحة والكف عن الحرب على ان تبقى كرمنشاه وهمدان وما يليها تحت ادارة الدولة العلية ، وان يبقى اشرف خان حاكماً على البلاد الايرانية وتابعاً لحماية الدولة العثمانية ، وقد تم الاتفاق على ذلك وانتهت الحرب وعاد الوزير الى بغداد .

ذكر وقائع سنة احدى واربعين ومائة والف
ورود هدايا من اشرف خان

في هذه السنة أرسل اشرف خان هدايا ثمينة الى الوزير ويلتمسه ان يقدمها بدوره الى السلطان ، وكان من جملة هذه الهدايا فيل كبير مزيّن بالاقمشة المرصعة بالاحجار الكريمة ، وقد خرج اهل بغداد للتفرج عليه .

ولما جيء به امام الوزير احنى رأسه ومد خرطومه بشكل يبعث على الاعجاب وذلك تحية للوزير . وقد سُيرت هذه الهدايا والفيل نحو القسطنطينية عن طريق ديار بكر . ولكن الفيل لم يصمد امام البرد القارص وهو الذي تربى وعاش في الهند ذلك البلد الحار ، وهلك هناك .

زواج خديجة خانم من محمد باشا الكتخدا

في هذه السنة جرى عقد نكاح الدرة المصونة اخت الوالي علي محمد باشا ، وبهذه المناسبة السعيدة اقيمت الافراح والمهرجانات بشكل لم يسبق له مثيل .

وفي هذه السنة ايضاً بدر بعض ما يدل على التمرد من عشائر الحويزة ، ولم تردعهم النصائح والارشادات فجرد عليهم حملة قوية سار بها نحوهم . ومن عناية الباري عز وجل ورعايته ، ان الحملة اثناء سيرها باتت في مكان تكثر فيه الافاعي بدرجة مهولة ومخيفة ، ولكنها لم تؤذ احداً من افراد الحملة . وعللوا ذلك بيمن طالع الوزير .

واذا السعادة لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن امان

ولما وصل الحويزة ورأى المتمردون وتوابعهم ان لا مناص لهم من الخضوع والتسليم طلبوا الامان وتعهدوا بدفع كل ما ترتب عليهم من رسوم وضرائب ، وقدموا الهدايا وبذلوا منتهى الكرم لضيافة الحملة . وعندئذ لم يشأ الوزير وهو المجبول على الرحمة والشفقة ، ان يأخذ البريء بالمذنب ، والمحسن بالمسيء ، وعفا عنهم بعدما صادر اسلحتهم ونصب عليهم الشخص المدعو محمد خان أميراً ، ثم لوى عنانه نحو بغداد .

وكذلك حدث في هذه السنة ان عصابة من العصاة وابناء العشائر اخذوا يقطعون الطرق ويتعرضون بالمارة يسلبون ويقتلون ، فتمكن منهم وجاء بهم واعدمهم علناً وانقذ الناس من شرورهم .

ذكر وقائع سنة اثنتين واربعين ومائة والف

هدوء الاحوال

لم يقع شيء يذكر خلال السنة ، وقد عم فيها الأمن والرخاء وتحسنت فيها الاحوال وانتشر العدل ، واظهر الوزير من الكرم ما لو شهده حاتم الطائي

لجمل وتضاءل ، وشمل عدله الصغير والكبير ، وكان من جراء حرصه على نشر الامن والطمأنينة ان اختفى الاجرام والمجرمون ، واتسعت امام النـاس سبل العيش الرغيد وراحوا ينعمون بالسعادة والهناء ، ولم يأل جهداً في تفقد شؤون البلد والاتصال بالعلماء والأمراء ومشاورتهم في كل صغيرة وكبيرة .

ذكر وقائع سنة ثلاثة واربعين ومائة والف

ظهور طهماسب شاه

في هذه السنة بينما كان الناس في دعة وراحة بال واطمئنان ، واذا بالاخبار تتوارد من ايران عن ظهور شخص يسمى طهماسب شاه ، محـاولاً استرداد مـا فقدته ايران من بلاد ، وقيامه بالهجوم على كرمنشاه وهمدان حيث حاصرهما بجنوده وحارب حاميتيهما ، وبعد مصادمات استولى عليهما .

ولما وردت اخبـــاره على الدولة العلية ، اصدر البادشاه اوامره الى الوزير بوجوب السفر فوراً لتأديب هذا العدو الغادر ودحره . وامتثالاً لهذه الاوامر سافر الوزير بمن معه من العشائر نحو ايران .

وما كاد يبلغ الحدود حتى وردت الاخبـار تنعي السلطـان العثماني وانتقاله الى دار البقاء ، وقيام السلطان بن السلطـان محمود خان بمكانه ، فاضطر الوزير الى التريث في شهرزور بانتظار التعليمات الجديدة ، وهذه عبارة المؤلف ندرجها بنصها الحرفي ، كنموذج للانشاء في ذلك الوقت :

« بادشاه غفران مقر وشهريار فردوس مستقر خديو خلد اشيـــان وداور جنت مكان السلطان ابن السلطان السلطان محمود خان صبت عليه شآبيب الرحمة والرضوان واسكن بجبوحة الفراديس والجنـان حضرتلرينك تخت عالي بخت مملكت وشهرياري وسرير لازم التوقير سلطنت وتاجـــداري اوزره جلوس همايونلري وقوع وتصادف ايلديكندن اولدقلري منزلده مكث وتوقف ودوباره امره انتظار وترقب ايلمـلري بابنده وزير شار اليهنه فرمان بادشاهر شرفسرسان

ساحة ورود اولوب امتثالاً للامر العـــالي شهرزورده نصب خيام ارام وقرار وتكرار صدور فرمان بادشاهيه ترقب وانتظار ايلديلر ».

ذكر وقائع سنة اربعة واربعين وماثة والف
هجوم الوزير على إيران وتقدمه حتى همدان واندحار طهماسب

مكث الوزير المشار اليه على الحدود في منطقة شهرزور حوالي الثلاثة أشهر وردت بعدها التعليمات القاضية بوجوب متابعة السفر نحو ايران .

فتوجه حتى وصل اطراف كرمنشاه ، ولمـا علمت حامية كرمنشاه بتقدم الوزير وجيشه المنصور ورأوا ان من العبث مقاومته وصده ، ارسلوا اليه من يعلمه بالاستسلام وبطلب الامان ، فوافق الوزير ودخل البلدة دخول الفاتحين حيث اراح فيها جنده بضعة ايام ثم تابع تقدمه نحو همدان حتى اذا مـــا قاربها وجد العصاة قد تحصنوا في قلعتها بشكل يفوق ما فعلوه في المرة الاولى ، وقد ملئت بالعساكر والذخائر وأصروا على الحرب .

كما وان الشاه طهماسب كان قد عسكر في مكان يبعد ثلاثة فراسخ عن القلعة وراح يحرض الاكراد على التمرد ويستميلهم بشتى المغريات لينحازوا الى جانبه فاتبعه منهم خلق كبير . وقد رأى الوزير ان يبدأ بالقلعة اولاً ، فحاصرهـا واحاط بها من كل جانب ليمنع الهروب منهـا او جلب الامدادات اليها ، ولما فعل ذلك توجه لمقابلة شاه طهماسب ، والتحم الجيشان في حرب ضروس ، وبعد هجمات صادقة وضرب يشيب له الوليد ، تزعزع جيش الشاه ثم ولى الادبار نحو قزوين و كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة .

وبعد هذه الهزيمة المنكرة ، اعلن قسم من اتبـاع محمد بلوج خان انحيازهم الى جانب الجيش العثماني واستعدادهم لمناصرته ، وكانت نتيجة هذه المعركة ثلاثمائة شهيد وخمسمائة جريح . اما الاعداء فقد خسروا حوالي العشرين الفاً بين قتيل

وجريح واسير ، وكانت الغنائم ٣٢ قطعة مدفع من مدافع الهاون ، وعدد لا يحصى من العتاد والبنادق والخيم والذخائر .

وبعد انتهاء المعركة لوى الجيش عنانه نحو قلعة همدان وعسكر حواليها واخذ يصليها ناراً حامية من مدافعه باستمرار ، فما كان من حماتها الا ان اخذوا يتسللون منها افراداً وجماعات لاجئين الى الجيش ، ثم استسلموا جميعاً وأعلنوا الخضوع وتم فتح القلعة والاستيلاء عليها وعلى ما فيها من ذخائر وأسلحة ومغانم ، ثم اتخذت قصراً ومعسكراً ، وأقيمت الصلاة في مسجدها وارتفعت الاكف بالدعاء للبادشاه العثماني ، ومن هناك كتب الوزير الى الدولة العلية يعلمها بتفاصيل ما حدث ، فأرسل اليه الخليفة خلعة ووساماً وهدايا ثمينة ورسالة خاصة يشكره فيها على جهوده ، وقد حمل كل ذلك عبدي باشا زاده عطا بيك وسلمها الى الوزير باحتفال مهيب تقديراً لبسالته وخدماته .

وقد تناولت هذه الرسالة او الفرمان الاشادة بالاعمال التي قام بها الوزير وتناولت ايضاً مدح بعض الوزراء والامراء الآخرين مثل مصطفى باشا ، وحسين باشا ، والمرميران قر مرعش ابرهيم باشا ، ومتصرف كنغري سليم باشا ، ومتصرف الموصل السابق عبد الجليل باشا زاده ، حسين باشا ، لما بذلوه من جهود جبارة وخدمات جليلة للدولة العلية ، وفي آخرها تفويض للوزير بحكم وادارة البلاد التي استولى عليها بما يراه من الحكمة والمصلحة العامة .

طلب شاه طهماسب الصلح

بعدما ولى طهماسب شاه الادبار بفلول عساكره المندحرة ، اخذ الوزير يلاحقه ويجعجع به وينقض مضاجعه ويتبعه من مكان إلى مكان حتى اضطر آخر الامر الى التفكير في طلب الصلح ، وذلك عندما رأى وهو في صحارى قم وكاشان ان متصرف اماسيه سليم باشا وتحت امرته ثمانية آلاف فارس قد اخذ طريقه نحو ايران وراح يستولي على ما يصادفه من قرى ومواقع وبلاد ، ثم

هناك ايضاً الجيش الذي تحرك من ماردين بقيادة صادق آغا واقترابه من بلدة اصفهان بعدما احتل الأمكنة التي مر بها بالاضافة الى الخوف الذي استحوذ عليه من سرعة تقدم هذه الجيوش من امكنة مختلفة وملاحقته من مكان الى مكان، واخيراً وبعد هروبه من ولاية قم لجأ الى طهران، وهناك عقد مجلساً مع اتباعه ومشاوريه ، وبعد الاخذ والرد تقدم بطلب الصلح بكتاب ارسله مع احد الوجهاء ، وهو المدعو محمد باقر خان وبصحبته احد رجال الدولة الصفوية المدعو قوريجي باش محمد رضا قلي خان .

وبعد عرض الامر على الدولة العلية تم الاتفاق على الصلح بشرط ان تكون المدن والأمكنة التي استولى عليها الجيش العثماني تابعة للدولة العثمانية ، وبعد الموافقة واتمام مراسم المصالحة عاد الوزير الى بغداد .

ذكر وقائع سنة خمسة واربعين ومائة والف

زواج عادلة خانم من الكتخدا سليمان باشا

لم يقع في هذه السنة ما يعكر صفو الامن ، وكانت سنة رخاء ويمن ، وتم فيها عقد نكاح عادلة خانم من الكتخدا سليمان باشا ، وبذلك عمت الافراح والمهرجانات جميع المدن . ولما لم يبق للوزير ما يشغله فقد اشتاقت نفسه الى الخروج للصيد والنزهة وعبر شطر الجانب الثاني ، وراح يتجول حول منطقة عكركوف فصادفه في طريقه اسد ضخم ما عتم ان هجم عليه وكاد يفترسه لولا شجاعة الوزير وقوة جنانه وثباته ، اذ قابله بسيفه منفرداً بينما فر اتباعه وخدمه وتركوه وحيداً .

وبعد مصاولات وهجمات قضى على الاسد ، وعندئذ عادوا وهم في ذهول واندهاش من ثبات الوزير وقوته وشدة مراسه ، ثم اندفع الخدم يسلخون جلد الاسد ويملأونه تبناً وجلبوه إلى بغداد .

وفي نهاية السنة المذكورة واوائل سنة ستة واربعين ومائة وألف اخذت الاخبار المزعجة ترشح من ايران وما يفعله امراء ايران من تجمّعات وتحشّدات وقيام اعتماد دولة شاه طهماسب المدعو نادر خان بالتمرد والعصيان واظهار عدم رضائه عما فعله الشاه من الموافقة على الصلح ، واخذ زمام الامور بيده وراح يهجم على المدن الافغانية ويحتلها بلدة بلدة ، ثم استمال عشائر الاكراد ورؤساهم وجذبهم نحوه وأخذ يهجم بهم على مازندران وخوارزم وخراسان .

وكذلك اتفق مع علي فتح علي خان التركماني وضمه اليه ثم ألحقه بجيشه وهجم على بلدة مشهد وطرد حاكمها محمود سبستاني ثم اعدمه .

ان هذا النادر الغادر كان اسمه نادر علي ثم طهماسب قلي خان، ثم خلع الشاه وأنزله من الحكم وجلس بمكانه، واندفع يسترد المدن من أيدي غاصبيها ويطهرها من الحكام الافغان ويستعد للهجوم على بغداد والديار العثمانية ، وقد كتب الوزير بكل ذلك الى الدولة العلية يطلب منها الامدادات ليقابل هذا السيل الجارف من العساكر الايرانية .

وخلال هذه الفترة استولى الشاه الجديد على البلاد الافغانية واخذ يصول ويجول شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، وقد شرد السكان القاطنين حوالي قلعة هرات من دورهم البالغة تسعة عشر ألف دار وأسكنها عشائر العراق (سلطان أباد) وازربايجان، وأعلن الحرب على الدولة العثمانية لأخذ الثار ولاسترداد المدن التي استولت عليها ، وخرج من اصفهان بجيوشه ومعداته والعشائر التي تحالفت معه واتجه نحو كرمنشاه فاستولى عليها بسهولة لأن حاميتها لم تقوَ على الصمود بوجه هذا البحر الزاخر من الجيوش والعساكر ثم تحرك نحو بغداد .

وفي هذه الاثناء شرعت الدولة العثمانية بجمع بعض الوحدات والقوات من هنا وهناك وسيرتها الى جهة العراق بقيادة الوزراء قره مصطفى باشا وجمال زاده احمد علي باشا وحكيم زاده علي باشا .

أما نادر الغادر فقد استمر في تقدمه وزحفه حتى بلغ الاعظمية واتخذ له

مواقع للقتال واخذت المواقع تتجاوب بين الطرفين ، ولما رأى نادر شاه ان
جنوده قد عسكروا في متناول مرمى المدافع العثمانية ابتعد بهم حوالي النصف
ساعة واشتدت الحرب بين الجانبين وارسل الوزير قوة كبيرة الى الجانب الثاني
لمنع تمكين العدو من الدنو ، وكتب الى الدولة العلية يعلمها تفاصيل الحال
ووصول الاعداء إلى ضواحي بغداد مؤكداً ضرورة امداده لصد العدو، وراح
يقوي معنويات جنوده للثبات والاستماتة في الدفاع ريثما تأتي الامدادات، ولكن
(من أين يؤتى بالترياق للملسوع ومن اين يتأتى للسليم المجوع) وفي هذه الاثناء
تواردت الاخبار عن هجوم الجيوش الايرانية على تكريت والعبور الى الجانب
الثاني ، فتصدى لها مصطفى باشا بجنوده يشاركهم السكان الغيارى على اعراضهم
ودينهم ودارت بينهما حرب ضروس تمكن اخيراً من دحر الاعداء ، ولكنهم
عادوا والتحموا ثانية وأبدى كل منهما من الضراوة ما أثار الاعجاب ، وبسبب
ثبات الجيوش العثمانية والاهلين لم يرَ الاعداء مفراً من التراجع في وجوههم
وعادوا من حيث أتوا .

ولكنهم من الجهة الثانية قد ضيقوا الخناق على بغداد واطرافها وأحاطوا
بها احاطة السوار بالمعصم ، وكانت الهجمات تتوالى من الجهتين والنصر والغلبة
يتعادلان بين الاثنين وقد فر سكان الضواحي نحو بغداد للاحتماء .

وكانت الجسور والسفن لا تكاد تكفي لنقلهم من جانب الى جانب ، ومن
جراء الازدحام هلك خلق كثير من الناس بما فيهم الشيوخ والعجائز والاطفال .

وكانت الامدادات تتوارد على الايرانيين دون انقطاع بينما الجيوش العثمانية
اصبحت في موقف حرج لنقص العتاد والارزاق . ثم كانت مجاعة دفعت بهم الى
أكل لحوم الخيل والبغال وحتى الكلاب والقطط وامتصاص دمائها ومضغ
جلودها فنشأت من جراء ذلك الامراض وانتشرت الاوبئة تحصد النفوس
بصورة هائلة ، فياما باعت العذارى انفسهن برغيف خبز من شعير ، وقد بلغت
الحالة كما يصفها الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبدالله السويدي انه اثناء خروجه

من مسجد الشيخ عبد القـــادر الكيلاني بعد انقضاء صلاة الجمعة متجهاً نحو منزله ، شاهد في طريقه امرأة ذات جمال منكبة على جيفة حمار وبيدها سكين تقطع من لحمها وتضعه في حجرها .

ولما سألها عن الاسباب ، قالت انها منذ خمسة ايام لم يدخل جوفها شيء عدا الماء . ثم شاهد بعض الاكراد في الازقة يصطادون الكلاب ويأكلونها ، وذات يوم هجم بعضهم على طعام الوزير اثنـــاء نقله اليه ونهبوه ، وكان يشاهدهم ولم يغضب لما فعلوا وانما استعبر واغرورقت عيناه رحمة بهم وبكى لحالتهم .

وبرغم ما بلغت اليه الحالة ، فان الجنود الغيارى لم تفتر عزيمتهم عن الدفاع ومقابلة الاعداء، وكانت قذائف مدافع الاعداء تمر من جانب الوزير يمنة ويسرة فلا يأبه لها ، وكانت تذاع من وقت لآخر وبايعاز منه ، اخبار تفيد وصول الامدادات او اقترابها من البلدة ، وذلك لشد عزيمة الجنود وتقوية معنوياتهم . ولما لم يروا شيئاً من ذلك اخذ يعود اليهم فتورهم ، ويتطرق اليأس الى قلوبهم، ويكادون يتمردون على امرائهم لولا مـا بلغهم من وجود مخـابرة مع الايرانيين لعقد هدنة او صلح .

وفي هذه الاثناء ورد كتاب مفتي الجيوش الايرانية الى علماء بغداد ، يقول لهم فيه :

«اننا علمنا ما وصلت اليه الحالة بكم، وعلمنا انكم تنقصكم الاقوات والعساكر والعتاد ، وان الناس قد اهلكتهم المجاعة ، فأنتم وحدكم المسؤولون عنهم عند الله . قولوا لأحمد باشا ان لا يلقي الناس الى التهلكة عبثاً ، وان يستسلم فـان ذلك اولى له من الدمار التام » .

فلما بلغ الباشا ذلك اجابهم بـأنهم على ضلال لأنه وجيوشه وسكان البلاد ، كلهم بفضل الله على احسن حال ، ولا اثر للمجاعة بينهم ، واذا كان قد بلغكم وفيات البعض فان ذلك لأسباب طبيعية كالمرض مثلاً ، وان لدينا من العتاد والجيوش اضعاف ما كان عليه سابقاً ، ولم يكن توقفنا عن مناوشتكم في بعض

الايام دون علة او حكمة ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

فلما بلغهم الكتاب لجأوا الى حيلة اخرى ، وهي انهم ارسلوا وفداً من قبلهم مهمته الظاهرة المذاكرة في الصلح، بينما الغرض من ارسال هذا الوفد هوالتجسس ومعرفة احوال البلد والجنود والعتاد ومعنويات الاهلين، فاتخذ الباشا الاجراءات التي تجعل الوفد يعتقد خلاف ما كانوا يأملون ، ووضع اكداس الارزاق والاعتدة والكثير من الفصائل العسكرية في طريقه ، وتنادوا على الخبز ، ان سعر الرغيف اربعة فلوس مع انه لا يحصل بأقل من قطعة ذهبية .

وقد عمل للوفد مأدبة عظيمة بحيث جعلت افراده يتعجبون ويندهشون منها ، وجزموا ان ما بلغهم من المجاعة بين سكان بغداد لا اصل لها مطلقاً .

اما ما يتعلق بمفاوضات الصلح، فقد اجابهم الوالي اليه ، وعادوا الى رؤسائهم حيث اعلموهم بكل ما رأوا وبكل ما سمعوا ، فمالوا عندئذ الى الصلح بصورة حقيقية وانطلت عليهم هذه الخدعة ، وطلبوا ارسال بعض الشخصيات البارزة للتفاوض في شروط الصلح ، فأرسل الوالي اليهم محمد باشا وذقرى بغداد راغب افندي ، فاستقبلا بكل حفاوة واكرام ولاطفهما القائد الاعلى وهو نادر شاه ، بكلمات لينة تخللها بعض النكات ، ومما قاله لهما اثناء الحديث ان عذوبة هواء بغداد وماءها وخصب تربتها حمله على ان يأتي ببذور البطيخ ويزرعها هنا ، ويود ان يقدم منها الى احمد باشا .

بمثل هذا وغيره من الاحاديث المسلية ، قابل الوفد وجعله يطمأن اليه ، ولكنه لما دنى الليل جلبهما اليه واخبرهما انه اطلع على حقائق الاحوال من الجواسيس ، وعلم ان لا صحة لورود الامدادات العسكرية من الدولة العلية ، وان البلد في حالة يرثى لها، وتهور عليهما وعاملهما معاملة قاسية، بعكس معاملته لهما في بداية الامر ، ومما قاله لهما ، انه لم يقصد بغداد فقط وعلى احمد باشا ان يسلمها فوراً ، وهكذا اعادهما حيث اخبرا الباشا بما وقع . فقال هيهات هيهات لن اسلم بغداد ولو قطعوني ارباً ارباً . ثم راح يحرض الجيوش ويقوي من

عزيمتها ويوري نار الحماسة فيها ، ويدفعها إلى الاستماتة في الدفاع ، ويأمرها بفتح النار على اعدائها ، وهكذا تجدد القتال بين الطرفين ، وعم اليأس بين الاهلين واشتدت المجاعة اكثر مما كانت عليه . فكنت ترى جثث الذين يموتون جوعاً ملقاة على الطريق ، وقد تساوى الاغنياء والفقراء في هذا البلاء ، وكانوا يرجحون الموت على هذه الحياة ، وفوضوا أمرهم الى الله ، واتفقوا كلهم على ان يهجموا على الاعداء هجوم المستميت ، وان يختاروا الهلاك في ميدان الشرف بدلاً من الموت على الفراش .

وصول مدد تحت قيادة عثمان باشا الاعرج

بينما كان الناس على هذه الحالة وعلى تصميمهم على الموت في سوح القتال ، اذ تواترت الاخبار والبشائر بوصول امدادات الدولة العلية مصداقاً للكلام المأثور « اذا ضاق الامر اتسع » ، فانتعشت النفوس ، وعمت الافراح ، وتشددت العزائم ، وتنادوا الى الكفاح والقتال . ولكن الجواسيس نقلت هذه الاخبار الى الاعداء الذين بعدما تأكدوا من صحة اقتراب المدد وعلموا بالمكان الذي عسكروا فيه ، صدرت الاوامر الى جنودهم بتشديد الحصار على بغداد وضربها بالمدافع بصورة مستمرة لاخفاء ما اضمروه ، ثم سيروا قوة كبيرة نحو الجيوش القادمة ومباغتتها والقضاء عليها قبل وصولها الى بغداد .

وكانت تلك العساكر مطمئنة البال ، ومتفرقة هنا وهناك ، وبدون علم او انذار هجم عليهم الاعداء وأحاطوا بهم من كل مكان ، فاعتراهم الذعر وارتبكوا واختل سلك نظامهم وكاد الاعداء يستولون عليهم لولا ان تداركوا أمرهم وعاد اليهم ثباتهم وروعهم ، فتنادوا وتجمعوا واصطدموا بالاعداء وأخذهم الحماس فراحوا يضربون العدو ويقاتلونه بكل ما لديهم من قوة وعتاد ، وتمكنوا من فك طوق الحصار وزحزحة العدو وأخذوا المبادأة بأيديهم وراحوا يضربون العدو بكل ضراوة وقساوة وكادوا يفنونه عن بكرة ابيه لولا انه لاذ بالفرار ،

فتعقبوه وساروا في اثر البقية الباقية منه، وعندئذ قام الباشا بعدما علم بما حدث بالهجوم على العدو المقابل ، فلم يرَ هذا العدو الجبار مندوحة من الفرار، وترك خلفه جميع معداته فكانت غنيمة باردة للجيوش العثمانية ، وهكذا انفك الحصار عن بغداد وأطلقوا سراح الاسرى الذين كانوا بيد الاعداء ، وانقلب الضيق الى سعة ، والاتراح الى أفراح، وهدأت الامور وسارت في مجاريها الطبيعية وكأن لم تكن مجاعة ولا حصار ، ولا هموم ولا احزان .

معاودة نادر شاه

ما كادت تمرّ سبعة اشهر على حصار بغداد وعودة الجيوش الايرانية مدحورة مخذولة حتى تواردت الاخبار بأن الشاه بدأ يجمع صفوفه ويستعد للعودة الى الهجوم بجيش لجب منظم ومجهز بأحسن الاسلحة وبأعداد تفوق ما كانت عليه في السابق، في الوقت الذي تفرقت الجيوش العثمانية وعادت الى مقراتها المتباعدة اعتقاداً من امرائها وقوادها بأن الجيوش الايرانية لا يمكن ان تقوم لها قائمة بعد تلك الهزيمة النكراء لمدة طويلة، فلم يتركوا في بغداد الا قوة قليلة تمكن العدو من معرفة مقدارها بواسطة جواسيسه ، وعرف ايضاً الغلاء الفاحش الذي ساد اسواق بغداد ، وسار نحو العراق مستولياً على كل ما يمر به من قرى ومدن .

وكان القائد عثمان باشا ما يزال بأطراف كركوك في طريق عودته ، فلما علم باقتراب الجيوش الايرانية اضطر الى التوقف ومقابلتها ، برغم ما عليه من الضعف والتعب وقلة المؤن والعتاد ، وهناك ادركته الشهادة وتغلب الايرانيون على من معه من القوات وانفسح الطريق عندئذ امامهم للهجوم على بغداد . ولما علم الوزير باقترابهم فوض أمره الى الله وقال حسبنا الله ونعم الوكيل ، واخذ يستعد ويجمع شمل القوات التي تحت يده ، ويقسمهم على القلاع والحصون والثغور ، وأرسل عياله الى البصرة عن طريق النهر ، ثم اصدر تعلياته بالسماح للعجزة وللذين لا يقوون على تحمل الحصار بالخروج من البلد والتفرق في

الضواحي ، بالاضافة الى العدد الكثير الذي هرب خوفاً من العدو ومن المجاعة.

ولما كانت الجيوش الايرانية تقترب من بغداد فقد ظفرت بهؤلاء الفارين وقتلت بعضهم وأسرت البعض الآخر .

وهكذا عاد الحصار كما كان سابقاً وعادت الضائقة ، ولكن الله في هذه المرة قد لطف بعباده ولم تطل مدة الحصار ، اذ تقدم الشاه بطلب الصلح على شرط ان تعاد اليه المدافع والاعتدة التي استولى عليها الجيش العثماني في قلعة همدان ، وقد تبين ان سبب هذه الرغبة الملحة في طلب الصلح قبل التصادم كانت من جراء ورود الاخبار الى الشاه بتمرد بلوج خان واعلانه العصيان ومحاولته الاستيلاء على الحكم .

ومهما يكن فقد وافق الوزير على الصلح ، وعندئذ اخذت الجيوش الايرانية بالقفول ، غير ان العشائر القاطنين في البادية كانوا على عادتهم يتربصون بالجيشين للانقضاض على من تدور عليه الدائرة، وقد سبق لهم ان قاموا للجيوش الاجنبية بدور الادلاء والجواسيس بحيث أطلعوهم على كل صغيرة وكبيرة ، وكانوا حال مقدم الجيوش الايرانية قد التفوا حولها واظهروا لها الطاعة والخضوع ، وأعلنوا الخيانة والتمرد ، واخذوا ينقلون اليها الاخبار يومياً ، وكانوا بتصرفاتهم هذه اشد على البلاد من الاعداء .

فلما تم الصلح وعاد الايرانيون ، جرّد عليهم الوزير حملة قوية بقيادة محمد باشا ، فبدأ الموما اليه بعشيرة شمر ، ولما اقترب من مخيماتهم وقفوا في طريقه واستعدوا لمقاتلته، فالتحم بهم وأصلاهم ناراً حامية وانتصر عليهم بعدما قتل منهم مقتلة عظيمة وهرب الناجون تاركين وراءهم الاعتدة والذخائر وحتى العوائل .

ثم هجم على عشيرة قشعم وزبيد فشتتهم وقتل خلقاً كثيراً منهم وأسر شيوخ العشيرتين وسيرهم مقيدين إلى بغداد ، وهناك أعلنوا توبتهم امام الوزير الذي نصحهم واشترط عليهم أن لا يعودوا مرة اخرى الى مثل هذه الخيانة ، وبعد تعهدهم بذلك اطلق سراحهم وعفا عنهم وأعاد الامور الى مجاريها الطبيعية.

ذكر وقائع سنة سبعة واربعين ومائة بعد الألف

نقل احمد باشا وتعيين اسماعيل باشا

في السنة المذكورة اقتضت حكمة الباري ومصداقاً لقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » ، ان ينقل هذا الوزير المخلص من بغداد ، فقد ورد فرمان من الدولة العلية يأمر بنقل احمد باشا من ادارة منطقة العراق وتعيينه لمنطقة حلب الشهباء وتعيين اسماعيل باشا بدلاً عنه ، فكان سرور احمد باشا عظيماً بهذا النقل الذي خفف عن كاهله وطأة المسؤوليات الجسام التي كان ينوء بها وجعله يتنفس الصعداء لمغادرته العراق . ولما علمت بعض العشائر الموتورة كمنت له في الطريق وتصدت لمقاتلته ، فانتصر عليها ودحرها واستولى على ذخائرها واسر بعض رجالها ، وواصل سفره الى الموصل وحط رحاله فيها . ومن هناك التمس من الدولة العلية ان تعفيه من الالتحاق بولاية حلب وان تتركه حراً ليسترد قسطاً من صحته وراحته ، فوافقت على طلبه [1] .

وأما الوزير الجديد اسماعيل باشا فانه لجهله بطبيعة البلاد واهلها اتخذ لادارتها مختلف السياسات فلم يتمكن وعجز عن ضبطها ومحافظة امنها واعادة النظام فيها وأودع حكمها الى رؤساء العشائر ، وناهيك بهؤلاء الرؤساء الذين قضوا اعمارهم في رعي الابل والاغنام في البوادي ولا يعرفون اي نوع من حكم المدن وأهل المدن .

ولك ان تتصور بعد ذلك أي فوضى عمت البلاد بسبب هذه الترتيبات ،

---

١) كتب المؤلف تاريخ هذه الحقبة الهامة من حياة العراق من وجهة النظر العثمانية ، فلا بدع اذا رأيناه يتجنى احياناً على العرب والانتفاضات الثورية العربية ، وقد أبقى المترجم على ذلك حرصاً على نشر هذا الكتاب بالعربية كما وضعه مؤلفه استكمالاً للفائدة التاريخية والدقة العلمية باعتباره مرجعاً هاماً لدراسة حقبة مجهولة من تاريخ البلاد العربية — الناشر .

هذا ما يتعلق بالسياسة الداخلية ، واما السياسة الخارجية وما بلغته من ارتباك واخلال ، فحدث ولا حرج .

ذكر وقائع سنة ثمانية واربعين ومائة وألف

عزل اسماعيل باشا عن منطقة العراق وتعيين الصدر السابق بدله

لقد رأت الدولة العلية ان بلاداً كالعراق تقع على الحدود الايرانية ، وفيها من العشائر والبدو والاشقياء ما يستوجب ان يكون حاكمها ذا مراس وحنكة وشجاعة وصرامة ويد قوية وعقل راجح ، لا سيما بعدما بلغها من خور عزيمة اسماعيل باشا وعجزه وانفراط حبل النظام من ادارته ، وعليه فقد اصدرت فرماناً بعزل الموما اليه وجلبه الى الاستانة . وبالنظر لما يتمتع به الصدر السابق محمد باشا من المقدرة والصفات الحميدة فقد عهدت اليه ادارة منطقة العراق ، فسار اليها وتولى الامر فيها .

نقض نادر شاه لعهده ومحاولته غزو ارضروم

كانت الدولة العلية قد عهدت الى احمد باشا بأن يكون قائداً عاماً للقوات العسكرية المرابطة في منطقته ، وكان الاتفاق يقضي على نادر شاه ان لا يتعرض للحدود العثمانية .

ولكن الاخبار وردت من ايران بأن الشاه نادر عزم على الهجوم على ارضروم وضمها الى مملكته ، فأسرعت الدولة العثمانية بحشد قوات كبيرة وتجهيزها وسوقها نحو الحدود ، وأوعزت الى احمد باشا بأن يختبر نوايا نادر شاه ويقف له بالمرصاد ويقاتله ان اقتضى الامر . وفوضت اليه معالجة الموقف بما يتطلبه من حزم ودراية ، وجعلت هذه القوات الجديدة ايضاً تحت ادارته .

ولقد قام الوزير الموما اليه بالاستعداد للسفر الى ارضروم ، وقبل وصوله الى المحل الذي عسكر فيه نادر شاه بمسافة ثلاث مراحل رأى الأهلين والسكان

في ذعر وارتباك ، لان قلعة ارضروم وحصونها ليست بالوضع الذي يحول دون تقدم الايرانيين الذين اظهروا من الأبهة والفخفخة ما يجعل الرائي البسيط يندهش منهم ويرتعش .

فأخذ الوزير يشجعهم ويذهب عنهم الروع ويبعث فيهم روح الحماس ويؤكد لهم انه على يقين من عجز هذه القوات من اجتياح البلاد ، لأنه مارس الحرب معها اثناء حصار بغداد .

وبهذا أعاد سكينتهم اليهم وطمأنينتهم .

ثم ان الايرانيين قد وصلتهم الاخبـــار بقدوم الوزير الذي لا يجهلونه على رأس جيش لجب من القوات المتهيئة لمحـاربتهم ، فأخذوا يراوغون ويداورون ويعلنون انهم ما زالوا محافظين على العهد ، وانهم انما يقصدون الذهاب الى الهند والسند . ولأجل تطمين الوزير ارسل الشاه مع احد سفرائه كتاباً يجدد فيه المصالحة ، واخذ هذا السفير يزخرف لأحمد باشا الكلام ويؤكد له ان السلام ضروري للمحـافظة على حياة النـاس وأرواحهم ، فقابله الوزير بالمثل ، وعادت الجيوش الايرانية من حيث اتت ، كما عـــاد الوزير بمن معه الى مقره وعرض الامر على الدولة العلية .

ذكر وقائع سنة تسعة واربعين ومائة وألف
عزل محمد باشا واعادة احمد باشا الى بغداد

لقد كان مـا فعله الوزير مع شاه ايران ، ومـا توصل اليه من حقن الدماء والمحافظة على النفوس والارواح ، صدى طيب لدى الاوساط والمقامات العليـا فأنعمت عليه الدولة العلية بالخلع السنية والهدايا الثمينة لاخلاصه وحسن تدبيره، وأقرته على مـا فعله وانعمت عليه بالاوسمة العـالية ، وبالوقت نفسه اعادته الى مكانه في بغداد ، وذلك بالنظر لاصابة محمد باشا بمرض داء الفيـل الذي أقعده ومنعه من ادارة هذه المنطقة الهامة مما جعلها بحالة من الفوضى لا تطاق ، فكان

لعودة احمد باشا رنة استحسان منقطعة النظير . وكان فور وصوله اليها ان شمّر عن ساعد الجد للقضـــاء على الانكشارية المفسدين ، وعلى الاشقياء والمتمردين، وأعاد للبلاد سكينتها وللدولة هيبتها ووضع الامور في مجاريها الطبيعية .

وخلال هذه السنة أنعمت الدولة العلية على الكتخدا السابق محمد باشا وعينته ميرميران وأناطت به ادارة شهرزور ، كما وانعمت على الميرميران سليمان باشا وعينته والياً على البصرة .

ذكر وقائع سنة خمسين ومائة وألف
غزو عشائر بني لام

كان الباشا كما اسلفنا ، قد انصبّ فور وصوله على اصلاح مـــا افسدته يد الاهمال من الامور والاحوال خلال مدة غيابه عن العراق ، فلم يألُ جهداً في اتخاذ كل مـا وسعه من وسائل لاعادة الضبط والنظام ، وراح يضرب بيد من حديد على شراذم المفسدين من العشائر والمتمردين ، لا سيما وقـد اطلع بنفسه على سوء افعـالهم ، فولى وجهته بعد اكمال تنظيم البلد نحو اولئك الاشقياء من العشائر والقبـــائل وقرر تأديبهم وقمع فتنهم بشدة واعادتهم الى جادة النظـام والطاعة .

ولما كان اكثرهم تمرداً هو الشيخ عبد القادر رئيس عشيرة بني لام فقد بدأ به وبمن التف حوله من العشائر الاخرى ، وسار نحوهم بقوة عسكرية كبيرة ومجهزة بمختلف الذخائر والعتاد وكانوا قد تحصنوا وتجمعوا في موقع يقال له على الظاهر ما بين البصرة وبغداد ، كما وجرد حملة اخرى بقيادة ابراهيم باشا وسيرها نحو البصرة لانهـــا ايضاً كانت قد تمردت بايعـاز من حاكمها موسى باشا الذي فرّ بما معه من سفن وبواخر نحو عرض البحر ، ولكن القوة ادركته وأتت به وبالسفائن نحو مقر الوزير الذي استعمل السفائن لنقل الجنود والعتاد وسار بهم نحو العشائر المتجمعة حيث استعدت هي الاخرى للقتال .

اما الوزير فبالنظر لما جبل عليه من البسالة والشجاعة فقد واصل ليله بنهاره وهجم عليهم هجوماً مفاجئاً ، ولكنهم قابلوه ووقفوا بوجهه ، فأعمل فيهم سيفه والتحم معهم بالسلاح الابيض ، ولما كان الحق يعلو ولا يعلى عليه فقد لاحت تباشير الانتصارات بتقهقرهم شيئاً فشيئاً، ثم انقلب هذا التقهقر الى هزيمة نكراء اختلط فيها الحابل بالنابل وتساقطت جثث المجرمين هنا وهناك ولم ينجُ منهم الا القليل القليل حيث تعقبهم الجيش واستولى على اموالهم وذخائرهم واسر عيالهم ، ثم فرض على رؤساء هذه العشائر غرامة ثقيلة . وبعد حضور قسم منهم امام الوزير لعرض (الدخالة) عليه واشتراطهم على انفسهم ان يؤدوا كل ما عليهم من رسوم وضرائب منذ تاريخ استحقاقها ، وبعد ما استوثق منهم عفا عنهم واطلق اسراهم وعوائلهم وعاد الى بغداد يحمل علم النصر والفخار ، وقد استقبل بكل تجلة وتعظيم واعجاب .

مجيء سفير نادر شاه

سبق ان بيّنا ان نادر شاه كان قد عقد صلحاً مستعجلاً مع الوزير وعاد الى بلاده ، ولاجل تقوية هذا الصلح وتوثيق روابط الصداقة ارسل واحداً من اكابر اصحابه سفيراً الى بغداد للمذاكرة حول اطلاق سراح اسرى الطرفين ليكون ذلك مدعاة للمحبة والائتلاف وازالة كل ما علق في النفوس ، فاستقبله الوزير بكل ابهة واكرام ونصب له سرادق فخماً في الجانب الثاني ثم نقله الى دار الضيافة في بغداد واجابه الى طلبه وكتب بذلك الى الشاه .

غزو عشائر بلباس

ان افراد هذه العشيرة التي اتخذت رؤوس الجبال مقراً لها وسكناً ، اخذت تقلق راحة الناس بقيامها من وقت لآخر بقطع الطرق واعمال السلب والنهب ، فقرر الوزير غزوها وتأديبها . وجرد عليها حملة بقيادته وسار حتى بلغ مواقع تلك العشيرة وهجم عليها بفرسانه ورجاله ، ولكنها قابلته وقاومته بشدة

وعناد وتحصنت بقلاعها فوق الجبال ، واخذ الجانبان يتراشقان بالبنادق والمدافع حتى ان نساء العشيرة المذكورة شوهدت مع رجالهن يحملن البنادق ويصوبنها نحو الجنود بكل شجاعة .

ولما كان الجنود قد تدربوا على الحرب في مثل هذه المواقع ، ويحسنون تسلق الجبال ، فقد اصلوا اولئك المتمردين ناراً حامية ، وضيقوا عليهم الخناق فلم يروا مندوحة من الاذعان والاستسلام بعدما فقدوا جملة من القتلى بالاضافة الى كثرة الجرحى .

ولما كان هؤلاء من المسلمين وعلى المذهب الشافعي فقد عفا عنهم وبذل لهم من النصائح والارشادات ما جعلهم يندمون على ما فرط منهم وتعهدوا بالطاعة وعدم العودة الى اعمالهم السابقة ثم عاد الوزير الى بغداد .

وحال وصوله بلغه تمرد بعض الاعراب القاطنين في الجانب الشرقي حيث اخذوا يعيثون فساداً ويؤذون السكان والمسافرين ، فجرد عليهم حملة بقيادة سليمان باشا ، فقام بتأديبهم وتشتيت شملهم ومن هناك عرج على عشيرة زبير التي كانت ايضاً تقوم بمثل تلك الاعمال ، فشردها وقفل راجعاً الى بغداد .

ذكر وقائع سنة احدى وخمسين ومائة والف
غزو عشائر بني لام مرة اخرى وكذلك عشيرة ربيعة

بالنظر لما جبلت عليه هذه العشيرة من الشدة والعنف الفطريين ، فقد عادت الى تمردها وخرجت على القانون والنظام ونسيت ما حل بها في السنة الماضية ولم ترتدع بما اصابها من خسائر وتلفيات في الاموال وفي الرجال ، وازداد هذه المرة خطرها وراحت تعيث في الارض فساداً .

ولقد تظاهرت الحكومة في بداية الامر بعدم الاكتراث بها وعدم الاهتمام باعمالها واستدرجتها الى التوسع في عبثها واعمالها فانتفخت تهوراً واعتزازاً

في الوقت الذي صمم الوزير على ضربها ضربة قاصمة تعيد اليها رشدها وتجعلها تسير في الطريق السوي فلا تعود تتصدى الى أحد بالايذاء والتعديات ، وعلى هذا جرد حملة كبيرة من الجند وسيرها في الخفاء دون ان يعلم احد وجهتها ، وكل ما هنالك ان قوة كبيرة خرجت من بغداد الى جهة مجهولة .

ولما كان الثائر خائفاً فقد فطنت تلك العشيرة الى هذه الحيلة واعتقدت انها هي المقصودة من هذه الحملة ، فاعلنت في بداية الامر طاعتها وانقيادها ثم تملكها الخوف فلم تر بداً من الهرب أفراداً وجماعات الى مختلف الامكنة. ولما اقتربت الحملة من ديارهم وعلمت بفرارهم ، اتجهت وجهة ثانية واذاعت انها انما جاءت لاستيفاء وتحصيل ما بذمة عشيرة ربيعة من الرسوم الاميرية ، وخلال قيامها بعملية التحصيل امتنع احد اكابر العشيرة المدعو ابو سوده عن دفع الرسوم فحبسه الرئيس علي بيك ، ولكن اتباع ابي سوده هجموا ليلاً وانقذوه من الحبس وقتلوا علي بيك ثم فروا نحو الاهوار. وعليه فقد جرد الوزير حملة بقيادة سليمان باشا وامرها بتعقب هؤلاء الاشقياء .

ولما وصل الى محلهم وجدهم قد تحصنوا هم وعيالهم وانعامهم في إحدى الجزر الواقعة وسط الاهوار بحيث يصعب الوصول اليهم ، فأحاط الباشا بتلك الجزيرة واخذ يصليها بنار البنادق من كل اطرافها . ولما اقبل الليل اتخذ الجنود طريقهم نحو الجزيرة المذكورة بما لديهم من سفن وزوارق دون جلبة او ضوضاء ، فلم تشعر عشيرة ربيعة إلا والجنود تحيط بها من كل صوب وجانب ، ولما كانت هذه العشيرة مشهورة بالشجاعة والاقدام فلم تر بداً من خوض نار الحرب ومقابلة الجنود بما لديها من سلاح وعتاد ودامت المقابلة حتى الصباح ثم ادركها اليأس ، وشدد الجيش عليها الخناق فلاذ قسم منهم بالفرار وغرق قسم في الاهوار وقتل القسم الآخر واستولى الجيش على اموالهم وذخائرهم وعاد منصوراً .

فلما علمت بقية العشائر مـا حل بربيعة استشعرت الخوف والرهبة من الحكومة وبطشها ، وراحت تتبارى في تقديم الهدايا للوزير وتتوسل بمختلف الوسائل للتقرب منه ، وكان شيخ عشائر المنتفق الشيخ سعدون من جملة الذين قدموا الهدايا ، ولكن هذا الشيخ لم يكن مخلصاً في تقربه ، وكان من حين لآخر تبدر منه بوادر تدل على انه يحاول الخروج على الدولة العلية ليكون ملكاً على العرب ، وبالنظر لما تحيط به من شبهات فقد القي القبض عليه وجيء به إلى بغداد حيث زج به في سجن القلعة .

وبعد مرور مدة طويلة على حبسه ولابتلائه بمختلف الامراض وقيام جماعة من أكابر البلد وشيوخ العشائر بالتوسط لاطلاق سراحه، فقد نزلت الحكومة على رغبتهم بعد اخذ المواثيق والعهود بـألا تبدر منه بادرة تجعل الحكومة تسيء الظن به ، وعاد الى بلده وعشيرته في المنتفق .

غزو الشيخ سعدون شيخ المنتفق

بعد مـا أنعمت الدولة على هذا الشيخ واطلقت سراحه واعادته معززاً مكرماً الى مشيخته في المنتفق عاد فنقض العهد واعلن التمرد والعصيان وخرج بما يقرب من عشرة الاف رجل مسلح حتى بلغ مكاناً يقع بين النجف والكوفة وعسكر فيه وارسل قسماً من سراياه وعساكره للاستيلاء على مـا حوله من المدن حتى بلغ به الأمر ان قام بمحاصرة الحلة وبث الدعاية له بين الناس قائلاً « انا السلطان الثاني فما الوزير والعسكر العثماني » وهكذا تمادى في تمرده وراح يطلق على نفسه ما يحلو له من الالقاب .

ولما تواردت اخباره قام الوزير بتجنيد وتجهيز قوة عسكرية كبيرة تحت قيادته وسار مستعيناً بالله نحو هذا الثائر الذي تولاه الذعر عند سماعه بتقدم هذا الجيش الكبير ، وقام لفوره بجمع رجاله وعياله وفر لا يلوي على شيء ، فتعقبه الجيش حتى اذا بلغ محلاً قرب البصرة التجأ الى الاهوار وتحصن داخلها ، فخرج

عليه من جهة المنتفق القائد الجسور كورد عثمان باشا المشهور بالشجاعة والاقدام
واخذ يضيق عليه الخناق ويشدد الحصار ويفتك بالامدادات التي ترد الى الثوار
عن طريق الاهوار فتكاً ذريعاً ، واحاطت بهم الجيوش احاطة السوار بالمعصم
ومنعوا عنهم ما يرسل اليهم من طعام وعتاد ، وعمت بينهم البلوى وانتشرت
المجاعة والشكوى حتى ان ابن سعدون الصغير جاء يوماً الى ابيه مستغيثاً وطالباً
ما يسد به رمقه فقال له ابوه « اذهب الى عمك فانه سيشبعك » وارسله نحو
الجيش العثماني المنصور ، فلما احضر امام الوزير قال له : « يا عماه اني جائع
فأشبعني ، وان اهلي واقاربي يكادون يموتون جوعاً ، فان عفوت فلك الفضل ،
وان لم تعف فلا ترجعني الى اهلي لئلا اهلك معهم » . فتبسم الوزير من كلام
هذا الطفل ورق له وانعم عليه وعلى اهله بالعفو واعاده الى ابيه ليبشره بذلك
وامر بالكف عن ملاحقة هذا الشيخ وعشيرته وقفل بجيشه راجعاً الى بغداد
مكتفياً بهذا الدرس عسى ان يعيد به المتمردين الى الطاعة .

عودة الشيخ سعدون الى العصيان

بعد كل ما تقدم من المعاملة الحسنة والعفو عن سيئات هذا الشيخ عاد
الى الثورة مرة اخرى وراح يبث روح التمرد والعصيان على الدولة ويذيع
اخباراً مثيرة بين العشائر والمدن واخذ يجمع اتباعه ومن يميل اليه في مكان
قرب البصرة .

ولما شاع امره وانتشر خبره جرد الوزير عليه حملة بقيادة سليمان باشا . ولما
تقارب الجمعان اتخذ كل منهما مواقع للقتال ، وبعد مناوشات تمكن الجيش من
دحر الثائر واتباعه وانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً ، وقبض على الشيخ سعدون
حيث سفره مقيداً الى بغداد ومنها ارسل الى استانبول ، وبذلك هدأت
الاحوال وعادت السكينة الى البلاد . ورجع سليمان باشا وجنوده الى مقره
حاملاً لواء الظفر والنصر .

ذكر وقائع سنة اثنتين وخمسين ومائة والف

غزو عشائر قشعم

لقد اتفقت هذه العشيرة مع عشائر السرحان واسلم وبني صخر وتحالفت على شق عصا الطاعة والتمرد على اوامر الحكومة ، واتخذت من مكان يبعد عن شفاثه بضع ساعات يسمى سبروت محلاً وحصناً للتجمع ولشن الغارات والهجمات منه وقطع الطريق على القوافل ونشر الفوضى والاضطرابات ، الامر الذي حدا بالوزير الى تجريد فرقتين عسكريتين لمقاومتهم الاولى تحت قيادة الكتخدا سليمان باشا ، وهذا اتجه بفرقته إلى هيت في محاذاة نهر الفرات ، والثانية بقيادة الوزير نفسه سار بها عن طريق كربلا . وبالرغم من حرارة الجو فقد واصل السفر دون ان يذوق طعم الراحة مدة ٤٤ ساعة وصل بعدها الى قرب محل تجمع العشائر بعد منتصف الليل فعسكر هناك، وتقدم هو كعادته مسافة ساعتين حيث حط رحاله ونصب خيامه ليريح نفسه ومن معه لحين مجيء الجيش ، ومن شدة التعب الذي اصاب افراده فقد اخذتهم سنة الكرى ولم ينتبهوا الا والشمس في ارتفاع رمحين ولم ير للجيش اثراً، ذلك لان التعب قد اثر في افراده ايضاً وغلبهم النعاس فناموا ، وبعد نهوضهم واصلوا سفرهم حتى بلغوا المحل الذي ينتظرهم فيه الوزير ، ولما كانوا قريبين من الاعداء فقد نظموا صفوفهم واستعدوا للقتال حتى اذا تراءى الجمعان امر الوزير بالهجوم عليهم دون توان ، ذلك لان الوقوف امام العدو دون هجوم يطمعه في الجيش ويجعله يعتقد انه من ضعفه لا يقوى على اختيار القتال .

وهكذا التحم الطرفان وكل منهما يمني نفسه بالانتصار على خصمه ، ووقعت بينهما معركة عنيفة اطاحت بأعناق الكثير من العشائر ، وكان من جملة من قتلوا من رؤسائهم عميس صقر السعد ، ثم اطبق عليهم الجيش واخذ يحصدهم حصداً ويفل جموعهم ، فلم يسعهم الثبات وولوا الادبار مبعثرين ومشردين لا

يلوون على شيء تاركين كل ما كان معهم من ذخائر وعتـاد واموال فكانت غنيمة دسمة للجيش .

وبالنظر لهذا الفوز الساحق امر الوزير بعدم تعقب الفارين ونصبوا خيامهم في مكان المعمعة ، وكعادته انعم على من بقي بالعفو وواسى عيال الرئيس القتيل صقر اذ شملهم بعطفه وخفف عنهم ثقل المصاب .

اما الكتخدا سليمان باشا فـانه وان لم يصل اثناء القتال لبعد المسافة فقد قام بتأديب من صادفه من الاشقياء ومزق شملهم وطهر الطرق منهم ثم عـاد الى بغداد .

ذكر وقائع سنة ثلاثة وخمسين ومائة وألف

هدايا نادر شاه الى مرقد الامام الاعظم وبقية العتبات المقدسة

خلال هذه السنة ارسل الشاه هـدايا مالية جسيمة وتحفـاً ثمينة الى المراقد المقدسة : مرقد الامام ابي حنيفة ، والخليفة الرابع علي المرتضى كرم الله وجهه، وسيد الشهداء الامام الحسين ، والامام موسى الكاظم ، ثم ارسل هدية ثمينة الى احمد باشا وزير دار الخلافة الزوراء صحبة احد سفرائه ، فتقبل هذه الهدايا شاكراً ، وانعم من جهته على السفير بما يليق به .

وقد تبين اخيراً ان الغرض من ذلك هو أن الشاه كان قد عقـد اجتماعاً كبيراً في صحراء صفـان ، اعلن فيه انه حامي حمى الشيعة والمدافع عنهم ، فبايعوه على الطاعة .

ولكن أهل السنة من عشائر الاكراد والداغستان ، وسكان الجبال والافغـانيين ساءهم ذلك واتفقوا على محـاربة هذا الشاه الذي بث الفتنـة بين الطائفتين وجعل كلاً منهما تعتبر الاخرى خصماً لها . ثم اشتدت الحالة وتأزمت ووقع الصدام بينهما ، وهجمت قوات الاكراد ومن يتبعهم من اهل السنة من العشائر على قوات الشاه النظامية فكانت موقعة كبيرة انكسرت فيها عساكر

الشاه وتكبدوا خسائر فادحة ، فكانت تلك الموقعة صدمة عنيفة له ، ورأى من باب تطييب الخاطر وحفظ المصالحة ان يقوم بتقديم تلك الهدايا العظيمة الى العتبات المقدسة ويعلن ذلك بين الناس ، كما ويعلن في ديار ايران أمراً يقضي بوجوب اقامة الأذان في الاوقات الخمسة وعدم ذكر عبارة «حي على خير العمل» فيه ، كل ذلك في سبيل التقرب وجذب قلوب عشائر وأهالي الاكراد والافغانيين .

ولم يكتف بهذا بل نادى بأنه سيدفع الى العلماء الايرانيين مقداراً من الصدقات وطلب حضورهم اليه، فدفعهم طمعهم إلى التسابق والتزاحم في الحضور، وجمعهم في مكان فسيح ، وسلم كل واحد منهم ورقة طلب أن يدون فيها كل فرد منهم اسمه وعنوانه ومقدار حاجته من النقود ، وبدلاً من ان يدفع اليهم ما دونوه في اوراقهم ، أمر بأن تؤخذ هذه المبالغ منهم كرهاً، وان تصرف في سبيل مصلحة البلاد ، وهكذا انقلب طمعهم الى يأس واذعان وراحوا يجمعون هذه المبالغ ويقدمونها الى الدولة ، والذي لم يتيسر له دفعها اضطر الى بيع أثاثه وكتبه في الاسواق .

الشاه يرسل هدية الى الدولة العلية

لقد اخذ الشاه يقوي اواصر الصداقة بينه وبين الدولة العثمانية في كل مناسبة ويرسل الهدايا من وقت لآخر ، وفي هذه المرة ارسل صحبة احد وجهاء المملكة الايرانية المدعو حاج بيك خان ثلاثة آلاف عبد وأحد عشر فيلاً الى بغداد ، وقد واصل الوزير ارسالها الى الاستانة مع السفير الايراني نفسه بعدما اكرم مثواه .

ذكر وقائع سنة اربعة وخمسين ومائة وألف

ارسال قوات عسكرية تأديبية الى القرى والارياف

بالنظر لتوارد الاخبار عن ظهور بعض الاشقياء وتصديهم لقطع الطرق وبث الرعب في قلوب السالكين ونهب الاموال وقتل الانفس البريئة . ولعدم معرفة هوية هؤلاء الخارجين على القانون والنظام ، أمر الوزير ببث العيون والارصاد لمعرفة مقرهم، فتبين انهم من افراد العشائر القاطنين في الجهة الغربية ، قد تحالفوا على كسب اقواتهم عن هذا الطريق واتفقوا مع اهالي بعض القرى على ان يحموهم ويختفوا عندهم لقاء تسليمهم نصف الغنائم التي يستولون عليها .

وكانوا يختفون نهاراً ويخرجون ليلاً ثم ينقسمون الى عدة فرق كل فرقة تتولى رصد طريق من طرق المارة .

ولما تأكد الوزير من ذلك جرد عليهم سرية بقيادة الكتخدا سليمان باشا ، فخرج بها من بغداد وقسمها الى عدة اقسام ، وراح يتعقب هؤلاء الاشقياء من مكان الى مكان، ومن ضيعة الى اخرى، حتى انحازوا الى قرية المزيدية وتجمعوا فيها ، بالاضافة الى هذا فان عشيرة زبير ايضاً كانت قد مدت عنقها نحو المتمردين وراحت تفعل فعلهم ، فانبرى ينقضّ عليهم أيضاً انقضاض الصقر على فريسته ، وشردهم وفرق شمل المفسدين وطهر القرى والمدن منهم ثم عاد الى بغداد .

تأديب بني لام

ان هذه العشيرة المجبولة على العنف والشدة والتي لم ترتدع بما يصيبها من وقت لآخر ، عادت وأعلنت العصيان والتجأت الى قمم الجبال حيث تحصنت فيها ، وراحت تعيث فساداً وتقطع الطرق واتخذت السلب والنهب ديدناً لها ، فقام الوزير بحركة مفاجئة تمكن بها من اصطياد رؤساء العشيرة المذكورة واتخاذ الاجراءات المشددة بحقهم ، وشتت شمل هذه القبيلة .

ذكر وقائع سنة خمسة وخمسين ومائة والف

لم يقع خلال هذه السنة مـــا يعكر صفو الامن . وقد انصرف الوزير كعادته الى تفقد شؤون الرعايا والخروج الى الصحراء للنزهة والصيد ، كما وقد احتفل بختان ابن اخته حسن بيك واظهر كرماً بالغاً واوعز بهذه المناسبة بختان أولاد الفقراء واليتامى على نفقته وانعم عليهم بالهدايا والخلع السنية .

ذكر وقائع سنة ستة وخمسين ومـائة والف

مجيء نادر شاه الى بغداد للمرة الثـالثـة بعد استيلائـه على الهند وتركستان ، والمحاورة التي جرت بحضور السويـدي عبد الله افندي بين علمـاء السنـة والشيعـة

من بعد الحوادث الحربيـة السابقة ، وبعد افلاس نادر شاه من ارضروم ، لوى عنان الخيبة وعاد ادراجه ، وفي صحراء صفان جمع العلماء وعقد لهم مجلساً حاولوا فيه التوفيق بين وجهات نظرهم ، ثم اتفقت كلمتهم على مبـــايعة الشاه مبايعة حقيقية ومتابعته ونصرته وشد ازره ، ولكن طائفة اللزكية الداغستانية ساءهـــا ذلك وحاربت الشاه مدة اربـع سنوات بدون فائدة ، وكانوا قد استنجدوا بالدولة العثمانية ، ولكن الدولة العثمانية رأت ان المصلحـة تقضي بالمسالمة فلم تسندهم ، وبعد ذلك زحف نادر شاه على الهند وتغلب عليها واستولى على العاصمة (جهان اباد) وقد اذعن له السلطـــان محمد شاه على ان يؤدي له خراجاً سنوياً ، وبعد ذلك ترك الهند وزحف على التركستان واستولى عليها ، ثم استولى على بلاد الافغـــان وبلخ وبخـارى ، ولكثرة الممالك التي احتلها وضمهـــا الى ملكه لقب نفسه « شاهنشاه » ، وعمد الى نقض مـــا ابرمه من العهود والمواثيق مع الدولة العثمانية ، ثم رجع من غزواته تلك عن طريق بغداد متظـــاهراً بالزحف على الروم من هـــذا الطريق وارسل الرسل الى الوزير

احمد باشا يعلمه بذلك . وبعد وصوله الى العراق تأخر ولم يواصل سفره حتى انتهاء موسم الحصاد وقد وافق احمد باشا على مروره ومكوثه واعتبره ضيفاً ولسان حاله يقول : « اذا كنت مأكول الطعام فرحب »

ثم ارسل الشاه بضعة الاف من الجنود تحت ستار شراء الاطعمة للجيش ، ولكنه حاصر بهم بغداد ، وحصل من جراء ذلك اضطراب ادى إلى ان يترك الأهلون بيوتهم ويفروا الى الجانب الثاني من دجلة . وقد استولى جيش الشاه على جميع قرى بغداد وضياعها بمعاونه بعض الاعراب، ثم ارسل الشاه تسعين الفاً من الجنود الى البصرة فحاصرها وارسل قسماً آخر الى شهرزور .

وبعد ان خضعت له شهرزور زحف على مدينة كركوك فحاصرها واعمل فيها السيف مدة ثمانين يوماً ، وقد دافع الاهلون عنها دفاعاً مستميتاً وبعدما رماها بعشرين الفاً من القذائف المدفعية وعشرين ألفاً بالمنجنيق اضطر اهلها الى التسليم ولسان حالهم قول الشاعر :

اذا لم يكن غير الاسنة مركباً فما حيلة المضطر الا ركوبها

وبعدما فتح كركوك اعتدى على الاهلين وعلى اعراضهم واموالهم وسبى نساءهم واسر الرجال والعلماء وفرض عليهم الغرامات ومن لم يؤد الغرامة مثل اولاد المفتي أخذهم معه أسرى . وقد توسط لاطلاق سراحهم عبد الله افندي السويدي .

ان حادثة كركوك اعطت عبرة لأهل بغداد بأن يقاوموا اذا تعرض احد لبلدتهم .

وعندما زحف على اربيل واحتلها عمل بها وبأهلها ما عمله بأهالي كركوك .

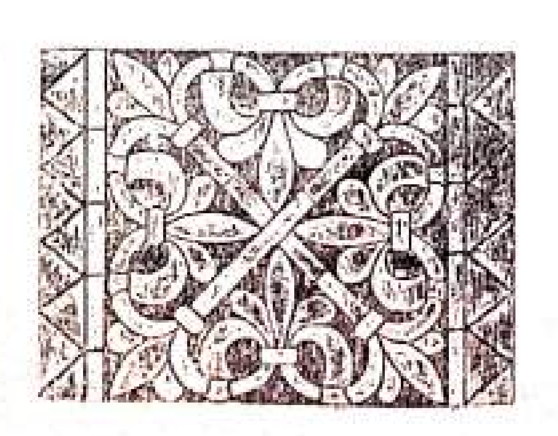
ثم زحف على الموصل وبعد حصارها والقاء اربعين الفاً من القذائف على اسوارها ومثلها من المنجنيق خلال سبعة ايام محاولاً بذلك تخريب القلعة وهدمها بالبارود ، لم يتمكن من احتلالها اذ صمدت في وجه جيوشه ، ولشدة مقاومة

الاهالي تعذر عليه فتحها وانسحب بجيشه نحو بغداد .

وقد اصبح اهالي بغداد في ضيق واضطراب ، وقد صمدت الاعظمية بجيشها العثماني امام هجومه ، ولذلك طلب من احمد باشا الهدنة فوافق حقناً للدماء ، وقد ارسل هذه الموافقـة مع وفد مؤلف من محمد باشا وسليمان باشا والكاتب ولي افندي ، فاجتمعوا بالشاه وعرضوا عليه موافقة الوالي، إلا ان هذه الموافقة تستوجب اخذ مصادقة الدولة العلية عليهـا وقد كتبوا بذلك وانهم في انتظار جواب الدولة العلية .

ولكن الشاه اعلن الهدنة من قبله وسافر الى زيارة العتبـات المقدسة وامر بتعمير مرقد الخليفة الرابع ، كما وامر ان تطلى القبة بالذهب ، ثم توجه الى كربلاء واشاع انه على مذهب اهل السنة ، وكتب الى احمد باشا انه يريد احد علماء السنة لمناظرة علماء الشيعة وازالة سوء التفاهم من بينهم .

ولما كان احمد باشا يعلم ان عبد الله السويدي هو المعوّل عليه في مثل هذه المهمات ، فقد انتخبه للسفر الى هناك . وقد قال السويدي في كتابه « النفحة المسكية والرحلة الملكية » انه بينما كنت جالساً حضر مندوب الباشا وبلغني ان احضر اليه. وبعد اداء صلاة المغرب ذهبت الى دار الحكومة فاستقبلني احمد آغا وقال لي ان الوزير طلبك ليرسلك الى الشاه ، ولما استوضحته الاسباب قال لي انه يريد احد علماء السنة لمناظرة علماء الشيعة ، فان غُلبت اتبع الكل المذهب الخامس ، والا اتبعوا هم أهل السنة والجماعة .



وعند سماعي لهذا الكلام قلت يا احمد آغا انك تعلم ان الشيعة اهل رأي وعقيدة فكيف يأخذون بكلامي ويسلمون برأيي ، لا سيما وانهم في عدد وعدة وان الشاه يناصرهم ، فكيف يسعني مجادلتهم ، ولهذا أرجو ان تتوسطوا لدى الوزير بأن يعفيني من هذه المحنة وان يختار احد مفتي الحنفية او الشافعية لهذه المهمة، فأجاب بأن سيدنا الباشا قد اختارك شخصياً وليس هنالك سوى الامتثال، لاني كنت قد شافهته صباح هذا اليوم ولم يقل سوى : اسأل الله ان يقوي حجتك ويطلق بالصواب لسانك ، وانك مخير بين مباحثتهم او عدم مباحثتهم في حالة عنادهم . واما ترك المباحثة كلية فهذا غير صحيح ويمكنك ايراد ما لديك من الادلة لكي يعلم العجم ان هنا علماء يستطيعون مباحثتهم ، وقال ايضاً ان الشاه الآن في النجف الاشرف وينبغي ان تكون معه هناك ، وقد خصص لك كـرة فاخرة وراحلة وخدماً ليكونوا بمعيتك ، واتفقنا على ان يكون الاجتماع يوم الاثنين .

وقد استحضرت قسماً من الاسئلة والاجوبة اثناء السفر ، والخلاصة وصلت الحلة وكانت بيد العجم في بادىء الامر ، ووجدت فيهـــا عدداً من اهل السنة فاخبروني ان الشاه جمع كافة العلماء الايرانيين ، ويبلغ عددهم سبعين نفراً خصصهم لهذه المهمة ، ولما سمعت ذلك استرجعت وقلت « إنا لله وإنا اليه راجعون » فاذا اردت ان امتنع عن المباحثة معهم ادى ذلك الى تأويل تصرفاتي امـام الشاه ، واذا كانت المبـاحثة ستعقد من دون حضور الشاه فسأمتنع عن الخوض فيهـــا واقول ان المباحثة معهم تحتاج الى حَـكَـم عادل عالم لئلا اكون متهماً بالتحيز الى احد المذهبين ، والذي ارجوه من الشاه ان يحضر ويكون الحكم بيننا . ثم تشجعت وعزمت على خوض هذه المعمعة مع العلماء ، ولو ادى ذلك الى هلاكي في حالة ميلان الاراء نحوهم .

وبهذه التخيلات ونحوهـا غادرنا الحلة انا ومن معي ليلة الاربعاء ، فوصلنا الكفل عليه السلام وصلينا الفجر هنـاك وقابلنا رسول الشاه الذي حضر لكي يستحثني في الحضور، فقلت في نفسي ان هذا الاستعجال والترغيب بالمال، وبعده التخويف بازهاق الروح يراد منه الميل الى الامامية ، فاذا كان الامر كذلك فما هو الرأي والتدبير يا ترى ؟ وبعد اعمـال الفكر وتقليب الامر على وجوه شتى قررت التزام الحق حتى وان تلفت نفسي ، وقلت ان النبي (ص) طرد وعذب بسبب قوله الحق ، وان ابا بكر تعب في خلافته بسبب الحق ، وعدم القول بحدوث القرآن ادى الى ضرب احمد بن حنبل . فماذا يهمني ان اتبع هؤلاء ؟ فليفعلوا بي مـا يشاؤون ، وقلت : أمنت بالله وبملائكته وبكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله .

وسافرت فوراً بعد تكرار الشهـادتين ، وقد رأيت بأطراف النخيل علمين كبيرين علمت انهما علما الشاه للدلالة على وجوده مع جيشه هناك ، وان قائد الجيش يقوم بتقسيم العلماء الوافدين على ميمنة الشاه وميسرته ، وشاهدت خيمة الشاه على سبعة اعمدة وحولها عدة خيام متفرقة ، ولقد انزلوني بالقرب من خيمة الشاه واستقبلني افراد من حاشيته وعلى رأسهم عبد الكريم بيك الذي كان مراسلاً لدى احمد باشا الوزير ، فقدم لي الحاضرين قائـلاً : هذا معيـار الممالك حسن خان ، وهذا مصطفى خان ، وهذا نظر علي خـان ، وهذا مرزا زكي ، وهذا مرزا كافي . وعند سماعي باسم معيار الممالك قمت له فتصافحنا ورحب بي ، وقد علمت ان معيار الممالك هو وزير الشاه وهو كرجي الاصل ومن موالي الشاه حسين ، وبعدئذ اوعزوا لي بالحضور بين يدي الشاه قـائلين : حينما تقف تقف معنا ، فلمـا شاهدني الشاه رحب بي وقـال : « ان احمد باشا اخبرني بأنه سوف يرسلك لي » ، فجلسنا بحضرته وقدرت سن الشاه بثمانين عاماً ، ولم اجد

له في نفسي تلك الهيبة ، ثم سألني : كيف حال احمد باشا ؟ فقلت له : انه بخير وعافية ، فقال: هل علمت بالمهمة التي ارسلت من اجلها ولماذا اردتك بالذات ، فقلت : لا اعلم . فقال توجد في مملكتي فرقتان : الافغان وتركستان من جهة، والايرانيون من جهة اخرى ، احداهما تكفر الاخرى ، مع ان التكفير شيء قبيح ، فأردت ان ازيل ذلك من بينهم وجعلتك وكيلاً عني وشاهداً عليهم . ثم سمح لي بالخروج فنزلت ضيفاً على اعتماد الدولة ، ومن شدة ما شملني من الفرح والسرور لم تعد الدنيا تسعني لأن امر العجم أنيط بي ، وقد ازعجني عدم قيام اعتماد الدولة عند مروري به ، وقد رد السلام قاعداً ، فقلت في نفسي ، سوف اهينه بعدئذ واعلمه بالمهمة التي كلفني بها الشاه ، وان يتأدب امام العلماء ويترك الغرور والطيش ، وطلبت من الملا حمزة الذي هو مفتي الافغان ان ينورني عن بعض القضايا التي اوجبت تكفير احدى الفرقتين للاخرى . فقال : يا سيدي احذر ولا تغتر بقول الشاه ، فان للشاه اغراضاً خاصة وان تصرفاتك ستنقل اليه بلحظة . ثم جرني الملا باشي الملقب نفسه ببحر العلم الى المحاورة المنتظرة [١] .

ولما سمع الشاه بأمر هذه المباحثة اصدر امراً بوجوب اجتماع علماء ايران وافغانستان وما وراء النهر في محل صفين وازالة ما يستوجب تفكير بعضهم لبعض وتعيين حكم من جانب الشاه ، وتم الاتفاق على الاجتماع تحت سقف ضريح الامام من جهة الرأس .

ومن هؤلاء العلماء ما عدا مفتي اردلان وعلماء آخرين دونت اسماؤهم كما يلي :

---

١) لم نجد ثمة فائدة تاريخية في نشر المناظرة المشار اليها بين عبدالله السويدي والعلماء الايرانيين لأنها ترديد لما قيل تكراراً في هذا الموضوع ، وهي أخلق بأن تنشر في كتب الفقه منها بكتب التاريخ - الناشر .

فمن علماء ايران علي اكبر الملا باشي ، وآغـا حسين مفتي ركاب الشاه ، والملا محمد امام لاهيجان ، وآغا شريف مفتي مشهد الرضا، ومرزا برهان القاضي بشيروان ، والشيخ حسين المفتي بأورمية ، ومرزا ابو الفضل المفتي بقم، والحاج صادق المفتي بجام ، والسيد محمد مهدي امام اصفهان ، والحاج محمد التركي المفتي بكرمنشاه ، والشيخ محمد التامي المفتي بشيراز ، ومرزا اسد الله المفتي بتبريز ، والملا طالب المفتي بمازندران، والملا محمد مهدي نائب الصدارة بمشهد الرضا، والملا محمد صادق المفتي بخلخال ، ومحمد مؤمن المفتي باشراباد ، والسيد محمد تقي المفتي بقزوين ، والملا محمد حسين المفتي بسبزوار ، والسيد بهاء الدين المفتي بكرمان ، والسيد احمد المفتي باردلان ، وغيرهم من علماء الشيعة .

وجاء بعدهم علماء الافغان وهم : الشيخ الفاضل الملا حمزة القلجائي الحنفي مفتي الافغان ، والملا امين الافغاني القلجائي، والملا سلمان قاضي الافغان الحنفي، والملا طه الافغاني المدرس بنادر اباد الحنفي ، والملا نور محمد الافغاني القلجائي الحنفي ، والملا عبد الرزاق الافغاني القلجائي الحنفي ، والملا ادريس الافغاني الآبدي الحنفي .

وجاء بعدهم علماء ما وراء النهر وهم سبعة انفار وبينهم شيخ جليل كان في غاية الوقار وعلى رأسه عمامة مدورة كبيرة يخال الرائي له انه تلميذ ابي حنيفة اعني ابـا يوسف رحمهما الله ، وقد سلموا عليّ وجلسوا عن يميني . وجلس عن يساري ١٥ نفراً من علماء الشيعة وقسم من علماء الافغان منهم العلامة هادي خواجه الملقب ببحر العلم بن علاء الدين البخاري القاضي الحنفي ببخارى ، وعبد الله صدور البخاري الحنفي ، والخواجه قلندر البخاري الحنفي ، ومرزا خواجه البخاري الحنفي ، والملا ابرهيم البخاري الحنفي ، وعلى هذا المنوال اخذ كل منهم مجلسه .

وخطب الملا باشي موجهاً كلامه نحو بحر العلم قائلا : تعلمون من هو هذا ، واشار نحوي ، انه من افاضل علماء السنة ، وقد طلب الشاه حضوره من احمد

باشا ليكون حكماً بيننا ووكيلاً عن الشاه نفسه، ويكون الشاهد على ما نتفق عليه . واول سؤال نقدمه هو ان تبينوا لنا الاسباب التي تدعوكم الى تكفيرنا لكي ندفع ذلك عنا بحضوره ، ونحن على التحقيق لسنا كفرة ، فقد ورد في كتاب « جامع الاصول » ان للاسلام خمسة مذاهب وان المذهب الامامي هو الخامس ، كما وان في كتاب « الفقه الاكبر » لأبي حنيفة قوله : لا تكفروا اهل القبلة . وفي كتاب شرح الهداية قوله : والصحيح ان الامامية من الفرق الاسلامية. وهكذا قال علماؤنا عنكم بينما المتعصبون الجهلة منكم اعتبرونا كفاراً مما حمل جهلاءنا على مقابلتكم بالمثل وتكفيركم . والحقيقة لا نحن كفار، ولا انتم كفار ، فلنبحث هذا الموضوع لازالة سوء التفاهم من بيننا .

قال الخواجه هادي: ان مأخذنا عليكم هو تضليلكم للصحابة وتكفيرهم. فقال الملا باشي : ان الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه كلهم عدول . وقال الخواجه هادي: انكم تقولون بحلية المتعة. فأجاب الملا باشي: ان المتعة عندنا حرام وانه لا يقول بها الا سفهاؤنا . فقال بحر العلم هادي خواجه : انتم تفضلون علياً على ابي بكر وتقولون انه الخليفة بعد الرسول بالحق . فأجابه الملا باشي: ان افضل الخلق بعد النبي هو ابو بكر بن ابي قحافة ، ثم عمر، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وعلى هذا الترتيب صارت خلافتهم . فسأله بحر العلم : هل هذه من اصول عقيدتكم ؟ فأجابه الملا باشي : ان اصول عقيدتنا تتبع عقيدة ابي الحسن الاشعري . فقال بحر العلم : ان لي شرطاً معكم وهو ان الضروريات الدينية الحاصل عليها الاجماع يجب ان لا تبدلوا حلالها الى حرام ، ولا حرامها الى حلال . فقال الملا باشي : نقبل بهذا الشرط. فقال بحر العلم : وشرط آخر وهو ان تتجنبوا الاشياء المتفق على حرمتها من الائمة الاربعة . فقبل الملا باشي ذلك ايضاً . وبعد ذلك خاطب الملا باشي بحر العلم قائلاً : نحن قبلنا كل ما ذكرتم فهل تعتبروننا الآن من الفرق الاسلامية ؟ فسكت بحر العلم ثم قال : ان سب الشيخين يعد كفراً . فأجابه الملا باشي اننا رفعنا السب عن الشيخين

وقبلنا الشروط المتقدمة ، أفلا تعدوننا من الفرق الاسلامية ام لا نزال كفاراً باعتقادكم ؟ فسكت بحر العلم ايضاً ثم كرر قوله ان سب الشيخين كفر . فقال الملا باشي : ألم نرفع السب . فأجابه بحر العلم : ما هي الاجراءات التي اتخذتموها لضمان رفع السب ؟ فقال الملا باشي : اننا رفعنا السب مع بقية الشروط التي قبلناها ، أفلا نُعد من الفرق الاسلامية ؟ ام اننا لا نزال مع قبول الشروط كفاراً باعتقادكم ؟ فأجابه بحر العلم مكرراً قوله ان سب الشيخين كفر .

فناقشه مفتي الافغان الملا حمزة قائلاً : يا بحر العلم هل صدر من هؤلاء قبل هذا المجلس سب للشيخين ؟ فأجابه بحر العلم بقوله لا . فقال الملا حمزة : لماذا لا نعدهم من الفرق الاسلامية بعد صدور الالتزام منهم بعدم سب الشيخين في المستقبل ، وعفا الله عما سلف ؟ وعندئذ قال بحر العلم : نعم انهم مسلمون لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وقام الجميع وتصافحوا وكل واحد يقول لصاحبه اهلاً بأخي .

وقد شهد على تلك الشروط والالتزام بها الفرق الثلاث ، وعلى هذا امتزج اعضاء المؤتمر بعضهم مع بعض وتجمهر حولنا ما يزيد على العشرة الاف من العجم وغيرهم ، وكان ذلك قبيل الغروب .

ولما كان من عادة اعتماد الدولة الحضور الى خيمة الشاه مساء ، جاء نحوي وبلغني سلام الشاه وسروره بما وصلت اليه النتيجة قائلاً : ان هذا بفضلكم وانه دعا لكم ويرجو منكم ان تكونوا حاضرين غداً مع هؤلاء العلماء لأن الشاه أمر بتنظيم محضر والتوقيع عليه من قبلهم جميعاً معززاً بتوقيعك في الصدر بصفتك شاهداً على الفرق الثلاث . فقلت حباً وكرامة .

واجتمعنا في اليوم الثاني بمكان الامس قبل الظهر ، وكان يقف خارج القصبة من جهة باب الفرج ستون الفاً من العجم مصطفين بترتيب ، فأخذنا مجلسنا واحضروا جريدة يزيد طولها على سبعة اشبار وقد استوعبت الكتابة ثلثي الجريدة ، وقد قسم الثلث الباقي الى اربعة اقسام يفصل ما بين قسم وآخر

بياض بقدر اربعة أصابع كفواصل . وسطور هذه الاقسام الاربعة كتبت بصورة مختصرة . والتمس الملا باشي من المفتي آغا حسين ان يتلوها شخص وهو واقف في محل مرتفع ، وباشر بقراءتها وكانت محررة باللغة الفارسية. وان الثلاثين الاولين كانت سطورهما طويلة وهي عن لسان الشاه وكان مضمونها كما يأتي :

« كانت حكمة الباري عز وجل البالغة أن يرسل رسلاً لتبليغ الدين واحداً بعد آخر متتابعين الى بعثة خاتم الانبيـــاء محمد المصطفى (ص) ، فبلغ رسالته وارتحل خاتم الانبياء الى دار البقـاء . وقد اتفق الصحابة على ان الافضل بعده والأعلم هو ابو بكر الصديق بن أبي قحافة (رض) وحتى ان علي بن ابي طالب قد بايعه على ذلك طوعاً واختيـــاراً ، وان اجماع الصحابة على ذلك يعتبر حجة قطعية لأن البـــاري تعـالى مدحهم بقوله « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصـار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنـات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابداً ذلك الفوز العظيم » [1] .

وقد ورد في الكلام القديم ايضاً قوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ». وكان عدد الصحابة في ذلك الوقت سبعين صحابياً وهم أنفسهم كانوا حاضرين وبايعوا أبا بكر ، وقد ورد عن النبي (ص) : « اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » . وبعد ذلك عهد ابو بكر بالخلافة لعمر بن الخطاب وقد بايعه هؤلاء الصحابة ومن ضمنهم علي بن ابي طالب بالاجماع. وبعد ذلك عهد عمر بالخلافة الى ستة اشخـاص اولهم علي بن ابي طالب للتشاور بينهم وانتخاب احدهم خليفة ، فاتفق هؤلاء الستة على عثمان بن عفـــان الذي استشهد في داره ولم يكن هنالك مجال يسمح له باعهاد الخلافة الى احد فبقيت الخلافة شاغرة ، وحصل نزاع بين أصحـاب علي بن ابي طالب وبين الآخرين ، ولكن هـذا النزاع بينهم لم يتطور الى التنافر والتباغض حتى ان علي بن ابي طالب لما سئل عن الشيخين قال انهما امامان عادلان قاسطان كانا على الحق وماتا

---

١) التوبة ج ١١

عليه . وكذلك ابو بكر عندما جيء به للمبايعة بالخلافة قال : أتبايعونني وفيكم علي بن أبي طالب ؟ فيـــا أهل ايران ان هؤلاء الصحابة قد جرى ترتيبهم في الاستخلاف على هذا الشكل ، فكل من يسبهم او ينقص من قدرهم يكون ماله وأولاده وعياله غنيمة ودمه مهدوراً من قبـل الشاه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .

وفي سنة ثمانية واربعين ومائة والف وفي صحراء صفان ، تعهدتم لي برفع السب ، وان كل من يسب بعد الآن يقتل وتؤسر اولاده وعيـــاله وتصادر أمواله من قبلي » .

ولم يقع بعد ذلك التاريخ في ايران واطرافها سب او مـا شاكل ذلك من الامور القظيعة التي كانت على عهد الشاه اسماعيل الصفوي وأولاده منذ سنة سبعة وخمسين وثمانمائة .

وبعد الانتهـاء من تلاوة سطور الجريدة قلت ان لي اعتراضـــاً على بعض الالفاظ الواردة فيها وخاطبت الملا باشي قائلاً : انني اطلب تبديل لفظة (نصب) بلفظة (عهد) وذلك لانها تجعل الاصحاب على عهد عمر من النواصب كما تفسرون ذلك في لغتكم . وقد عارض ذلك احد الحاضرين وهو السيد نصرالله قائـلاً : ان الذي قلتموه يخالف معنى هذه اللفظة اذ لا يتبادر الى ذهن القارىء شيء مما تقصدونه ، واني اخاف ان تكون سببـــاً في حدوث فتنة بهذه التفسيرات والمناقشات . وأيده في قوله الملا باشي ، وعندئذ التزمت السكوت ، ثم قلت للملا باشي : ان مدح علي بن أبي طالب للشيخين بقوله « هما امامان الى آخره » تحملونه على معـان اخرى لا تليق بالشيخين . فاعترض السيد نصرالله ايضـاً . ثم اعترضت في مكان آخر على جملة في كلام أبي بكر قالها بحق علي حين البيعة ، لان ذلك ليس ثابتاً عن طرقنا ، والذي اردت بيانه هو ما ورد على لسان أبي بكر بحق علي ، فعارض الشخص المذكور ايضاً وهو السيد نصرالله ومال اليه الملا باشي .

وبالنظر لما تقدم آنفاً عدنا الى كلام الشاه المسطور باللغة العربية ، ونذكر مضمونه أدناه :

« إننا قررنا وجوب رفع السب وعدم تفضيل الصحابة بعضهم على بعض إلا بموجب الترتيب الواقعي التاريخي ، وكل من يخالف ما ورد في هذه الوثيقة ويعيد السب او ما شاكل ذلك عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، وانه يستحق غضب الشاه وهدر دمه ومصادرة أمواله » .

وبعد ذلك ختمت الوثيقة ووشحت بأسماء الذين ختموها ، ومن جملتهم جماعة من أهل النجف و كربلاء والحسكة والجوازرية ، ولا سيما الشخص الذي كان يميل الى المذهب الشيعي ويعارض بكل مناسبة ، وهو بن قطة المعروف بالسيد نصرالله ، وايضاً الشيخ جواد النجفي الكوفي .

والسطور القصار في القسم الثالث من الجريدة تناولت المضمون باللغة الافغانية مبينين ان الجميع من الفرق الاسلامية لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. وأما السطور القصيرة للقسم الرابع فقد تناولت اسماء واختام علماء ما وراء النهر.

وبعده تقدم الحقير ووضع في صدر الجريدة اسمه وختمها بختمه بصفة شاهداً على الفرق الثلاث :

وبعد الفراغ عمت الافراح والمسرات جميع الفرق الاسلامية ومن ضمنهم أهل السنّة والحمد لله على ذلك . وبعده قدمت لنا الحلويات في أوان من الذهب مرصعة بالجواهر ، وبخّرونا بمبخرة كبيرة فيها العنبر ، ثم سجلت هذه المبخرة وقفاً لحضرة الامام علي بن أبي طالب. وخرجنا وذهب كل فريق الى سبيله ، غير انهم أحضروني أمام الشاه ، وجرى لي استقبال حافل اكثر مما جرى لي سابقاً ، وأجلسوني بالقرب منه فتفضل وقال لي : جزاك الله وأحمد باشا خير الجزاء ، فان احمد باشا لم يقصر في مساعدتي لاصلاح ذات البين واطفاء نائرة الفتنة وحقن دماء المسلمين ، وان الوزير وآل عثمان منزهون لدينا من التقصير

والله سبحانه وتعالى يعزهم ويرفعهم الى اكثر مما هم عليه الآن . ثم قال : يا عبدالله أفندي ، لا تظن أن هذا العمل يدعوني الى الفخر لأن هذا من توفيقات الباري عز وجل الذي يسّره لي ووفقني الى ان اكون سبباً لرفع السب عن الصحابة ، مع ان سلاطين آل عثمان ، ولا سيما السلطان سليم الذي جهز العساكر والجنود وصرف الاموال الطائلة وأتلف نفوساً لا تعد ولا تحصى في سبيل رفع هذا السب فلم يوفق ، بينما أنا والحمد لله رفعته بكل سهولة مع ان أهل لاهيجان الذين تربوا على عهد الشاه اسماعيل ما زالوا يبثون الفتن والحركات . فقلت له : إن شاء الله تعالى سيكون العجم كلهم من أهل السنّة والجماعة وتزول من بينهم هذه الفوارق بوجودكم. فقال : ان شاء الله. ثم اردف قائلاً : يا عبدالله أفندي ، ان أردت ان أفخر فانما أفخر لأنني في مجلسي هذا بمثابة أربعة ملوك ، وهم : ملك ايران ، وملك التركستان ، وملك الهند ، وملك الافغان ، وهذا من توفيق الباري تعالى الذي جعلني على رأس أهل الاسلام ، ولي المنة عليهم لأني رفعت السب عن الصحابة الذين أرجو ان يكونوا لي شفعاء عند الله . ثم قال لي ان أحمد باشا بانتظارك ولا شك ، وسوف أجري اللازم لاعادتك اليه ، ولكن غداً الجمعة . وأودّ ان أقيم صلاة الجمعة في مسجد الكوفة ، وقد أمرت أن يذكر الصحابة بالتجلة والاكرام على الترتيب الذي جرى الاتفاق عليه ، وأوصيت بأن يدعوا لأخي سلطان آل عثمان ، على ان ينعت بالصفات الطيبة ويثنى عليه اكثر مما يثنى عليّ ، وان يكون الدعاء لي من بعده بصورة مختصرة احتراماً لاخي السلطان العثماني ، ثم قال : ولم انجاوز في ذلك الحقيقة لأنه سلطان بن سلطان بينما جئت انا الى الدنيا ولم يكن أبي ولا جدي من السلاطين .

وبعدئذ سمح لي بالخروج فسمعت الرجال الذين كانوا في المخيمات يشيدون جميعاً بذكر الصحابة ومدحهم وتبيان فضائلهم ومناقبهم بدرجة تفوق ما يصدر عن أهل السنة ، وكانوا يسفهون اراء اسماعيل الصفوي .

وفي صبيحة يوم الجمعة غادرنا النجف إلى الكوفة فأمر الشاه ان يؤذنوا أذان الجمعة وأن تقام الصلاة بحضوره. فقلت لاعتماد الدولة : ان اقامة الصلاة في جامع الكوفة لا تصح في نظر الحنفية لانه ليس بمحل اقامة لهم ، كما وانه لا يوجد أربعون نفراً من الشافعية لكي تصح صلاة الجمعة بهم.

فقال المراد هو سماع الخطبة ، وانك مخيّر في اعتبار الصلاة صلاة جمعة أو صلاة الظهر. فذهبت أنا أيضاً إلى الجامع حسب رغبة الشاه ووجدت هناك ما يقرب من الخمسة آلاف من المسلمين وجميع علماء ايران وفضلائهم، وكان الامام الخاص بالشاه المدعو علي مدد جالساً على المنبر وحوله الملا باشي والسيد نصر الله يتهامسان فيما بينهم.

وباشارة من الملا باشي نزل علي مدد وصعد بدلاً عنه السيد نصرالله ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) وترضى على الخليفة من بعده سيدنا ابي بكر الصديق (رض) وعلى الخليفة الثاني الناطق بالصدق والصواب سيدنا عمر بن الخطاب (رض)، وقد صرف كلمة عمر مع أنها ممنوعة من الصرف، وكان غرضه من ذلك ان عمر لم يكن عدلاً ولا معرفة ليكون ممنوعاً من الصرف.

ثم قال : وعلى الخليفة الثالث جامع القرآن سيدنا عثمان بن عفان (رض) ، وعلى الخليفة الرابع ليث بني غالب سيدنا علي بن أبي طالب ، وعلى ولديه الحسن والحسين وعلى باقي الصحابة والقرابة رضوان الله عليهم أجمعين ، اللهم أدم دولة ظل الله في العالم سلطان سلاطين بني آدم موضع الرفعة فوق نجم المريخ ، ثاني اسكندر ذي القرنين، سلطان البرين وخاقان البحرين ، خادم الحرمين الشريفين السلطان محمود خان بن السلطان مصطفى خان ايد الله خلافته وخلّد سلطنته ونصر جيوش الموحدين على القوم الكافرين بحرمة الفاتحة.

وبعده دعا لنادر شاه بدعاء قصير كان بعض عباراته عربية وبعضها باللغة الفارسية ومضمونه كما يأتي :

« اللهم ادم دولة من أضاءت به الشجرة التركمانية ، ملك قاآن الرياسة ،

وجنكيز السياسة ، ملاذ السلاطين وملجأ الخواقين ظل الله في العالمين صاحب قران نادر دوران » ... ثم نزل من المنبر وشرع باقامة الصلاة ولكن يديه كانتا مسبلتين مع ان العلماء الذين خلفه والخانات كانوا مكتفين أيديهم اليمنى على اليسرى . فقرأ الفاتحة وسورة الجمعة وقبل الركوع رفع يديه وقرأ القنوت جهراً وكذلك التسبيحات في الركوع والسجود ، ثم كبر ورفع رأسه وقام بدون قول (سمع الله لمن حمده) و (ربنا لك الحمد) ، وفي اعتداله أيضاً قرأ القنوت جهراً وجهراً أيضاً في التسبيحات في الركوع والسجود ، وفي السجدة الثانية جهراً أيضاً ببعض الادعية ، وبعده قام إلى الركعة الثانية فقرأ الفاتحة وسورة المنافقين ، وبعد التشهد أكثر من كلمة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته التي رفع بها صوته ، ثم رفع يديه إلى رأسه وسلم عن يمينه فقط .

وبعد ذلك جيء بالحلويات التي أحضرها الشاه ، وعند توزيعها حصل ازدحام وتهافت إلى درجة ان طارت معها عمامة الملا باشي عن رأسه وجرحت اصبعه السبابة، وقد سألت مستغرباً عن أسباب هذا التزاحم والمغالبة في التقاط الحلوى، فقيل لي ان ذلك مما يبعث السرور إلى قلب الشاه ويزيده فرحاً وانبساطاً .

ثم أذن لي الشاه بالسفر وزودوني بنسخة من الجريدة ومن الخطبة ، فقدمتها إلى أحمد باشا وعرضت عليه جميع ما حدث فاستحسن ذلك .

أما الشاه فبعد اتمام الزيارة رحل إلى بلاده ، وبذلك عاد الأمن إلى الربوع وعادت الأمور إلى مجاريها الطبيعية .

ذكر وقائع سنة سبعة وخمسين ومائة والف

القاء القبض على شيخ زبير واعوانه

في أيام الحصار التي تقدم ذكرها وكان المدعو غصيبة شيخ زبير من جملة الذين أعانوا الاعجام وتمردوا على الحكومة ، فلما انقشعت تلك الغمة أخذ

الموما اليه يتنقل من مكان إلى مكان لأن الثائر خائف ، فلم يتيسر القبض عليه أخيراً وعندما اقتضى ارسال حملة تأديب عشيرة شمر حضر الموما اليه مع أتباعه إلى الحلة زاعماً انه حضر لمعاونة الحملة والالتحاق بها ، وعندئذ قبض عليه الكتخدا سليمان باشا وأعدمه هو والرؤساء الذين كانوا يتبعونه ويشاركونه في خيانته . وبعد تنظيم الأمور عادت الحملة إلى بغداد .

ذكر وقائع سنة ثمانية وخمسين ومائة والف
نقض نادر شاه لعهوده وقيامه بالتحشدات على الحدود

بالرغم من العهود التي قطعها نادر شاه على نفسه فقد حفزته طبيعته المجبولة على عدم الاستقرار والثبات ، ودفعته إلى اعادة الكرة في الهجوم على العراق غير متذكر ما حل به عندما هاجم الموصل وبغداد سنة ستة وخمسين ومائة والف ، وراح يحشد قواته ويجهزها بالمعدات والذخائر الحربية ويقترب بها من الحدود العثمانية ثم تخطاها حتى بلغ قارص، وعبر نهر الاربة، فتصدى له الصدر السابق مصطفى باشا وظل يناوشه بما لديه من قوات الحدود مدة ثمانين يوماً ، وحال بينه وبين تقدمه إلى داخل الحدود ، ثم تواردت عليه القوات النظامية بالتدريج لمعاونته ولشد أزره ، وقد تمكن من زحزحة الجيوش الايرانية عن حدود قارص بعدما هلك منها ما يزيد على الستة الاف قتيل . ثم اصيب مصطفى باشا بمرض أقعده ومنعه من مزاولة العمليات الحربية ، فأبدل بالقائد محمد باشا الذي زود بتعليمات تقضي عليه ان يبذل قصارى جهده لدحر الشاه وجيوشه ، ورده إلى داخل حدوده وعدم التساهل مع الجنود الايرانيين . وقد اشتد غضب الدولة العلية فأوعزت إلى قائد القرم نور الدين سليم بأن يتحرك مع قواته البالغة مائة الف من جهة (وان) وكذلك أوعزت إلى والي ديار بكر المدعو عبد الله باشا ، وإلى والي الموصل عبد الجليل زادة حسين باشا

ان يتوجه كل منهم بقواته نحو الحدود الايرانية وارغام الاعداء على التراجع وتعقبهم إلى داخل حدودهم .

وقد وصل كل من عبد الله باشا ، وعبد الجليل زادة حسين باشا ، وأردلان خان أحمد خان قرب دشت ، وقد قـامت القوات الزاحفة من وان بمحاصرة المدن الايرانية الواقعة على الحدود ثم احتلتها وتقدمت إلى الامام ، وهكذا هجمت القوات العثمانية على ايران من كل صوب ومكان ، وبعثت في قلوبهم الروع والرهبة والفزع ، وزلزلوا زلزالاً كبيراً ، وظهرت عليهم علائم الذل والانكسار. وقد فر نحو الجيوش العثمانيـــة مقدار كبير من العشائر والقوات التي كانت تحارب تحت راية الجيش الايراني ، ومن اولئك الفـارين مكري خان محمد قلي خان وأخوه امـــام قلي خان ، فأسكنتهم الدولة العثمانية هم وعشائرهم حول كوبسنجق وبلباس ، وحـاكم تبريز محمد قاسم خـان اخشار ، وحاكم خوى مرتضى قلي خان ، ورئيس دنبلي محمد طاهر بيك مع عشائره كافة ، ونوح بيك صنصرلو وعشيرته ، وحاج آغا طولولو وعشيرته ، ومحمد علي بيك كره صونلو وعشيرته ، وملك آغـا اقجية قوبونلو وعشيرته ، واسماعيـل آغـا طابنيكلو وعشيرته ، وعلي رضا بيك طولكلو وعشيرته ، وقد اسكنوا في منطقة وان .

هذا وكانت القوات التي تحت قيادة محمد باشا قد اجتازت الحدود ودخلت الاراضي الايرانية متقدمة إلى الامام . وما ان حل اليوم الثـاني عشر من شهر رجب الفرد إلا واقتربوا من المحل المسمى روانه وعسكروا في صحراء قفاورد ، ولما كان الشاه وعساكره قريبين من المحل المذكور فقد قام باتخاذ التحصينات والاستحكامات لصد هذا الزحف ، ولكن الجيوش العثمانيـة لم تفسح له المجال وهاجمته وراحت تلقي عليه حممها وتفتك به فتكاً ذريعاً دون شفقة ورحمة حتى زحزحته واندفعت وراءه ، وكلما اتخذ له موقعـاً للدفـاع فيه دكته المدافع واضطرته الى التراجع والانسحاب ، واستمرت تتعقبه من مكان إلى مكان وتضيق عليـه الخناق ، وأخيراً شنت عليه هجومـاً عامـاً اضطرتـه الى الفرار

٥

والاندحار ، وانكشف عجز الجيوش الايرانية وضعفها وعدم قابليتها على الاستمرار في الحرب .

وبعد فرار الاعداء عقد القواد مجلساً عسكرياً للمداولة فيما ينبغي اتخاذه لا سيما وان القائد العام قد انحرفت صحته واشتدت عليه علته ، ولكن المداولة طالت مما حمل بعض المفسدين على اثارة الفتنة بين الجنود وتثبيطهم باشاعة مرض القائد العام الذي وافته المنية في تلك الاثناء، مما زاد في عتوهم وراحوا يحرضون العشائر الموالية على الانسحاب والفرار من الجيش ، وسرت هذه الفتنة الى العشائر الاخرى مما شجع الجيش الايراني على لمّ شعثه ومعاودته الحرب ، ولكنهم جوبهوا بنار حامية اضطرتهم الى التراجع ايضاً . ثم قرر الجيش العثماني ان يتراجع نحو قارص لعدم الفائدة من الاستمرار في تعقب الايرانيين في اراضيهم الواسعة الارجاء ، وعرض الامر على الدولة العلية ، وظلوا بانتظار اوامرها وتعليماتها .

أما الشاه فقد عاودته فكرة الهجوم مرة أخرى وراح يجمع فلول جيشه من هنا ومن هناك، بالرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدها في الارواح والاموال ، واتخاذه اخيراً حرب المراوغة والمخاتلة والانهزام امام الجيوش العثمانية المظفرة ، ثم الكر عليها ، غير انها فطنت لمقاصده من وراء هذا النوع من الحرب (حرب العصابات) فكفت عن تعقبه وملاحقته .

أما الدولة العلية فقد حشدت قوات اخرى للقضاء على الشاه ، وكانت هذه القوات قد جمعت من روم ايلي والاناضول والقرم ومصر وجهزتها بمختلف المعدات ، وأوعزت الى كل من الصدر الاسبق الحاج احمد باشا والصدر السابق علي باشا باعادة الكرة في الهجوم على ايران عن طريق قارص وارضروم ، وقد انقسمت هذه القوات الى قسمين اتجه كل قسم الى جهة ، فلم ير الشاه الا وقوات الدولة العلية تحاصره من كل جانب ، ورأى انه اصبح عاجزاً عن مقاومتها ، وانها ستهلكه ومن معه اذا استمر على محاربتها . وعندئذ آثر السلامة وأعلن

رغبته في الصلح واحلال السلام بدل الاستمرار على الحرب والخصام . وأوفد القائم مقام اعتماد دولته فرزند زاده شاه رخ الى الصدر الاعظم، كما اوفد رئيس علماء ايران الملا علي اكبر الى شيخ الاسلام، وسافرت هذه الوفود الى الاستانة عن طريق بغداد ، وأرسل رسالة خاصة بيد سفيره فتح علي بيك التركمان الى والي بغداد احمد باشا ليساعده ، وليكون في جانبه واسطة خير وصلاح .

وعند وصول الوفود الى بغداد قام الباشا من جانبه باستنساخ وترجمة الرسائل الواردة بيد هؤلاء الوفود ، ثم قدمها الى الدولة العلية ، وفيما يلي صور هذه الرسائل .

صورة كتاب نادر شاه

« باسم الله الرحمن الرحيم أعلى حضرت خورشيد طلعت مشتري سعادت بهرام صلابت كيوان مهابت خليفة خافقين ثاني اسكندر ذي القرنين برادر سليمان شاه بادشاه اسلام بناه ظل الله خلد الله ملكه ... نعرض على الهمايون اخلاصنا ومختلف دعواتنا وآلاف التحيات الطيبات الممزوجة بالحب والاخلاص، وتلبية لطلب الجميع وتعبيراً عن آراء الجماهير من مقلدي الامام جعفر الصادق رضي الله عنه نقول : من بعد حدوث قضية القائد محمد باشا اخذنا نفكر في هذه الحروب القائمة بين اهل الاسلام وكيفية توقيها واحلال السلام بدلاً من سفك الدماء، هذه الحرب التي سوف لا تبقي على الاخضر واليابس في حالة استمرارها. فعليه ، ولتوفر حسن النية وكون الجميع على دين واحد ، وان الايرانيين الذين يذهبون الى بيت الله الحرام يقومون بتأدية الصلاة والفرائض مقتدين بأي امام من أئمة المذاهب الاربعة مما يجعلهم متحدين ويداً واحدة لا فرق بين احد منهم، فمن اجل هذه الروابط الدينية والاخوية أتقدم بالتماس طلب العفو والمصالحة بين الدولتين وادامة اتفاقهما الى يوم القيامة ، ونأمل من جلالتكم ان توافقوا على ذلك وعدم رد التماسنا ودامت عظمتكم وايام خلافتكم » .

وتليها الرسالة الخاصة التي تناولت مـــا قام به الشاه من الجهود والاتعاب للتوفيق بين الطائفتين السنة والشيعة .

صورة جواب البادشاه
المرسل بيد فتح علي بيك تركمان

«بسم الله الرحمن الرحيم، سلام قولاً من رب رحيم ، أبهى مـــا يزين بـه فصول الخطاب جواهر حمد الله الملك الوهـاب الذي أنار براهين انتظام الدنيا والدين، وأبان سبله على لسان نبيه المبعوث رحمة للعالمين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وخلفائه الاكرمين وأحبابه ما حفظت حدود الاسلام والمسلمين ، وصينت به ثغور الاداب المستطابة بين الملوك والسلاطين .

أما بعد ... » وتليها عبارات المجاملة والاطناب في مدح صفات الشاه ، ثم الموافقة على احلال السلام، شريطة اعادة الحدود إلى ما كانت عليه أيام السلطان مراد خان الرابع ، التي ذكرت تفاصيلها في عقد الصلح حينذاك والتي حررت مجدداً وأرسلت نسخة منها بيد السفير، فان وافقتم على ذلك فان الصلح سيكون بيننا وطيد الاركان سواء في زمننا هذا أم في زمن الذين سيأتون بعدنا .»

وقد أرسل العقد بيد السفير مصطفى نظيف وأوله :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، باسم الله فاتحة الكتاب والحمد لله خاتمته ، ثم أتم صلاة المصلين وأكرم سلام المسلمين على من بعثه لانتظام أمر الدنيا والدين، فكانت بعثته رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وأحبائه السالكين على منهجه القويم والتاركين ما يخالف شرعه المستقيم .

أما بعد .... » ويلي ذلك عبارات المجاملة والمدح والصفات الطيبة كمثل: بهاء الدنيا والدين ، وجمال الاسلام والمسلمين ، مصدر الاستراحة والمسالمة والشان ، ومظهر البسالة والامارة والعنوان ، الجالس على تخت كسرى أنو شروان ...

نادر شاه أتم بالخير مقاصده وشيد بالصدق صادره وارده ... ثم أورد تفاصيل العقد الذي يتضمن خمس نقاط ، ثلاث منها فيما يتعلق بالملكية والحدود ، واثنتان فيما يتعلق بأمور الدين».

ثم تأتي بعده رسالة الصدر الاعظم إلى شاه رخ ميرزا اعتماد الدولة ، وأولها كما يلي :

« جناب أصالت مآب ، ينابت لعناب، وكالة انتساب ، سعادت اكتساب، صاحب صائب رأي عالي منزلة ، مشير مشتري ، تدبير آصف [1] ، منقبت مستحكم أركان مملكت ، مستجمع أسباب سلطنت ، فرازندة رايات سروري، فروزندة جراغ مهري ، نهال حديقة اجلال ، وكامكاري غنجة كلستان اقبال ، وبختياري رواء روي شكوة ، وشان شاه رخ ميرزاى رفيع العنوان مجلس شريف سعادت نقش ، وميدان منيف بسالت رخش ، مرير حب ووداد ، ومسند آراء الاتحاد ، تحف تحيات عاليات مخالصت غا ، وتنف وتسليمات ... الخ » ثم سرد تفاصيل الموضوع الذي أتى به الوسطاء فكان مضمونه لا يختلف عن مضمون كتاب السلطان وما تضمنه من كلام حول العقد . ويلي ذلك كتاب شيخ الاسلام الموجه إلى الملا علي أكبر رئيس علماء ايران ، وهو كما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أيد الشرع بأنوار الصدق واليقين وأيده بتأييد الملك والسلطنة بين المعلمين والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله العظام وصحبه الكرام ومن يتبعهم بما حان إلى القيام ، بعد اهداء التسليمات الزكية واتحاف التحيات الصافية إلى المولى المشرف برياسة العلمين على أعلام العلماء بممالك ايران في هذا الزمان دام محفوظاً عز الله الملك المنان ، فالذي ينهي الى الجناب العالي متبوع اعلام الموالي انه قد حرر في

---

[1]) يقصد اصف بن برخيا وزير النبي سليمان بن داود عليهما السلام .

الزبيرة الملفوفة مع المفــاوضة السعيدة القاءانيــة التي وردت الى ساحة الخلافة العظمى ما يتعلق بأمر الحدود وهو تشطير بعض ممالك المحمية الواقعة في التخوم المحروسة بعناية الله الملك القيوم على نهج الرجاء الصادر عن الحب والوداد لا على وجه الالتزام وتفويض الرد والقبول الى اختيــار حضرة الخلافة الكبرى حسبما تقتضيه العقول ، فلما وصل هذا التحرير ولوحظ ما فيه من المحاذير على ان هذا أمر لا يرجى ولا يساعد عليهـا بالرضا كيف لا وقد ظهرت عليهـا السلاطين العظـام العثمانية أنار الله براهينهم وأخذوا على أيدي المخـالفين بعون الملك المعين فوقعت في حوزة سلطاننـــا الاعظم الاكرم بالارث والاستحقاق وصارت محروسة كسائر الممالك المعمورة في الافاق فضرف الاختيار الى خلافة غير مختار بل التحقيق بالاعتناء والاعتبار ابقاء التحديد الواقع في زمن السلطان مراد خان الرابع أسكنه الله تعالى في أطيب المساكن والمرابع فاقتضى الحـال لاعلام هذا المقال ان يرسم ألوكة فخمة سلطـانية مخصوصة ويبعث رسولاً معيناً من الرجال حسب العـادة القديمة والديدنة المستديمة في الدولة العلية فاستعد بتلك السفارة من أرباب الاقلام في الديوان العالي مصطفى نضيف الموصوف بالرشد والسداد دام في حفظ رب العباد يحمل تلك الالوكة الفخيمة السلطانية وينقلها الى تلك الحضرة القاءانية وفوض اليه بعض الامور المرسومة حسب مـــا رسم في تلك المشرفة الساميـة فلذلك حرر تلك الرسالة المخصوصة مع هذا السفير الرشيد فاذا وصلت الى جنابكم العـــالي نرجو سعيكم المشكور في حصول تلك الامور على الوجه المسطور في المفاوضة السلطـانية ونرجو التوفيق من الله الملك العلام ليسر اتمام هذا المرام » .

ذكر وقائع سنة تسعة وخمسين ومـائة والف
وصول الوفد المفاوض إلى بغداد

عند وصول الوفـد المفـاوض الى بغداد وعلى رأسه نظيف مصطفى أفندي مبعوث الدولة العلية وفتح علي بيك تركمان السفير الايراني، قام الوزير أحمد باشا

من ناحيته بانتخاب كاتب الديوان ولي أفندي ليكون بمعية الوفد المذكور . ثم واصل الوفد سفره نحو ايران .

وفي أواخر شهر شعبان من السنة المذكورة تلقى الوزير كتاباً من نظيف أفندي ، ملخصه انه وصل إلى معسكر الشاه الذي كان مقيماً ما بين قزوين وطهران وقد قدم الى الشاه ما معه من رسائل وبلغه بما أمر به . فتلقى الشاه كل ذلك ببالغ الحفاوة والتعظيم ووافق على كل ما جاء فيها وأمر معير الممالك حسن علي خان باتخاذ مـــا يلزم بهذا المصدر وخوله التوقيـع على الاتفاق باسم ايران ، وبعد المذاكرة وتبادل الآراء جرى التوقيـع على وثيقة الصلح بموجب شروط الدولة العثمانيـة على أن توقع الوثيقـة من قبل وزير بغداد أحمد باشا أيضاً ، وعلى هذا أوفد المهاندار محمد حسين بيك لكي يعود بنسخة الوثيقـة موقعة من قبل الوزير ، وقد أنعم الشاه على الوفد وخلع عليه خلعاً سنية وزوده بالتحف والهدايا إلى مقام البادشاه العثماني وسفره معززاً مكرّماً إلى الاستانة عن طريق بغداد .

صورة الكتاب الخاص الذي وجهه نادر شاه الى البادشاه بواسطة نظيف أفندي

« لآلي متلالي دعوات وافيات اجابت نمون ، وجواهر زواهر تحيـــات طيبات مؤالفت مقرون از مخزن مودت وعيبئه بي عيب محبت هديـة بزم شريف وموقف منيف أعلى حضرت فلك رفعت خورشيد طلعت مشتري سعادت داراي جهاندار عدالت كستر داود سليمان جاه فريدون فرد خديو ممالك كشاي كشور كير خسرو مهرافسر كردون ، سرير أعظم سلاطين جهات ، أفخم خواقين دوران ، قامع الكفرة والمشركين ، ظل الله في الارضين سلطان البرين خاقان البحرين ثاني اسكندر ذيالقرنين خليفة اسلام بناه انجم سباه شهريار كاه السلطـان الغازي محمود خان لازالت ظلال خلافته مبسوطة وألوية جلاله

مرفوعة بساحة مشهود رأي جهان رأي همايون بيدارد كه نوامج بهية ومفاوضات علية كه مصحوب افتخار الاماجد والاعاظم مصطفى نظيف أفندي وفتح علي بيك توكمان أرسال شده بود در أيمن اوان وأسعد زمان ... » ثم يعلمه بالموافقة على شروط الصلح مع تمنياته بدوام الصداقة والمحبة والاتحاد ، كل ذلك بعبارات في غاية اللطف والرقة على المنوال المتقدم .

ثم يلي ذلك كتاب صدر الممالك ملا علي أكبر الى المشيخة الاسلامية وهو كما يأتي :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي منّ علينا بالاسلام وفضلنا به على سائر الانام وجعله وسيلة للائتلاف وذريعة لرفع الخلاف وصلى الله على رسوله الذي ختم به الانبياء العظام وأصحابه الراشدين الكرام ، ما ختمت الامور الخيرية بوسائط المتدربين على نهج التقوى، وشكرت المساعي المؤسسة على الفلاح فشملت الضعيف والاقوى، وحملت عواقب الامور الجارية على رضى الرحمن واثنى من الله بتكميل مراسم اللطف والاحسان ، وصدحت بلابل اليسر وانحلت عقدة الشدة والعسر ، نعرض تحية لا يحيط بها الحصر واثنية مباركة فاقت انية مدى الدهر والعصر ، يحيي ويخص بها زبدة الاجلاء المحققين ونخبة الفضلاء المدققين الذي سارت بفضائله الجمة أديم الغبراء ، وعلت مناقبه العامة، وكسى اشراقها كواكب الجوزاء ، مظهر كل مكرمة، ومحل كل معضلة، يتيمة الدهر والقياس المنتج حيث كان لاهل العصر الصدر السامي في علاه والرأس العالي في مبداه ومنتهاه شيخ الاسلام والمسلمين الصائب محمد أفندي أمين حرسه بما يتوقاه، واناله في الدارين ما يتمناه ، وبعد فقد وردت الجريدة الرفيعة الواصلة بيد السفير الوزير ذي القدر الرفيع فتح علي بيك توكمان وساير السفرة الكرام البررة ، ووقفنا على مطويات رموزها ومخزونات كنوزها وما اوردتم فيها من الحث على السلم والموالاة والاشارة على بذل الجهد الموفور والسعي المشكور في حضرة السلطان الاعظم والخاقان المعظم المفخم ، قطب دائرة سماء السلطنة

ومحور فلك الرفعة والجلالة والعظمة ، سليل سلسلة سلاطين التركمانية القاءان الاعظم خليفة الله في العالم الشاهنشاه نادر شاه خلد الله ظلال جلاله على مفارق العالم .

«فبذلنا مجهودنا في حضرته العلية وسدته السنية وأبرمنا في الالحاح وأطلنا في مسألة الانجاح ، فاجاب أطال الله ظلال جلاله جواب الاسعاف بما تلخصه :

« هوذا ان قبولنا سلطنة ايران بعد تحاشينا البالغ في الشورى الكبرى الواقعة في صفان ، كان لازالة البدع ومحو المخترع ، وارشاد الخلق الى الطريقة النقية التي لأهل السنة والجماعة والتي هي ملة ابائنا الاسلاف ، تعهدنا لهم من قبل اخينا الاكبر ابن السلطان بن السلطان والخاقان بن الخاقان صاحب الدولة الباهرة والسنة العادلة ، الغازي في سبيل الله ، سلطان البرين والبحرين ، وخادم الحرمين الشريفين ، ثاني اسكندر ذي القرنين ، قاطع البرهان ، خليفة الرحمن ، السلطان الغازي محمود بهادر خان ادام الله ظلال جلاله على الانام الى يوم القيام ، ان يتفضل عليهم بالاذن في الصلاة في ركن من أركان الكعبة المعظمة المشرفة المكرمة ، فلما توقف اخونا الجليل ادام الله اجلاله في ذلك الامر والتمسنا باذنه بعضاً من الاملاك التركمانية الموروثة وفوضنا اليه الامر ، فلما سمع على ما لاح في ألوكته الفاخرة الزاهرة انه امر بتلك المشاورة الكبرى فاتفق رجال دولته وعلماء دائرته وأمراء سلطنته برمتهم على ان نخلي ذلك الرجاء ونكف عن المدعى وأشار اليه اخونا النبيل اطال الله بقاه واختار لنا هذا . تعدينا عن المرام وألقينا على غاربها الزمام ، وبتنا على السلم والاستسلام مترقبين لما وعدنا بما احتوته نامجته النافجة على مؤاخاة الدوام وكمال المحبة على نهج الاستحكام بما يبقى في الاعقاب والاصلاب الى يوم القيام وتم الكلام ، فتم الامر والسعي من قبلنا ، لكن بقي عليكم ايها العلماء الاعلام ان تبذلوا جهدكم في حضرة السلطان خليفة الرحمن ، عند الخاص والعام ، ان يشيد بنيان المهادنة حتى لا يطرق عليه طارق ويصان من الحدثان ويسلم من الزلل ويحرس من

الخلل ، فان حق سلطاننـا في الاسلام عزيز مـا يعرفه إلا اهل التدبر والتمييز والسلام عليكم وعلى من يدور في حضرتكم العلية » .

ويأتي بعده كتاب الدولة العلية الى الدولة النادرية حول الموافقة على امضاء عقد الصلح ، ويبدأ بما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم له الحمد الاتم والصلاة على نبيه الاكرم وعلى آله الابرار واصحابه الاخيار، أما بعد باعث كتاب صمت نصاب اولدركه دولت علية دائمي القرارة ورود ايدن نوامج بهيـة شاهيده درج واشعار بيورولديغي اوزره بوندن اقدم توفيق جناب ملك منان واجتماع وجوه وأعيان ايران ايله صحراي صفانده واقع شوراي كبرى ده اتفـاق كلم بيروبرنا ايله اعلى حضرة لئالي نظرت خديو قمر تنوير كيان خورشيد نظير بهاء الدنيـا والدين جمـال الاسلام والمسلمين شهريار انجم حشم حـالا جالس جاربالش كسرى وجم فلك باركار القاءان نادر شاه زان الله شأنه وصانه عما شانه حضرتلرينك ذات شهامت سمات كيانيلريني مسنداري تختگاه ايرانه حصراً وقسراً اليق واحرى ... » .

والخلاصة يقول اننا تلقينا كتابكم الكريم ومما زادنا سروراً ما بذلتموه من جهود في المؤتمر الذي عقدتموه في صحراء صفـان ووحدتم به وجهة نظر المسلمين وأزلتم من بينهم النفرة التي كانت مستحكمة بين الطائفتين ، وحملتموهما على انتهاج مذهب أهل السنة والجماعة ، ورفعتم البدع والاعمال المنكرة ، وأزلتم ما كان يعكر صفو العلاقات من دواعي الخصومة ، الامر الذي تلقته الدولة العلية بكل سرور واستحسان ، ولأجل ادامة هذه الصداقة والمحبة الاخوية بين الدولتين فاننا نتمسك بالمواد الخمس لتكون وسيلة لتوثيق عرى الصداقة وادامتها وتجديدها لئلا تقع بعدئذ امور توهن هذه الروابط الاخوية او تدعو الى التأويل والخصومة... وجعلنا الحدود كما كانت على عهد الخاقان سلطان مراد خان الرابع.

وقد فوضنا والي بغداد والبصرة والقـائد العام للقوات العسكرية العثمانية

في تلك المنطقة دولتلو وأفتلو آصف جليل العنوان حضرة احمد باشا بالتوقيع نيابة عنا .

ثم تلي ذلك المواد المتفق عليها والتي تبدأ بالعبارة : « ان الشروط التي عقد بموجبها الصلح على عهد السلطان مراد خان الرابع فيما يختص بالحدود، ينبغي ان تبقى نافذة المفعول دون تغيير او تبديل .

الشرط الاول : حماية الحجاج الايرانيين وتسهيل سفرهم عن طريق بغداد والشام ومحافظتهم وانجاز كل ما يتعلق بهم من معاملات وإبداء كافة التسهيلات لهم من قبل موظفي الدولة العلية كسائر الحجاج الذين يأتون من البلاد الاجنبية الاخرى .

الشرط الثاني : لأجل ادامة الاتحاد والاتفاق واعلان ذلك للجميع يُعين في دار السلطنة الايرانية أحد موظفي الدولة العلية ليكون ممثلاً لها ووكيلاً عنها ، وكذلك للدولة الايرانية ان تعين ممثلاً دائماً لها في الاستانة العلية .

الشرط الثالث : لايجوز بيع الاسرى من احدى الدولتين وانما ينبغي تسهيل عودة الراغبين الى أوطانهم .

الملحق : تكون حدود الدولتين كما كانت عليه على عهد السلطان مراد خان الرابع ، وعلى قومسيري الحدود ، حدود الدولتين ، مراعاة الشروط المتعلقة بالحدود وعدم مخالفتها وعدم الاتيان بأعمال تخل بتلك الشروط .

ومـا عدا هذا ينبغي افهام الايرانيين بالتي هي أحسن بضرورة نبذ ما كانوا عليه أيام الصفويين من بدع والعودة الى الدخول في مذهب أهل السنة والجماعة والكف عن سب الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وان تذكر اسماؤهم بالتعظيم والتوقير لكي يعاملوا في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة معاملة طيبة لا تختلف عن معاملة بقية الحجاج والزوار .

وكذلك تسهيل معاملات التجار منهم وعدم فرض زيادة في الرسوم المقرر استيفاؤها منهم ، وكذلك تسهيل معاملة الافراد الايرانيين الوافدين لزيارة العتبات المقدسة في العراق ، وان يكون رعايا الدولتين مشمولين بالحراسة والحماية كل في أراضي الدولة الاخرى ما دامت هذه الشروط نافذة المفعول .

وهكذا فقد عقد الصلح يوم النوروز من سنة ستين ومائة والف هجرية ، وكان قد وقع عليه من قبل معير الممالك حسن علي خان ، ومن قبل أحمد باشا، ومصطفى نظيف في اليوم الرابع عشر من شهر شعبان المعظم سنة تسعة وخمسين ومائة والف .

صورة الاعتراف بالاتفاقية من جانب الدولة الايرانية بتوقيع معير الممالك والمسلمة للدولة العثمانية

وتبدأ بما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أنام عيون الفتن بايقاظ قلوب السلاطين ، وأسال عيون الامن بين الانام بتطميس مجاري المناوأة من بين الخواقين والاساطين ، وحل عقود حبائل النزاع بعقد الحبائل والعهود في العهد المحمود ، ولوح اثار المصافاة في ذلك الملك المنادر المسعود . وصلى الله على رسوله الذي افرغ الفراغ في قوالب قلوب المسلمين بتفنيد مواد الفساد وفتح باب الاسلام واوصد طريق الكفر بمفاتح السيوف ومصالح الجهاد وعلى آله واصحابه أولى النهى والرشاد .

اما بعد فإن ما فعله تاج ملوك ممالك الهند وايران الخاقان الاعظم والقاآن الاكرم ظل السبحان شاه شاهان جهان السلطان نادر شاه خلد الله سلطنته وشوكته في المؤتمر الذي عقده في صحراء صفان من توثيق روابط الاخوة بين الرعايا بما حمل الجميع على التمسك بسلطنته ، وحصد ما زرعه اسماعيل الصفوي



بغداد في القرن الثامن عشر

من الفتن والفساد والتنافر بين العباد باسم الطائفية ، مما أدى الى بذر بذور العداء بين الروم[1] والايرانيين، فزال بفضله كل ذلك وحمل الجميع على التآخي بين الجعفريين واهل السنة والجماعة ، مما اكتسب به رضاء الاعلى حضرة ظل رفعت خورشيد طلعت اعظم سلاطين جهان وافخم خواقين دوران خسرو جهان داور خديو فريدون خاقان البحرين وسلطان البرين ثاني اسكندر ذي القرنين خليفة ظل الله وبادشاه اسلام پناه ، حلية أهل ايمان ونور جهان افروز خاندان تركمان ، السلطان الغازي محمود خان أيد الله ملكه وخلافته ودولته واكتسب موافقته على عقد الاتفاق وتخصيص ركن من أركان الكعبة المشرفة لصلاة الجعفريين ، وتعيين آمر للحجاج ، والسماح بمرورهم بطريق الشام ومصر، واطلاق سراح الاسرى من الجانبين ، وتعيين كل دولة وكيلاً لها في عاصمة الدولة الاخرى ... الخ » .

وهي لا تختلف من حيث اللباب والمعنى عما سبق من المراسلات .

صورة تقرير نظيف افندي بعد عودته من ايران

يقول نظيف افندي في تقريره الذي حرره بحضور الوزير احمد باشا :

« امتثالاً للأوامر التي تلقيتها غادرت دار السلام نحو المملكة الايرانية ، وقطعت بتوفيقه تعالى المراحل العشر وبلغت الحدود في غرة شهر جمادي الآخرة ، وكان ذلك يوم الخميس فشاهدت في سفح الطاق جمعاً يترقب قدومنا ، وكان على رأس هذا الجمع المقدم علي تقي موفداً من قبل محمد حسين بيك وبمعيته حوالي العشرة اشخاص من الذوات المحترمين ، وقد رحبوا بنا وارسلوا من يعلم المسؤولين بقدومنا .

ثم واصلنا سفرنا معهم ، وكان بصحبتي ولي افندي كاتب الديوان وجماعة ،

---

١) يقصد بالروم العثمانيين . يقول الشاعر العراقي العربي بلغته العامية : « بين العرب والروم بلوة ابتلينا ... » (المترجم)

وبعد ان تجاوزنا الطاق شاهدنا التشريفاتي ومعه أكثر من مائة نفر بلباسهم الرسمي وجمع من الامراء حضروا لاستقبالنا باعتبارهم حرس الشرف . ثم حضر في اعقابهم رسول الشاه إلى الاستانة المدعو فتح علي بيك، وسار الكل في ركابنا حتى وصلنا القرية المعروفة باسم كرند ، وهناك نصبوا لنا الخيام والسرادقات. وعلى عادة الايرانيين هيأوا لنا وسائل الضيافة ومدوا السماط وعينوا لنا عدداً من الافراد لخدمتنا ، وخصصوا لنـا كل ما نحتاج اليه من طعام وشراب منذ ذلك اليوم ، كما خصصوا لنا حراساً لمحافظتنا ليلاً وهم لا يقلون عن الخمسين نفراً .

ثم واصلنا سفرنا في اليوم التالي ، وعلى هذا الاسلوب والوتيرة اخذنا نقطع المراحل ونجتاز القرى حتى بلغنا كرمنشاه .

وكان قد خرج لاستقبالنا حاكم البلدة المذكورة المدعو عبد الكريم خان ومعه ولده وكتخداه ومفتي البلد وقاضيه وحوالي السبعمائة او الثمانمائة جندي من العساكر المشاة والخيالة ، وقد استقبلونا بكل حفاوة واكرام . وخصصوا لي ولرفيقي ولي افندي محفتين مزينتين بالسجاد الايراني الثمين تجرهما الخيول، وعلى هذا الشكل من التفخيم والتعظيم ادخلونا البـلد حيث استرحنا هنـاك يومين ، وبعدها واصلنا السفر نحو همدان وقزوين ميممين شطر المعسكر الشاهي ، وعلى الاسلوب الآنف الذكر استقبلونا في همدان وفي قزوين ، وبفضل الله وعنايته وبفضل بركات حضرة البادشاه كانوا يستقبلوننا بكل تجلة وتعظيم في كل مكان نمر به .

وفي يوم الاربعاء الموافق للسادس من شهر شعبان المعظم ، اقتربنا من مخيم الشاه في الصحراء الكائنة ما بين طهران وقزوين ، وكان من جملة الذين استقبلونا هناك رسول الشاه المدعو رضا خان وبمعيته عشرون ضابطاً وثلاثمائة نفر من الجنود الخيالة، ولكي يوصلوا خبر قدومنا الى مسامع الشاه انزلونا في مكان يبعد عنه مسافة ساعة واحدة ، ونصبوا لنا السرادق هنـاك وهيأوا وسائل الضيافة ، وبعدما تناولنا الطعام وأرحنا أنفسنا من وعثاء السفر ، حضر الخان الموما اليه

وهيأ لي ولرفيقي ولي افندي راحلتين مزينتين وسار بنـا نحو مخيم الجيوش الايرانية ، ولما اقتربنا وجدنا العساكر قد اصطفت على جانبي الطريق الذي نمر به حتى بلغنا المكان المعد لنـا وسط مقر الملا باشي ومعير الممالك . ولما أخذنا مجلسنا جاء جماعة من الخدم يحملون لنـا الفواكه والحلويات مرحبين بقدمنا ، وبعدهم حضر خدم الشاه الخاص يرحبون ويقدمون لنا خدماتهم ، وحضر ايضاً معير خان يعلمنا بأن الشاه تلقى خبر وصولنا بكل فرح وسرور .

وفي اليوم الثاني جاء من يخبرنا ويرجونا ان نتهيأ لزيارة الشاه وذلك يوم الجمعة ، وحضر معير الممالك مرة أخرى مكرراً عبارات الترحيب والمجاملة ، ثم تلاه الملا باشي ، ومهدي خان ، ونظر علي خان ، ورضا خان ، واخذوا يصافحوننا ويرحبون بنـا ويعبرون عن أشواقهم وتمنياتهم الطيبة لنـا بكلمات رقيقة ، واخبرونا بأن الشاه يتمنى دائماً ومن كل قلبه ان يحل السلام والمحبة بين الدولتين وازالة كل ما من شأنه ان يعكر صفو العلاقات بين الروم والايرانيين لا سيما وقد أزال الشاه كل مـا يدعو الى التنافر والتخاصم بين رعايا الدولتين الاسلاميتين ، وان عقد الاتفاق بيننا مما يقوي ولا شك دوام ما نصبو اليه من الصفاء والوئام ، وقد أجبتهم بما يليق في مثل هذا المقام ، وبعد ذلك أمروا على عادتهم ، بمد السماط وتناولنا الطعام .

« وفي اليوم الثامن من الشهر المذكور المصادف يوم الجمعة ، وبعد شروق الشمس بساعتين احضروا لي ولرفيقي ولي أفندي حافلتين فركبناهما وسرنا يحيط بنا حوالي الثلاثين نفراً من افراد الحرس الشاهي وحوالي المائة وخمسين نفراً من أشداء العساكر الخيالة ، ولما بلغنا بلاط الشاه ترجلنا وسار امامنا رسول الشاه ليدلنا على الطريق ، حتى أتوا بنا الى خيمة اتخذت كغرفة استقبال تناولنا فيها القهوة ، وبعد نصف ساعة استدعي معير الممالك من قبل الشاه ، ثم حضر ومعه رئيس الخدم وبدلتـان مطرزتان بالذهب كخلعة لنـا من الشاه احداهما لي والاخرى لرفيقي ولي افندي ، والتمس منا ان نرتديهما وان ندخل بهما على

الشاه ففعلنا ، ودخلت عليه بكل شجاعة وصفاء بال ، وقد أزيحت الستارة التي كانت تحول دون رؤية الشاه ، وكانت هذه الستارة بطول عشرين وعرض عشرة اذرع من الحرير مطرزة على الطريقة الايرانية ، وبدت من خلفها منصة الشاه التي كانت على شكل كرسي مستدير والشاه جالس عليها ، وكانت تتلألأ وسط تاجه ماسة كبيرة وعلى كتفيه وشاح مطرز بالزمرد والجواهر الثمينة، وبيده مسبحة من اللؤلؤ الثمين ، ويمتد وشاحه عن يمينه ويساره على طريقة الدراويش. وأمام كرسيه مبخرة كبيرة مرصعة بالمجوهرات النادرة والبخور ينبعث منها ، وعن يمينه جلس حفيده شاه رخ ميرزا الذي يبلغ من العمر حوالي الستة عشر عاماً ، وعن يساره في مكان اوطأ وقف كل من معير خان وملا باشي وخلفهما ستة انفار من الجنود بلباس مزركش بالذهب .

وعند اقترابي من محل جلوس الشاه بحيث لم يبق بيني وبينه اكثر من ثماني خطوات تكلم نظر علي خان قائلاً ومخاطباً الشاه : «هذا مصطفى افندي مندوب الدولة العلية العثمانية » وأشار نحوي ، ثم قال : « وهذا ولي افندي كاتب ديوان وزير بغداد صاحب السعادة احمد باشا » وأشار الى رفيقي . فرحب بنا الشاه ثم طلب الى نظر علي خان ان اقوم بتقديم مستند الدولة العلية الذي يخولني القيام نيابة عنها بالتفاوض في امر الصلح، فأخرجته بكل عظمة وافتخار، ولا غرو فانه التفويض الهمايوني لخليفة العصر والزمان شوكتلو عظمتلو مهابتلو قدرتلو ، ولي النعم السلطان محمود خان ، وبعد لثمه ناولته بأدب واحترام بيد الخان المشار اليه ، وهو بدوره قدمه الى الشاه الذي تناوله بكلتا يديه ، وهتف الجميع بحياة السلطان ، ثم رفعه نحو رأسه اكثر من مرة وسألني قائلاً : «اي مصطفى افندي كيف صحة اخي الكبير صاحب المهابة والشوكة خليفة الاسلام حضرة البادشاه ؟ » فأجبته بما يليق به من الكلام واعلمته بأنه في صحة وعافية ، وكعادة السلاطين العظام يقضي اوقاته في تدبير شؤون المملكة وايجاد السبل والوسائل التي ترفه عن الرعية ، وانه لرغبته الخالصة في احلال السلام والوئام

فقد فوضني وارسلني اليكم لأبين لكم ذلك نيــابة عنه ، مؤكداً لجلالتكم ان البادشاه من طبعه وغريزته يميل الى العدل والرأفة والمحبة ، وانه يتمسك بتعاليم الشرع الشريف ويرجح الصفاء على البغضاء . فقـال انه ايضاً كذلك ولا يضمر اي عداء او خصام نحوالبادشاه، ويتجنب أية بادرة تسيء الى العلاقات الاخوية، وكل ما بدر منه لا يتعدى المحافظة على الحدود والدفـاع عن المملكة ، ومع ذلك فانه لا يمانع في اعادة النظر في أمر تلك الحدود والفواصل في سبيل ادامة الوفاق والوئام بين المملكتين .

وبعد ذلك قال : « تقدم يا مصطفى افندي فليس لدينا ما نكلفك به سوى السؤال منك هل ان البــادشاه المعظم حقيقـة يحمل هذه العواطف الاخوية نحوي ؟» فقلت: «واني اؤكد ذلك» . فشكر الباري متمنياً للخليفة كل خير. ثم اردف قائلاً : « الحق انه هو البادشاه الاعظم وانه خليفة الله وراعي حرمي الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة ونحن معترفون ومقدرون له هذه المنزلة ، ومن واجبنا اطاعته كما امر بذلك الشرع الشريف ، وبعكسه نكون قد خالفنا الشرع وما امر به النبي الكريم ، واؤكد لكم انني لا اطمع في مال ولا في جاه ولا ملك ، وليست لي اية خصومة نحو اخي العظيم وكل مـا اتمناه ان يوفق الباري الدولتين الاسلاميتين الى طاعته وتجنب نواهيه ، وان يكونا دومـاً بوفاق ووئام الى يوم القيامة ، ويزيل من بينهما الفتن والتعصب الطائفي وان يجنبها اشهار السلاح احداهما على الاخرى ، وطرد المفسدين من بين صفوف الطرفين ، منعاً من تعكير صفو العلاقات . وانني بعد موقعة محمد باشا يكن، ارسلت كتابــاً الى البادشاه بذلك مع احد الذين اعتمد عليهم في مثل هذه المهمات ، فكان من توفيقات الباري ان ظهرت بوادر الاجـابة والقبول بأرساله اياكم نحونا لكي يقرن القول بالعمل ، وهذا من حسن حظنا ، وزيادة في افراد ذلك مدعاة لفرحنا وسرورنا ، وستكون هذه الروابط ان شاء الله من المتانة بحيث تبقى مدى الدهر لكي يتمتع بها من يأتي من بعدنا » .

وهنا اشار اليّ الشاه رخ ميرزا ، فحمدت الله انا ايضاً على ذلك ، ودعوت لكلتا الدولتين ان تكونا يداً واحدة على الاعداء وغير ذلك مما يليق بهذا المقام من كلام ، وبعده تكلم الشاه مع كل من الملا باشي [1] ومعير خــان قائلاً : «تعلمان مقدار حبي واحترامي لصاحب الشوكة والكرامة حضرة خليفة الله وما اضمره له من اخلاص انا والمملكة الايرانية ، والآن وبمعرفة مصطفى افندي وسديد آرائه ينبغي اتخاذ ما يلزم من المراسيم المعتادة لعقد الاتفاق مـا بين الدولتين لتوثيق روابط الصداقة بشكل لا يختلف عما يرغب فيه اخي الكبير شوكتلو مهابتلو خليفة الله من جهة ، ولا يمس حقوق ومصالح وهيبة ايران من جهة اخرى» وخولهما القيام بذلك. ثم وجه كلامه نحو رفيقي ولي افندي قائلاً: «كيف صحة وزير بغداد احمد باشا ؟ » فاجابه ان الباشا يقدم تحياته ويتمنى احلال الصفاء والوئام من الدولتين وانه يعرض اخلاصه ومحبته لجلالتكم .

ثم وجه الشاه كلامه نحوي قائلاً : « ان هذا الباشا من الوزراء المخلصين والصادقين في خدمة بلادهم » فأيدته على ذلك ، وبعدئذ عــاد وابدى اخلاصه ومحبته للدولة العلية ونواياه الطيبة نحوها ، وقال : « اني بطبعي اميل كل الميل الى اخي الكبير ، وان محبتي له تتضاعف وتنمو برغم مـا يقع من الامور البسيطة التي تعكر صفونا من وقت لآخر » ثم عــاد واخذ يتلاطف مع ولي افندي ورفقائه. ثم قال : «ولأجل ان لا نطيل عليكم فان نظيف افندي بأدبه ولطفه قد كفانا مؤونة الكلام ، ومع ذلك فاذا كان لديكم مـا تقولونه فان كلاً من الملا باشي ومعير خان حاضران لتنفيذ كل مــا ترغبون » ثم التفت نحوي وقال : «اننا نأمل ان تكون واسطة خير لنا وللجميع» . واخيراً اذن لنا بالانصراف من حضرته . وبمثل المراسيم التي دخلنـا عليه بها ، خرجنا بعدما صافحنا شاه رخ ميرزا ، وعدنا الى سرادقنا .

وفي اليوم التالي عقد الملا باشي مجلساً للتشاور والمذاكرة ، ودعيت للحضور

---

١) الملا باشي بمثابة شيخ الاسلام ومعير الممالك بمعنى رئيس الوزراء – المترجم .

في المجلس المذكور . وكان المخولين بالمذاكرة كل من معير خان ، وملا باشي ، ومهدي خان ، ونظر علي خان ، ورضا خان ، ولما اقبلت عليهم قاموا كلهم احتراماً وترحيباً . ثم جرى تبادل الوثائق بما يليق من المراسم ، وقد وضعت في المجلس مجمرتان تضوع الروائح العطرية منهما وحول كل مجمرة جلس ما يقرب من السبعة خدم ، وبعد الانتهاء من تلاوة الوثائق نهض الحاضرون واخذ كل واحد منهم يقبل الآخر ويحييه بما يليق من عبارات الود والاحترام والمجاملة بشكل لم يسبق له نظير ، ثم نهض الملا باشي وأخذ يتلو الدعاء والثناء مفتتحاً بذلك باب المذاكرة، ثم تقدمت بعده ودعوت الله ان يوفق الدولتين الى صلح دائم ، ودعوت الى ان يتناسى كل منها ما مضى من الامور التي كانت تعكر صفو الامن وان نطوي ما مر ونفتح صفحة جديدة مشرقة في علاقاتنا ونسدل ستار النسيان على الماضي. ثم تلوت المواد المنقحة المراد الاتفاق عليها وفق ما جاء في التفويض الهمايوني .

وبعده تكلم كل من الملا باشي ومعير خان مؤيدين وموافقين على ما بينته من وجهات النظر فيما يتعلق بالمواد المذكورة . ثم قمت وقلت : «الحمد لله والمنة على ان ازال من بين الدولتين الاسلاميتين كل ما يدعو الى التنافر والقيل والقال، وان تكون مفاوضاتنا متصفة بالعدالة والانصاف وحسن الختام ، ولضمان ذلك فاني ارى ان يدون كل منا وجهة نظره فيما يتعلق بالشروط والمواد وبيان ما يطلبه كل منا ، ثم نحضر بأجمعنا ونتذاكر في الامور التي لا يرضى بها احد الطرفين وتصفيتها على الشكل الذي يتفق عليه الجميع » وهنا ابدى الكل موافقتهم على ذلك ، وقرئت الفاتحة ورفعت الجلسة .

ورحت انا في الليلة نفسها وحررت كل ما يقتضيه الامر وبقيت حتى مطلع الشمس اصقل واعيد .

وفي اليوم التالي حضر كل من رئيس ديوان قسم الضيافة ومعير خان وبمعيتها بعض الخدم وقدما لي الفي اشرفي ذهباً والفي نادري كهدية من الشاه، ومجموع

المبلغين يساوي اربعة وستين كيساً من النقود الرومية ، فتقبلت المدية وقمت على الفور وبدون ادنى توقف ووزعت خمسة اكياس على الذين اتوا بها، وثلاثة وعشرين كيساً على الاتباع الذين عينوهم لخدمتنا .

ثم حضرنا في خيمة معير خان حيث انعقد المجلس في اليوم التالي والذي يليه، ودرسنا مواضيع الاعتراض ونقحنا المواد والشروط . واخيراً تم الاتفاق وفقاً لوجهة نظر الدولة العلية ، وقام كل من الطرفين باستنساخ الاتفاقية. وتم الانتهاء منها خلال خمسة أيام، وكان ختامها يوم السابع عشر من شهر شعبان، وفي اليوم المذكور اتفقنا على الحضور بين يدي الشاه لاتمام العقد بموجب المراسيم المتبعة ، فدخلنا مجلس معير خان اولاً حيث استقبلنا وحيانا بعبارات رقيقة ، ثم قدم لكل منا بذلة ارتديناها ودخلنا على الشاه ، فكان اول ما قابلنا به قوله : «ايها السيد امانة الله ورسوله ، اودعها اليك وهي ان تعرض اخلاصي ومحبتي لصاحب الشوكة والكرامة اخي الاكبر العزيز البادشاه، وان تقول له ان مرادي الوحيد هو تقوية رابطة المسلمين باتفاق الدولتين واتحادهما، واذا كانت قد حدثت بعض الامور فقد مضى ما مضى ، وان ما توصلتم اليه من امر المصالحة ارجو ان ينال موافقة البادشاه ورضاه ، وأرجو دوام ذلك الى آخر الايام ، كما واني قد تقدمت بجوابي الخطي على رسالة البادشاه، وقد اذنت لكم بالعودة مع تشكراتي على ما بذلتموه من الجهود والاتعاب في سبيل خدمة الدولتين » .

ثم طلب الخلوة بي ، واخذ يكرر نفس العبارات والالتماسات ويؤكد اخلاصه للدولة العلية . وأخيراً سمح لي بالخروج ، فتلقاني كل من نظر علي خان ورئيس الحرس وقالا ان هذه هي المرة الاولى التي يختلي بها الشاه بأحد السفراء، ثم قادني نحو الشاه رخ ميرزا فحييناه كما فعلنا في المرة الاولى، وجيء لنا بفرسين على كل منهما حلتان مرصعتان بالجواهر والذهب احدهما لي والآخر لرفيقي ولي افندي وعدنا الى مخيمنا . وفي اليوم التالي غادرنا معسكر الشاه ونحن على اتم ما يكون من الفرح والسرور لانجاز مهمتنا على الشكل الذي يرضي البادشاه .

ذكر وقائع سنة ستين ومائة والف
تبادل السفراء والهدايا بين الدولتين

وعلى هذا المنوال الذي بيناه آنفاً بصدد اتمام عقد الصلح واحلال السلام والوئام بين الدولتين ، فقد اعلنت البشائر للخاص والعام في المملكتين وجرى ارسال ومبادلة المصادقة النهائية على الاتفاق صحبة أكابر سفراء الدولتين ، وقد اختارت الدولة العثمانية سفيرها لايران وهو والي سيواس الوزير احمد باشا يصحبه متصرف سنجق خداوندكار المير ميران رجب باشا يحملان معهما التحف والهدايا الثمينة الفاخرة وكتاباً من الخليفة الى الشاه ، وكذلك الحال فيما يختص بالجهة الايرانية ، اذ جرى تعيين سفيرها من أكابر الخواتين وهو مصطفى خان يصحبه محمد مهدي خان يحملان عهد الدولة الايرانية وهداياها الثمينة ، وقد سافر كل من الوفدين نحو الجهة المقصودة .

وكان وصول الحاج احمد باشا ورجب باشا الى بغداد في اليوم التاسع عشر من شهر جمادي الاول ، ونصبا خيامهما في ساحة قلعة الطيور ، وكذلك قدم سفير ايران مصطفى خان ورفيقه محمد مهدي خان ، فقام والي بغداد احمد باشا باتخاذ ما يلزم من مقتضيات الاستقبال بكل فخفخة واحتشام، وخرج لاستقباله جمع غفير من وجوه بغداد بالاضافة الى مراسيم الاستقبال الرسمية ، وقد تلاقى الوفدان وتبادلا التحية والتسليم وعزما على مواصلة السفر ، غير أن الوفد الايراني توقف في بغداد ثمانية ايام للاستراحة ولزيارة العتبات المقدسة ، ولم نتمكن من الاطلاع على فحوى رسالة الشاه ، ولكننا اطلعنا على رسالة السلطان وقد استأذنا من احمد باشا وحصلنا على نسختها وهي كما يأتي :

صورة كتاب البادشاه المرسل بيد الحاج أحمد باشا الى نادر شاه

« بسم الله الرحمن الرحيم والله على ما نقول وكيل ، والحمد لله الذي نود

عالم الائتلاف بعدما رقيت في سمائه غواسق الفتن، وبسمت ثغور الازدلاف اثر ما قطب في وجوهها من ضباب الشحناء والاحن، حيث طلعت شموس الوفاق في افاق اساطين الاسلام ، وأسال زلال الاعتلاق في رياض اتحاد سلاطين الانام ، فأحيا به معالم الدين والسنة ، وسرى منه في اجساد العباد روح الامن والمنة ، ثم الصلاة والسلام الاتمّان والتحية والثناء الاعمّان على من بعثه رحمة للعالمين وحجة" بالغة على الناس اجمعين ، فرغبنا الى التمسك بسنته والتسلك في طريق صحابته وعزته محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم ، وعلى آله واصحابه مصابيح الدجى وينابيع الهدى والحجى ما اشتملت الالفة خواقين الدين ورفعت الكلفة مما بين سلاطين الموحدين ، اما بعد ، عالي حضرت ، لئالىء نضرت شهريار قمر تنوير خديوخور شيد نظير درة يكتاي ، خسر نامداري غرة غرّاي جبين بختياري مؤسس مباني جاه وجلال مشيد اركان عز واقبال شايستة تاج و كمر وكاه ، بايستة ديانت وامانت وانتباه ، علم افراز خطة سروري ، رونق بخشاي اورنك داوري ، مزيدون تخت جم روش ، خسرو همايون بخت دارا منشن ، بهاء الدنيا والدين ، جمال الاسلام والمسلمين عنواناً للشجاعة والمناعة والشان ، غوثاً للبسالة والرفعة والبنيان ، حالاً جالس جاربالش مسند كسرى وجم فرمان فرماي ممالك عجم فلك جاه القاءان نادرشاه زين الله سرير سلطنته الزاهرة ببقاء اثار ذاته ونور عيون دولته الباهرة ببقاء انوار صفاته حضرتلرينك سركار ابهت شعار شاهي ونادىء لضفت مبادئي جم جهانگيري صوب فيضانه طرائف نظائف تحيات وردية الشميم مصادفات آيات وصحائف مصاحف تسليمات عطرية النسيم مخالصات غايات .

سلام يفوح المسك من نفحاته
ويأتي شميم الانس من نسماته
سلام من السلسال والشهد اعذب
ومن نفحات الورد أذكى وأطيب

ومن بعد اهداء مـا يليق من التبجيل والتفخيم ، والدعاء بعز واقبال من اشرقت بطلعته شمس الجاه والجلال ، ذي الطبع النقاد والذهن الوقاد ، الذي لوح نوره الوهاج من جواهر معدنه وحسن وفائه وزواهر تحيته وصدق وصفائه، الذي اسلس قواعد المصافاة وأكد معـاقد الموالاة ، حـاوي بوقعه افتخار الاماجد والاعيان، اناضولي محاسبه مي منصبنه كندويه توجيه واحسان اولان، مصطفى نظيف زيد مجـده وساطتيله مبعوث اولان نامة نامي لطيف الاشارة، ورسالة كرامي سلس العبـارة ، لري كه انواع براعة لطف وبشاءتي، روشن ساجشم والا واضواء براعة حسن دلالتي نور بخشي ديدة ونادر ... »

وبعد كل هذه الفخفخة والزخرفة يدخل الى الموضوع الاساسي فيقول ما ترجمته :

« اننا بالنظر لما لاحظناه من صفاتكم الملوكية الطيبة وما ابديتموه من رغبة اخوية صادقة ، فقد وافقنا على ما تضمنته المفاوضات بين الجانبين بشأن الحدود لادامة الالفة والمحبة وامتدادها الى الاعقاب والاحفاد ، مع انه لم يبدر منا الا مـا يوجب خدمة الشريعة الاسلامية واعلاء كلمة الدين وحمايته من الكفرة والمشركين ، الذين اوجب شرع خاتم النبيين مجاهدتهم من قبل حماة الدين من الملوك ذوي اليقين والثبـات على سنة سيد المرسلين ، وتعلمون ان الدولة العلية هي التي اخذت على عاتقهـا هذه الفريضة وقامت بمـا قامت به تجاه الايرانيين بسبب ما بدر منهم بالطرق والوسائل التي تنطبق عليهـا الآية الكريمة « وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... » وكان لاعمالكم الطيبة الاثر الاكبر في حمل الرعايا على جادة الصواب ، ممـا يدعو الى الفخر والامتنان لدى سائر الامم الاسلاميـة ، وزادت في القلوب محبتكم والحب بالسمع مثل الحب بالبصر ، وكان مرادنا الاسراع في عقد اواصر الاخوة والوفاق دون تسويف ، ولكن الامور مرهونة بأوقاتها ، وقد واتت هذه الاوقات المباركة ، واعتصمنا بحبل الله جميعاً ، وتم الاتفاق بعونه تعالى ، وزالت اسباب الجفاء ، وذلك في

اليوم السابع عشر من شهر شعبان سنة تسع وخمسين ومـائة والف هجرية ، ووافقنا على مـا قرره المتفاوضون متمنين دوام العز والصلاح والفوز والنجاح لكلتا الدولتين ، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسوف يؤتيه اجراً عظيماً ، وقد عاهدنا الله على ذلك وسيمتد اتفاقنا هذا الى ما شاء الله. هذا ولاجل اتمام مراسيم هذا العقد فقد تم تعيين وتسيير السفراء العظام لتبادل وجهات النظر فيما يختص بأمور المملكتين ورعاياهما ، ومن جانبنا اوفدنا اليكم وزيرنا المشير المفخم نظام العـالم الحاج احمد باشا ادام الله تعالى اجلاله ، وسوف نستقبل بكل سرور سفيركم المعظم ليتم السرور وتتوكد الروابط ، جاعلين امام نظرنا قوله تعالى «ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها» متمنين لكم دوام الاقبال والعز والسلطان بجاه رب العباد » .

ويلي ذلك امضاء الهمايون المؤيد المستعين بالله الملك الديان المستمد منه العون في كل حين وزمان ، خادم الحرمين الشريفين السلطان الغازي محمود خان بن السلطان مصطفى خان .

حدوث الفتن في بلاد ايران
واضطراب الاحوال قبل وصول السفير ومقتل نادر شاه

بينما كان سفير الدولة العلية يجد السير الى العاصمة الايرانية ، اذ تلقى اخباراً مزعجة من همدان بشبوب نار الفتن والشغب والفوضى في البلاد الايرانيـة ضد الحكم القائم خاصة وضد الشاه على الاخص ، بحجة تزايد ظلمه واستبداده وفتكه بالمذنب والبريء ، وسفكه دمـاء الافراد والجماعات ظلماً وجوراً ، وارتفاع اصوات المظلومين بالدعاء عليه في كل مكان ، وقد قيل دعـاء المظلوم سهم مسموم ، وتماديه في البطش بالصغير والكبير ، وتزايد النقمة ضده باعتباره ليس من سلالة الملوك، وليس من اصل ايراني ، وان طاعة الايرانيين له كل هذه المدة كانت نتيجة ضغط واكراه، ولم يرضوا بأن تكون الملوكية من بعده في اولاده

واحفاده ، مضافاً الى كل هذا قيـــامه باعدام جميع اولاد واحفاد الصفويين وازالتهم ، واعتماده على جيش متكون من الافغانيين والاوزبكيين والقاجاريين لعدم اطمئنانه من الايرانيين .

ولما كان الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ، فان قيامه بالاستيلاء على اموال التجار واهل اليسار قد جعلهم فقراء لا يملكون طعام ليلة واحدة ، مضافاً الى هذا اعماله القاسية باعدامهم ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم ، وتعذيب البعض بدق المسمار في عينيه او بتر اعضائهم ، وماشا كل من هذه الاعمال الوحشية والتحقير والتعـذيب والاهانات ، كل هذا قد جلب عليه نقمة الشعب وحمل الرؤساء والوزراء وذوي الامر والنهي وقواد الجيش على التمرد والعصيان لانه كما قال الشاعر : « اذا يئس الانسان طال لسانه » وانضم هؤلاء كلهم الى حركة التمرد والثورة .

وكان رأس الثائرين حاكم كرمنشاه جليل خـان وهو ابن اخيه ، وناظر المدفعية امير خان ، والكردي حسين خان ، فكل واحد من هؤلاء قد تولى قيادة ما بحوزته من الجنود والقبائل واتخذوا الاستعدادات والاستحكامات لمقابلة عساكر الشاه ، وما عدا هؤلاء فقد شق عصا الطاعة صديق الشاه ابرهيم خان وابنه علي قلي خان وخرجا على رأس قوة تقدر بثلاثين الف مقاتل . وفي هذه الاثنـاء اتفق كل من الكشكجل باشي ورئيس ديوان الشاه قوبك وجزايرجي باشي صالـح بيك ، على قتل الشاه بأية صورة كانت ، وتعـــاهدوا على ذلك ، وراحوا يترصدونه ويترقبون سنوح الفرصة لاغتياله .

امـــا الشاه فانه لـما بلغه تمرد حكامه وامرائه قرر تجهيز حملة قوية لتأديبهم وسار على رأسها بنفسه حتى بلغ مكاناً يسمى قرجان ، فحط رحـاله هناك ، ولما كان الايرانيون غير مطمئنين من نواياه فقد اتخذوا الحيطـة والحذر وانتخبوا نصرالله ميرزا ورضا قلي ميرزا وأحد الذين ينتمون الى العرق الصفوي من سلالة طهماسب شاه ، وهجموا على ولي العهد وحفيده الشاه رخ ميرزا وامروه مع الذين

معه من الحرس الذي يتكون من الافغانيين والازبك .

وفي ليلة الحادي عشر من شهر جمادي الآخر قام كل من الكشكجلي باشي وجزايرجي باشي باسم حراسة الشاه والمحافظة عليه ، وتقدما مع الجنود الذين معهما نحو مقصورة الشاه الذي كان يغط في نومه وهجموا عليه واغمدوا فيه سيوفهم ، وبعد انتهائهم من عملهم هذا ، وبعد تأكدهم من موته قطعوا رأسه وجردوه من ألبسته ومجوهراته وارسلوه حسب الاتفاق السابق الى قلي خان .

ومن غريب الاتفاق ان بعض المنجمين كان قد تنبأ بموته وصرح ان نجم الشاه ضمن كوكب المريخ الذي كان حينذاك في حالة الاحتراق وهذا يعني ان الشاه سيموت حتماً .

ومنذ تلك الليلة انتشر خبر مقتل نادر شاه بين الرعايا والجنود انتشار النار في الحطب اليابس وتوافدوا لمشاهدته .

وقد عاد كل من الافغانيين والاوزبكيين والقزلباشيين الى سابق خصوماتهم وعداوتهم بعضهم لبعض ، واتجهوا نحو مدينة المشهد ، اما الجنود الايرانيون فقد هجموا على خيمة الشاه ونهبوا خزينته وامواله وخيامه ، وكذلك هجموا على رجال الشاه وحاشيته مثل نظر علي خان ومعير خان والملا باشي بقصد قتلهم فوجدوهم قد فروا فنهبوا أيضاً اموالهم ، وسار كل جمع بما معه من اسلاب الى جهة من الجهات ، وانفرط عقد نظامهم ، وتركوا جثة الشاه وبعض افراد من حرسه في الميدان .

وقد قام بعد ذلك حامل اختام الشاه واركب الحرم والجثة على جمال واتجه نحو مدينة المشهد .

وفي اثناء الطريق هجم عليهم جماعة من الاكراد فقاوموهم واخفوا جثة الشاه في حفرة في سفح جبل وواره التراب .

وبعد هذه الحوادث انتشرت الفتن والاضطرابات في انحاء ايران، واضطرب

نظام الامن ، و كثرت الغارات بعضهم على بعض ، وعمت البلوى و كثر القتل والفساد، وقام هنا وهناك من يطالب بالعرش امثال سام ميرزا الذي ادعى انه من سلالة الشاه حسين الصفوي خارجاً من جهة اذربايجان على رأس ثلاثين الفاً من جنود القزلباشي، ولما بلغ اردبيل التف حوله كثير من الاعجام وتقلد سيف الشاهانية، بينما التف آخرون حول ابن اخ نادر شاه المدعو علي قلي خان وبايعوه ونادوا باسمه كملي شاه .

اما اواسط ايران فان الفوضى والاضطراب والفتن قد سيطرت على الافراد والجماعات بشكل لا يمكن معه اعادة النظام واخذت تتسع دائرة الفوضى بصورة مخيفة .

واما السفير العثماني فانه لما علم بما وصلت اليه الحالة في البلاد الايرانية، وكان حينذاك قد بلغ مدينة همدان، فقد لوى عنان جواده وعاد بما معه من مراسلات وهدايا ، ولكن احد الاشقياء وهو المدعو ابرهيم خان تصدى له ومعه حوالي ستة آلاف من الرجـــال المسلحين وكذلك اربعة الاف من طائفة الازبك تقدموا واحاطوا بمدينة همدان الامر الذي اضطر السفير الى العودة والمكوث بمكانه موقتاً ، واصبحت الطرق محفوفة بالمخاطر ، ثم تداول مع الرجال الذين كانوا معه ولما رأى ان البقاء في همدان أيضاً اصبح لا يخلو من الاخطار، قرروا الفرار منها بأي وجه كان ، وهكذا خرجوا منهـــا بقلوب تملأها الثقة بالله ، وساروا حتى بلغوا بلدة سنه بعد مشقة واهوال صادفوها في طريقهم، وفي البلدة المذكورة واصلوا سفرهم حتى بلغوا بعنـاية الله بغداد سالمين لم يمسسهم سوء ، وذلك في اواسط شهر شعبان .

اما سفير ايران فقد مكث في بغداد بانتظار انكشاف هذه الغمة .

وقد قام كل من والي بغداد احمد باشا وسفير الدولة العلية الحـاج احمد باشا بعرض الحالة على الدولة العلية التي اوصت بوجوب الانفـاق على السفير الايراني وتأمين راحته واحتياجاته لحين عودته الى بلاده .

زواج عائشة خانم من احمد اغا

كان العراق في هذه الفترة ينعم بالهدوء والامان والاطمئنان . وكان الناس منصرفين الى اعمالهم ولا يوجد مـــا يعكر صفوهم ، وقد رأى احمد باشا ان يخفف عن نفسه ويرفق بها على حد قول القائل : « نفسك مطيتك فارفق بها » وعلى مقتضى الحديث الشريف : « ان لنفسك عليك حقاً » فاختار لذلك الخروج الى ضواحي بغداد للتمتع بهوائهـــا العذب والتلهي بالصيد في منطقة عكركوك ، ثم عاد بعد ذلك الى مقر حكومته لتمشية امور البلد والتشاور مع الوجهاء والشعراء وتبادل الرأي معهم في سلوك اقصر الطرق لتنظيم البلاد والسير بها الى الامام، وللترفيه عن الرعية وتحسين احوالها ، ولم ينس من الطافه وعواطفه رئيس ديوانه صاحب العقل والرأي السديد والفضل والمكارم احمد اغا اذ انعم عليه بتزويجه من كريمته عائشة خانم الدرة الزاهرة ، واقام الافراح والمهرجانات في كل مكان لهذه المناسبة السعيدة .

ارسال سرية لمقاومة الاكراد الثائرين في العمادية

ثم وردت الاخبار ان جماعة من الاكراد لم يرق لهم هذا الهدوء، واختاروا اعمال السلب والنهب وقطع الطرق والاعتداء على الآمنين ، وبناء على ما تلقاه من شكاوى السكان ، فقد جرد عليهم حملة بقيادة سليمان باشا وأرسلها الى تلك الجهة .

سفر الوالي احمد باشا نحو متصرفية بابان على رأس حملة عسكرية

بالنظر لما كان يقوم به متصرف بابان سليم باشا من المراوغة ومطاوعة الاعجام، وقيامه من حين لآخر باعمال ضد الدولة العثمانية، وتحريضه الاكراد على التمرد،

فقد وردت الانباء بأن الموما اليه اخذ يراسل من بيدهم الأمر من الاعجام بأن يمدوه بمقدار من القوات الايرانية النظامية لكي يحتل بها بغداد ويسلمها لهم .

وعلى هذا فقد عزم الوزير احمد باشا على ان ينتف من هذا الرجل ريش خيانته ويقطع منه مادة غوايته ، وبادارة قوية جرد عليه حملة عسكرية وسار بها نحوه ، وبالوقت نفسه ارسل كتاباً الى سليمان باشا في العمادية يخبره بما عزم عليه .

ولما بلغ سليم باشا خبر قدوم الوزير علي رأس قوة كبيرة ، ارتعدت فرائصه واخذه الهلع والجزع وفر الى اعالي الجبال هو واخوه شير بيك ، وتحصن كل منهما بمكان يسمى قمجوغة وسروجك ، وظنا ومن تبعهما انهم مانعتهم حصونهم ، فاحاط الوزير اولاً بقلعة قمجوغة ثم هجم عليها فلم تقو على الصمود واستسلمت للجيوش التي تولت حاميتها ومن كان فيها بضرب لا رحمة به، وقد نجا من السيف شير بيك اذ فر بنفسه بطريقة غامضة . ثم واصلت الحملة هجومها على قلعة سروجك التي تحصن بها سليم باشا، وضيقت عليه وعليها الخناق، وكادت تستولي عليها لولا ثقل هواء المنطقة وعفونته، واصابة اكثر الجنود بالحمى التي سرت حتى الى الوزير واعاقته عن مواصلة القتال ، فاكتفى بضرب طوق الحصار على القلعة المذكورة .

ولما رأى سليم باشا ان لا مناص له من التسليم ، أوفد ولده نحو الوزير يطلب له ولمن معه الامان والعفو والمسامحة ، فوافق الوزير على ذلك بعدما قطع سليم باشا على نفسه عهداً بألا يقوم بعد اليوم بمثل هذه الاعمال .

وعلى هذا عاد الوزير بمن معه ، ولما بلغ جسر دللي عباس اشتدت عليه علته وانتقل هناك الى رحمة الله ، فكانت وفاته صدمة عنيفة هزت ارجاء البلاد ، واقيم له في كل مكان مجلس عزاء وجيء بجثمانه الى بغداد حيث دفن بجانب والده وبجوار الامام الاعظم رحمة الله عليه .

هذا ولم يتفق المؤرخون على مقدار عمره ، وانما كان قد أمضى في الوزارة

حوالي ثلاثين سنة اربعاً منها قضاها في البصرة ، وتولى وزارة بغداد مرتين لمدة اربع وعشرين سنة، والفاصلة بين توليه وزارة بغداد في المرتين سنتان قضاهما في اورفة .

ذكر وقائع سنة احدى وستين ومـــائة والف
توجيـه ولاية بغداد الى الصدر الاسبق
والي ديار بكر الحاج احمد باشا
وتوجيه ولاية البصرة الى الحاج أحمد باشا الكسريه‌لي

بناء على شغور ولايتي بغداد والبصرة بوفاة المرحوم احمد باشا فقد انتخب لبغداد قائدها المحنك وولدهـا المجرب ، والذي له القدح المعلى في حل معضلات الامور ، الا وهو الحاج احمد باشا .

وانتخب لولاية البصرة سميه احمد باشا الكسريه‌لي ، وكلاهما من سلالة الميرميران سليمان باشا ومحمد باشا وقد اتجه كل منهما نحو مقر حكومته .

قدوم عبد الكريم خان حاكم منشاه
موفداً الى الدولة العثمانية من قبل حاكم ايران علي شاه
لتوثيق العلاقات

بعد مقتل نادر شاه وحصول الحوادث التي سردناها سابقاً ، تمكن ابن اخيه المسمى علي شاه من التغلب على المصـاعب والاستيلاء على العرش بدلاً من عمه الراحل . ولأجل تقوية اركان عرشه فقد التجأ أيضاً الى مالك البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين سلطـان الاسلام الذي لا زال ملجأً للسلاطين العظام ، وعلى هذا فقد أوفد سفيره وهو من أكابر الخوانين الايرانية وحاكم كرمنشاه محمد عبد الكريم خان ، وسيّره نحو دار الخلافة ليعرض عليها اخلاص الشاه ،

ورغبته في ادامة العلاقات الاخوية بين الدولتين ، وزوده بكتاب خاص الى البادشاه ، وكذلك حمل معه كتباً من صدر العظماء اعتماد الدولة ابرهيم ميرزا خان ومقام المشيخة الكبرى الملا باشي الى الصدر الاعظم والى شيخ الاسلام ، على جاري العادة في مثل هذه الامور .

ولما وصل بغداد خرج لاستقباله الصدر الاسبق الحاج أحمد باشا، وانزله دار الضيافة بكل اجلال وتعظيم ، وبالوقت نفسه استأذن له من الدولة العلية، وعند تلقي الاذن جهزه بكل ما يلزمه ، وسافر نحو الاستانة يصحبه أحد كبار موظفي الولاية الذي حمل من الباشا رسالة حول الموضوع .

صورة رسالة علي شاه

« هو الله المحمود في كل فعاله، بسم الله الرحمن الرحيم ، تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء وله العظمة والكبرياء انه بذلك جدير . انه من دواعي الافتخار والتفاؤل بالآية الكريمة : « عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً » اتقدم الى سلطان البرين ، وخاقان البحرين ، وخادم الحرمين الشريفين ، ثاني اسكندر ذي القرنين ، عين الانسان وانسان العين ، بادشاه الدين والدولة والسلطان ابن السلطان وخليفة الاسلام ، لا زال كوكب دولته في وقد سماء العزة والارتقاء طالعة ، ونجم سعادته في بيت شرف السلطنة والاعتلاء ، بابداء اخلاصي وتمنياتي الطيبة بدوام العز والتودد لعظمة السلطان ، واعرض عليه ما اصابنا بفقد السلطان نادر شاه على الوجه الذي ولا شك قد علم به سلطان الدولة العلية ، ولما كان لكل زحمة رحمة ، ولكل ترحة فرحة ، فقد تمكنت بتوفيق الباري عز وجل خالق الارض والسماء الحي القيوم ، بتولي زمام الامور إرثاً واستحقاقاً واجماعاً ، وازالة كل اثر للفوضى والفتن التي حدثت في ايران .

ولأجل ادامة محبتنا وتقوية اواصر صداقتنا المتوارثة ، فقد تقدمت بهذه الرسالة صحبة سفيرنا صاحب الجاه والشهامة محمد عبد الكريم خان ، وارسلتها

بصورة مستعجلة ، ولي وطيد الامل بأن ينال من لدنكم ما عودتمونا عليه من اللطف من قديم الايام لدوام الروابط الاخوية بين هاتين الدولتين العظيمتين ، واستمرار تبادل السفراء والقناصل ، وان المخلص يترقب مثل هذا اللطف من مكارم اخلاقكم الملوكية، ومحامد اوصافكم البادشاهية، واستمرار ما اتفقنا عليه من الاتحاد والائتلاف ، وهما من موجبات رضاء جناب رب العالمين ، لترقية احوال امة حضرة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين الاخيار الانجبين ان شاء الله العزيز » .

وقوع فتنة بين والي بغداد الحاج احمد باشا وزمرة الانكشارية وخروج الباشا من بغداد وقيام رجب باشا بالوكالة

ان الوزير الحاج احمد باشا كان انتخابه لولاية بغداد لما يتصف به من مقدرة علمية ورجحان عقل، ولكن العراق بما فيه من طوائف متنافرة وعشائر متخاصمة، كالأكراد والعرب ومختلف الجنسيات لا بد وان تكثر فيه الفتن التي تؤدي الى الشقاق وتعكير صفو الامن لأوهى الاسباب ، يضاف الى هذا وجود الانكشارية وتكاثرهم في بغداد واتصافهم بالخشونة والغطرسة وعدم اطاعتهم وعصيانهم الاوامر ، مما ادى الى اتساع النفرة بين الحكومة والاهلين ، الامر الذي اتعب الوزير واعجزه عن معالجته ، واخيراً عجز ايضاً عن ضبط النظام ، رغم ما يتصف به من مقدرة وحنكة، وقد استعمل في سبيل المحافظة على النظام مختلف الوسائل فلم يفلح. وكان الاستياء منه ومن تصرفاته يزداد يوماً بعد يوم. ومما زاد في هذا الاستياء والضجر والنفور من سياسة الحكومة ، تكليف الاهلين بما لا طاقة لهم به من التكاليف، بالاضافة الى عجزها عن دفع رواتب الانكشارية الذين راحوا يشوهون سمعة الحكومة بصورة علنية ، ثم ارسلوا وفداً من قبلهم الى الوالي يطالبونه بدفع رواتبهم ، ولكنه اعلمهم بأن ذلك غير ممكن الآن لعدم وجود شيء من المال في خزينة الدولة ، وطلب ان يمهلوه ريثما يصل ما

بحاجه من المال من الاستانة .

ومع انهم تظاهروا بالموافقة على الانتظار الا ان بعض المشاغبين منهم لم يعجبهم هذا الرد ، واصروا على ضرورة تلبية طلباتهم دون ابطاء ، ومن جراء ذلك ثارت الفتنة واتسعت الشقة بينهم وبين الحكومة ، واخيراً هجموا ببنادقهم ومدافعهم على السراي وراحوا يتبادلون النار مع الحامية طيلة النهار ، ولما حل المساء توسط بعض المصلحين وسعوا في تهدئة الخواطر والحصول من الوزير على مهلة قدرهـا ستون يوماً فقط لجلب المـال اللازم من الدولة العلية ، فوافق الانكشارية على ذلك وكادت تهدأ ثائرتهم ، الا ان بعض المنافقين سعى لدى الوزير واخبره بأن الانكشارية قد اضمروا له الشر بسكوتهم، وانهم صمموا على الهجوم عليه في الصباح الباكر ، وحسنوا له ان يتخذ الاحتياطات اللازمة ، وارسال قوة تختفي في جامع السراي وتعترض سبيلهم عندما يهجمون ، ففعل بما اشاروا عليه وجهز القوة المذكورة بما يقتضي لها من العتاد ، وأمرهـا بأن تكون على أتم الاستعداد ، هذا من جهة ومن جهة ثانية اتصل المنـافقون بالانكشارية واعلموهم بأن الوزير قد خدعكم في طلب المعالجة والمهدنة ، وذلك لكي يستعد لابادتكم ان لم تقضوا عليه بالسرعة المستطاعة .

اما الوزير فقد نام تلك الليلة خالي الذهن لما قام به من الاحتياطات ، واما الانكشارية فقد انطلت عليهم هذه الحيلة ، وارسلوا جواسيسهم الى الجامع المذكور ، ولما تأكدوا من وجود قوات الحكومة فيه ، قاموا من فورهم بالاستعدادات اللازمة والتهيؤ للحرب . وقد جـاء من يخبر الوزير بأن الانكشارية قد هبوا عن بكرة ابيهم، واخذوا اسلحتهم وتقدموا للهجوم عليه، وفعلاً بدأوا بضرب السراي بالقنابل والبنادق، وحمي الوطيس بينهم ودامت هذه الحالة ثلاثة أيام .

وفي اليوم الثالث تكاثروا وشددوا الخناق على حاميات الحكومة ، وضيقوا الحصار عليها ، وهدموا باب السراي بالمدافع ، وخربوا المبـاني المجاورة ،

واوشكوا ان يحتلوا السراي . ولما رأى الوزير ما وصلت اليه الحالة من اندفاع المهاجمين بكثرة هائلة ، رأى بصائب فكره ان يحقن الدماء ، وأوفد الى المهاجمين بأنه على استعداد لتلبية ما يطلبونه في سبيل المحافظة على الارواح ، فاجابوه بأنهم يكرهونه ويطلبون خروجه من البلد ، فلم ير بدأ من الخروج والذهاب الى الجانب الثاني ، وأقام مكانه متصرف قيصرية السابق الذي كان بمعية الحاج احمد باشا الكسريه‌لي أثناء ذهابهم الى ايران يحملون الهدايا الى الشاه، والذي كان موجوداً في بغداد، وهو المير ميران رجب باشا، واعلم الدولة العلية بما حدث مع الاعتذار عن تحمل المسؤولية .

توجيه ولاية بغداد الى الكسريه‌لي الحاج احمد باشا
وتوجيه ولاية البصرة الى حسين باشا آل عبد الجليل

نظراً لما قام به الحاج احمد باشا من الاجراءات والتدابير لقمع الفتنة ، فان الدولة العلية قررت بأن عمله كان يتفق وما تقتضيه الحالة، لذلك لم توجه اليه لوماً وانما اكتفت بالموافقة على سحبه من العراق ، واصدرت اوامرها السنية باسناد منصب الولاية الى سفيرها الذي كان قد اوفد الى ايران ، والذي بقي في بغداد مع ما بصحبته من الهدايا، وهو الكسريه‌لي احمد باشا الذي كان مرشحاً قبل هذا لولاية البصرة ، واناطة ولاية الموصل بالحاج محمد باشا ، وعهدت بولاية البصرة الى الوزير حسين باشا آل عبد الجليل ، وصدرت الفرامين بهذه التعيينات ، اما الجنود الذين لم يقبضوا رواتبهم لسنتي ٥٩ و ٦٠ فقد صدرت الارادة الى الخزينة العامرة البادشاهية بوجوب سحب ١٥٠،٠٠٠ قرش كدفعة اولى و ١٥٠،٠٠٠ قرش كدفعة ثانية، وارسال المبلغ المذكور الى والي بغداد احمد باشا صحبة الكتخدا نعمان بيك ، وبذلك هدأت الحالة واستتب الأمن والنظام .

توجيه ايالة البصرة الى سليمان باشا
حفيد المرحوم احمد باشا

لما كان سليمان باشا قد تربى في حجر احمد باشا الذي لم يدخر وسعاً في تربيته وتدريبه ، وقد اظهر في عهده مقدرة ولياقة وحنكة في تدبير الأمور ، وعاش في بغداد والبصرة وحواليها ، وقام بخدمـــات جليلة تدل على براعته وليـــاقته ، ولا سيما فيما يتعلق بأمور الحدود والثغور وقمع الفتن والضرب على ايدي المفسدين ، مضافاً الى ذلك قيامه بتأدية ما كان بذمة المرحوم احمد باشا من ديون للحكومة، ومبالغ كان قد استقرضها من هنـــا وهنا في سبيل تمشية مصالح الدولة على حسابه الخاص، والتي بلغت ١٨٠٠ قرش بالاضافة الى ٤٨١٣٤ قرشاً كان قد صرفها المرحوم على السفراء مدة مكوثهم في بغداد ، فقد انعمت عليه الدولة العلية بولاية البصرة ، وكانت الفتن تموج فيها بسبب مـــا وقع من الحوادث في الاراضي الايرانية ، ونقل سلفه عبد الجليل زاده حسين باشا الى ولاية ادنة، وورد فرمانها بذلك صحبة عباس زاده محمد اغا، وسافر كل منهما الى مقر وظيفته .

ذكر وقائع سنة أثنتين وستين ومائة والف
وحوادث ايران

سبق أن بينا ان علي شاه كان قد تمكن من السيطرة على الاوضـاع، وتولى ملوكية ايران بعد وفاة نادر شاه، لقد أسند الشاه المومأ اليه منصب اعتماد الدولة الى شقيقه ابرهيم ميرزا خان ، واخذ الاثنـان بحكم الاخوة يتعاونان على ادارة دفة الحكم، مما اوجب سخط المنافقين الذين لا يروق لهم اقتصار امور الدولة على الاخوين ، فلا بد اذن من خلق الوسائل للتفريق بينهما ، وهكذا كان . فقد دبت عقارب الغيرة والحسد الى قلب اخيه الميرزا ، فشكل جمعية سرية تولى

رئاستها ، وراح يبث النفرة والعصيان والتمرد بين الافراد والجماعات للانقضاض على اخيه ، وأخذ يختلق له المشاكل ويجادله ، ويحاسبه على الصغيرة والكبيرة ، الى ان احس الشاه بما يبيته له اخوه فطرده من الوظيفة ، ثم اعلن عليه وعلى من التف حوله الحرب ، ففر هذا نحو البلاد الافغانية والازبكية ، والشاه اخوه في اعقابه يطارده اينما اتجه ، ولكن الميرزا أخذ يغري مختلف الطوائف من افغانيين وأزبكيين واذربايجانيين ويضمهم الى صفوفه حتى تكوّن لديه جيش جرار تولى قيادته ، ثم اعلن استقلاله وراح يحارب الشاه وعساكر الشاه ، وبعدما كان مدافعاً اصبح مهاجماً . ومما قوى مركزه انضمام الامير ارسلان خان الى جانبه ، فكان هذا مدعاة لهرب عساكر الشاه بوجهه ، ثم انحيازهم الى جانب اخيه الميرزا ، فتضعضعت عندئذ صفوف الشاه ، واندحرت امـــام هجمات جيوش الميرزا ، وتغلبت عليها وكسرتها في القتال شر كسرة ، واستولت جيوش الميرزا على الكثير من الغنائم والاسلحة ، وغير ذلك من المعدات التي تركها جيش الشاه نفسه وفر مغلوباً ، وعساكر اخيه في اعقابهم ، حتى قبضوا على الشاه نفسه واتوا به اسيراً الى اخيه ، ولم يكن به رفيقاً إذ أمر بسمل احدى عينيه بدلاً من قتله واراحته من العذاب ، فيما اذا لم يرد ان يعفو عنه بسجنه على الاكثر .

وبعد هذا اعتقد الميرزا انه لم يعد يزاحمه أحد في المُلك ، واعلن نفسه شاهاً بدل اخيه ، ولكن من حفر بئراً لأخيه وقع فيها ، وفعلاً حصل اختلاف بينه وبين الامير ارسلان خان تطور الى بغضاء ونفور ثم الى الانشقاق عليه ، وسافر من فوره عائداً الى اذربايجان معلناً العصيان والانتقاض على الشاه الجديد الذي عاد الى تبريز عن طريق قزوين ، واخذ كل منهما يحشد الجيوش ضد الآخر ، وكل منهما اتخذ مواقع للقتال في نواحي قزوين ، وفر معظم اتبـــاع الأمير ارسلان نحو أميرهم بعدما كانوا في صفوف جنود الشاه ، ولكن الميرزا انتقم من الامير ارسلان بقتل كل من يواليه ، ومنهم صديقه صاري وحسن ميرزا ، وظن انه اصبح قادراً على الهجوم وعلى دحر الامير ، وراح يستميل الايرانيين بكل الوسائل بغية تأييده على خصمه .

وفي هذه الاثناء ظهر حفيد نادر شاه المدعو شاه رخ ميرزا الذي سبق ان كان ولياً للعهد أيام نادرشاه، والذي ينتمي الى شاه حسين صفوي من ناحية امه كما يعلم ذلك جميع الايرانيين ، وانه مضافاً الى ذلك كان قد استولى على اموال الشاه ودفنها في مكان لا يعلمه سواه ، وقد استعان بها واستمال اكراد قوجان وخراسان ، وجمع خلقاً كثيراً تابعوه وبايعوه على الملوكية التي هي من حقوقه الشرعية ، وسار على رأس قوة تبلغ الستين الفاً من مختلف الطوائف حتى وصل المشهد ، وهنـــاك جرت مراسيم تنصيبه شاهاً على ايران بالارث والاستحقاق ، وقد تقلد سيف الشاهانية بواسطة ابراهيم ميرزا خان الذي جعله وزيراً للحربية ، واغدق بهذه المناسبة على من حوله وغمرهم بالهدايا والاعطيـات ، ثم أخذ يتأهب لحرب الذين يناوئونه ويخرجون عليه . وهكذا أصبحت البلاد الايرانيـة ممزقة الاوصال ، وكل ثائر يسعى لكي يكون ملكاً عليها ، وانتشرت الفتن في تلك الربوع ، وعمت الفوضى والاضطرابات في كل مكان ، مما حمل والي بغداد أحمد باشا الكسريه لي على عرض كل ما بلغه من اخبار ايران على الدولة العلية بصورة مفصلة بكتاب قدمه الى المقامات العليا ، مستأذناً فيه مواصلة سفر موفد ايران نحو الاستانة بما كان معه من مراسلات معنونة الى الدولة العلية حول التماس الشاه ان تستمر العلاقات الطيبة بين البلدين .

ولكن الدولة العلية بالنظر لحوادث ايران الاخيرة ، لم تر من الليـاقة الترخيص للسفير مصطفى خان بالحضور الى الاستانة ، والنظر في أمر العلاقات ، ما لم تهدأ الامور وتتكشف احوال ايران ، وكتبت الى الوالي بأن يبقى الموما اليه في بغداد حتى اشعار آخر .

وقد ورد الجواب بهذا المعنى من الصدر الاعظم الذي حث الوالي على وجوب اكرام السفير مصطفى خان والانعام عليه بأن يدفع له الفي ليرة ذهباً ، والى رفيقه محمد مهدي خان الف ليرة ، مع ساعة مرصعة بالجواهر لكل منهما .

وقد قام الوزير بتقديم كل ذلك اليهما مع الحفاوة البالغة بهما ، مما جعلهما

في غاية السرور والامتنان ، وظلا معززين مكرمين في بغداد بانتظار ما تسفر عنه الحوادث الايرانية .

توجيه ولاية بغداد الى الصدر السابق الحاج محمد باشا

بالنظر لما حدث من الفتنة والتنافر بين القوات المرابطة في القلعة وبين الوالي ، وتمردهم على الاوامر ، وتعذر ضبط النظام وإعادة الامور الى مجاريها الطبيعية بحيث لم يمر يوم يخلو من حادثة بينهم ، وتجاسرهم في ارتكاب المخالفات، فقد اضطر الوالي الى الكتابة بشأنهم الى الجهات المختصة في الاستانة يعلمهم بما وصلت اليه اعمال هذه الحامية ، وعجزه عن ردعها وردها الى جادة الصواب .

وقد رأت تلك الجهات ان تنسب احد الوزراء المقتدرين لولاية بغداد ، فوقع اختيارها على والي الموصل الصدر السابق الحاج محمد باشا الذي هو من أصل انكشاري، وله معرفة بأحوال وميول وأخلاق الجنود الانكشارية .

وأصدرت فرماناً بنقله الى ولاية بغداد ، وأناطة ولاية الموصل بالوزير المكرم يحيى باشا الذي كان في السابق والياً على الروم ايلي ، وأوعزت الى الحاج احمد باشا الكسريه‌لي بالالتحاق بالاناضول والانتظار هناك لتلقي الاوامر، وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة من اعقاب سنة احدى وستين ومائة والف ، وقد باشر الوالي الجديد اعماله في بداية سنة اثنتين وستين ومائة والف.

وفاة المرحوم الحاج احمد باشا الكسريه‌لي

كانت الدولة العلية قد انعمت على والي بغداد السابق الحاج احمد باشا الكسريه‌لي بولاية مرعش، وكان الحاج الموما اليه ما زال في بغداد عندما صدر الفرمان الهمايوني بذلك .

وحيث سبق ان اوفدته الدولة العلية الى ايران مع الهدايا لتقديمها الى نادر

شاه ، وتعذر مواصلة سفره الى المحل الموفد اليه ، وبقاء تلك الهدايا بحوزته ، فقد اضطر للبقاء في بغداد كل هذه المدة من اجل تسليم تلك الهدايا الى خلفه ، وبعد جرد الاشياء المذكورة بحضور كل من الدفتردار وجماعة من الاعيان والوجهاء والتأكد من صحتها ، جرى تنظيم سجل خاص بمفرداتها وسلمت الى المسؤولين ، وخرج عندئذ من بغداد لمواصلة سفره الى مقر وظيفته الجديدة ، ولكنه في هذه الاثناء اصيب بمرض حال دون سفره ، ثم اشتد عليه المرض وانتقل الى رحمة الله .

فتور العلاقات بين والي بغداد الحاج محمد باشا ووالي البصرة سليمان باشا

ذكرنا ان سليمان باشا كان قد عين والياً على البصرة ، وفي الوقت الذي كان يتهيأ للسفر الى مقر وظيفته الجديدة حصل بينه وبين الحاج محمد باشا برود على اثر مكالمة حصلت بينهما ، وقد سولت لكل منهما نفسه ان يتولى المنصبين وحده وظهرت بوادر هذا الفتور والحسد على فلتات لسانيهما حتى شاع ذلك بين الخاصة ، فاستغل المغرضون والمنافقون هذه البادرة ، وراحوا يوسعون شقة الخلاف بين الاثنين الى ان سافر سليمان باشا الى البصرة مكرهاً ، وكل منهما يضمر الشر لصاحبه .

وبعد اقامته في البصرة فترة وجيزة ، حصلت هناك ضائقة اقتصادية اضطرت الاهلين من سكان الاطراف الى الهجرة الى داخل مدينة البصرة ، مما أدى الى كثرة وقوع حوادث الشغب والسلب والنهب وقطع الطرق ، وقد خرج الوالي بنفسه لتفقد شؤون الرعية والضرب على ايدي الذين يعكرون صفو الامن ، وابتعد عن البصرة لهذا الغرض بعدما اعلم والي بغداد محمد باشا بذلك ، غير ان محمد باشا لم يتلق هذه التصرفات بعين الارتياح ، وهو المسؤول عن منطقة العراق

برمتها ، وقدم شكوى ضد سليمان باشا الى المقامات العليا في الاستانة عن هذه التصرفات الكيفية .

ومع ان الدولة العلية كانت على يقين من اخلاق سليمان باشا واخلاصه في الخدمة ، الا انها مالت الى تصديق ما عرضه عليها محمد باشا . وبالنظر لاشتداد الحالة في ايران ، وقيام العشائر العراقية ببعض الحركات التي تدل على التمرد والثورة ، فلم تر من المصلحة اجراء تغيير في الوضع ، وعليه اكتفت بأن تنصح كلا الوزيرين بوجوب نبذ الحزازات والتعاون في سبيل معالجة الامور بالشكل الذي يؤمن المحافظة على المصلحة العامة . وفي الوقت نفسه، ومن باب الاحتياط اصدرت اوامرها الى والي سيواس زازه لي زادة الوزير المكرم محمد باشا ان يتقلد القيادة وان يسافر الى بغداد .

وأوعزت في الوقت نفسه الى ولاتها في حلب والرقة وديار بكر والموصل، ان تجعل ما لديها من القوات النظامية والقبائل ورؤساء الاكراد بمعية الوزير المشار اليه. وكذلك ألحقت به والي مرعش الوزير ابرهيم باشا وكل ما لديه من قوات . وقد وصل الجميع الى بغداد وعسكروا فيها ، بانتظار الاوامر وما تسفر عنه الحالة في ايران. هذا وقد اوفدت الدولة العلية مصطفى بك الى بغداد للقيام بالتحقيق في الامور المنسوبة لكل من والي بغداد ووالي البصرة وتقديم تقرير مفصل بالنتيجة .

وقد ظهر من التحقيق ان ما نسب الى سليمان باشا لم يكن له نصيب من الصحة ، وان الاخباريات الواردة ضده كلها ملفقة وكاذبة ، واقترح المحقق اناطة ولاية بغداد به .

أما والي بغداد محمد باشا فانه عندما اطلع على فحوى تقرير مصطفى بيك وما آلت اليه تحقيقاته ، قامت قيامته واخذته العزة بالاثم ، وراح يضرب اخماساً بأسداس ، ويفكر بالنتائج الوخيمة والعقوبات التي ستناله من جراء فقدان ثقة البادشاه به ، وترجيح غريمه عليه فيما اذا وصل التقرير ، فقرر ان

يجازف بنفسه ويسافر بقواته الى البصرة ، والهجوم على سليمان بك للتخلص منه بأية وسيلة كانت .

ولما علم غريمه بذلك استعد هو الآخر ، وزحف كل منهما نحو صاحبه ، وتلاقيا في محل قريب من الحلة .

أمـا سليمان باشا فقد تظاهر بالانسحاب لجر غريمه الى مكان مناسب ، ولتكبيده خسائر مادية ومعنوية ، واخيراً تمكن سليمان باشا من دحر غريمه ، ثم ملاحقته إلى قرب بلدة الكاظمية ، حيث نصب خيـامه ، وكتب الى الدولة العلية عما فعله والي بغداد ، مما اضطره الى المجيء الى هناك ، وانه بانتظار ما تأمر به من الاجراءات .

ذكر وقائع سنة ثلاثة وستين ومائة والف

توجيه ولاية بغداد الى سليمان باشا والي البصرة وعزل الحاج محمد باشا

نظراً لما بينه مصطفى بيك في تقريره ، وما تلقته الدولة العلية من المعلومات التي قدمها سليمان باشا عن الاعمال التي ارتكبها خصمه الحاج محمد باشا ، وحيث ظهر لها ان الاخير غير لائق لادارة شؤون منطقة كبيرة وذات اهمية كالعراق ، فقد اصدرت أوامرها بعزل محمد باشا وبتعيين سليمان باشا بدلاً عنه والياً على بغداد وعلى البصرة ايضاً . ثم غفرت لمحمد باشا مـا بدر منه من الاندفاعات ، وعينته والياً على مكة المكرمة وجدة وسفيراً لها في الحبشة ، وقد شفعت له خدماته السابقة واخلاصه للدولة العلية .

العودة الى ذكر حوادث ايران واشتداد الحالة فيها

منذ وفاة نادر شاه حتى الآن ، اي بعـد مرور ثلاث سنوات على وفاته ، والحالة في ايران تتردى من سيء الى أسوأ ، ففي كل مكان يبرز شخص على

رأس بضعة افراد يتزعمهم ويطالب بالملك ، وفي كل ناحية يظهر من يدعي الحسب والنسب ووراثة التاج . فان علي ميرزا خان وان كان قد تمكن من السيطرة على الوضع ، والتف حوله الاكثرون ، واعتبروه الشاه الشرعي بعد نادر شاه، الا ان الخيانة لا بد وان تردي صاحبها ، وان الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وان شراً فشر ، فبسبب غدره وخيانته لعمه نادر شاه تسلط عليه من يغدر به ويخونه ، وهو اخوه وشقيقه ابرهيم ميرزا خان الذي كان قد اتخذه اعتماداً للدولة ، اي رئيساً لوزارته ، ثم فارقه واعلن العصيان عليه ، واخيراً اسره ومثل به شر تمثيل ، اذ فقأ إحدى عينيه وتركه للعذاب .

وقد اعتقد ابرهيم ميرزا خان انه بعمله هذا قد أمن الغوائل ، وتمهدت له الامور ، وأصبح يدعى ابرهيم شاه بدلاً من اسمه الحقيقي واقبه ميرزا خان ، ولكنه لم يكد يفعل هذا حتى تسلط عليه شاه رخ ميرزا حفيد نادر شاه من ابنة الشاه حسين الصفوي ، اذ خرج إلى الميدان كما بينا ذلك في حوادث سنة اثنتين وستين ومائة والف ، وتحت قيادته جمع غفير من اكراد قوجان وخراسان يبلغ الستين الفاً عدا الذين التحقوا بهم من الطوائف الاخرى ، وتقلد سيف الملك في مدينة المشهد ، ومنذ ذلك الوقت قام باتخاذ التدابير اللازمة والاستعدادات الحربية للهجوم على ابرهيم شاه .

ولما كان شاه رخ ميرزا من سلالة الشاه حسين صفوي من ناحية امه ، فقد التف حوله الايرانيون وأخلصوا له الطاعة ، وتضعضع مركز ابرهيم شاه الذي نال عاقبة خيانته بتردي حالته الصحية ، ثم اعترافه وندمه على ما فرط منه ، وأخيراً هلك بعدما تخلى عنه المقربون اليه ، وبذلك لم يبق من يزاحم شاه رخ ميرزا ، ولكنه بالنظر لصغر سنه ولعدم مقدرته على ممارسة الحكم ، ولوجود لكنة في لسانه تحول دون افهام مرامه ، فقد تولى الحكم باسمه جماعة من اتباعه نيابة عنه ، فاضطرب ايضاً وضع الحكم في ايران لاختلاف الميول والآراء ، ولسعي كل واحد من هؤلاء وراء منافعه الشخصية . ولما نفد كل ما في خزائن

هذا الشاه ، بدأ النفور منه والتباغض يسري بينهم وتطور الى نزاع سافر ، وخيم على ايران كلها عهد مظلم وفترة عصبية ، وخلال ذلك ظهر شخص آخر يدعي النسب الصفوي وهو سليمان شاه ، وراح يجمع الناس حوله مطالباً بالتاج الشاهاني ، وقد التف حوله ايضاً خلق كثير بدافع العصبية والطائفية المذهبية ، ومالوا نحوه وبايعوه ، وراح يحكم في جهة من جهات ايران الواسعة باعتباره الشاه الشرعي .

ولكنه لقصر عقله سلم اموره كلها بيد شخص احمق غشوم يسمى كور سليم خان ، فأخذ هذا يعيث في الارض فساداً ، واتجه نحو العراق يوقد نار الفتنة في كل بلد يحل فيه ، حتى ضجر الناس من تصرفاته وانفضوا من حوله كما انفضوا من حول الذين سبقوه من الشاهات والامراء .

وبعد حوادث كثيرة أسند التاج الايراني الى سيد محمد بن متولي مشهد الرضا السابق داود ميرزا ، وكان تتويجه باتفاق الآراء ، ولكن لم يتمكن هذا الشاه ايضاً من ادارة دفة البلاد بالشكل الذي يرضي الناس ، فراحوا يبثون ضده مختلف الدعايات ، ويسعون لخلعه واسقاطه ، واخيراً وبعد مرور شهرين على توليه الحكم ، وكما جرى على الشاه رخ ميرزا فقد جرى عليه ، إذ سملوا عينه وعيون الابرياء من اولاده ولم يرعوا حرمة لسيادته ، ثم قتلوه وابادهم شر قتلة ، وعادت من جديد تلك الفوضى والاضطرابات ، وشملت جميع بلاد ايران أكثر مما كانت عليه في السابق .

وبعد محن وخطوب ووقائع ، اتفق العقلاء من الايرانيين على انتخاب اسماعيل ميرزا الذي كان معروفاً بأنه من صلب السلالة الصفوية ، ولكن الدعوة اليه بعدما رأى ما حل بمن سبقه من صنوف العذاب عزفت نفسه عن تولي المسؤولية واعتذر فلم يقبلوا عذره ، وأجمعوا كلهم على تنصيبه ، فانصاع الى ارادتهم وتمت مراسيم تتويجه شاهاً على ايران ، وأجلس على كرسي الشاهانية في اصفهان .

وبعد انتهاء المراسيم واحتفاء الايرانيين به احتفاء بالغاً لاعتباره من سلالة الشاه اسماعيل الصفوي ، أذيع خبر جلوسه على العرش وعمت الافراح في جميع الاطراف والانحاء ، وقام اعتماد دولته علي مردان خان بابلاغ الجهات الرسمية وعلى رأسهم والي بغداد سليمان باشا بما تم من امر تنصيب الشاه الجديد ، واعلم ايضاً السفير الموجود في بغداد مصطفى خان اذ تلقى هو الآخر توجيهاً شاهانياً بذلك .

وعلى هذا فقد قام الوالي بعرض جميع التفصيلات على الدولة العلية ، وقدم لها ما ورد اليه من الرسائل حول ذلك .

ثم وردت الاخبار من البلاد الايرانية حول قيام شاه رخ ميرزا الذي سملت احدى عينيه ، باغراء من بعض الناس ، بالدعوة لنفسه، واتجه نحو المشهد بمن التف حوله ، واعلن عودته إلى الملك . وبعد تنظيم الامور هناك سافر الى خراسان وشيراز ، ومما قوّى مركزه انضمام صالح خان الى جانبه والدعاية له ، وخلع طاعة الشاه الصفوي والتحق به الى شيراز على رأس اثني عشر الف رجل .

ثم ظهر شخص آخر من خوانين الافغان يدعى ازاد خان كان قد ارتبط قبلا بحكومة اذربايجان وانبرى يدعي الملك ، وقد حشد حوله جماعة من الناس ولا سيما عشيرة أفشار وهي عشيرة نادر شاه ، وهجم على قلعة اورمية واحتلها وتغلب على حاميتها ، وواصل تقدمه الى مراغة واردان .

وظهر كذلك شخص يدعى كريم خان قد فتنه التاج هو الآخر ، وراح يصول ويجول في منطقته وبين اتباعه ، وأخذ يعد العدة للهجوم على ما حوله ، وكانت قاعدة حركاته ما بين قزوين وهمدان .

وبرز من نواحي تفليس ظهمورث خان وأعلن الانفصال والاستقلال، والتف حوله عدد كبير من الكرج ، ولكي يظهر قوته وصولته للاعجام هجم بقواته على ما حوله من المدن والقرى .

وصفوة القول انه قد خرج من كل جانب من جوانب المملكة الايرانية شخص يطالب بان يكون هو الشاه لمجرد انه يتزعم قوة أو قبيلة لا يتجاوز افرادها الخمسمائة رجل ، وراح يصول ويجول على الطريقة النادرية ، مما ادى الى هجرة الاهلين وهروبهم من مكان إلى مكان ، وكان معظمهم قد اختار البلاد العراقية انقاذاً لانفسهم واعراضهم من الجور والظلم والطغيان . وقد كتب الوزير أيضاً الى الدولة العلية يعلمها بذلك وبما آلت اليه الحالة في ايران .

تململ السفير الايراني مصطفى خان وميله للاستيلاء على ملوكية ايران فيما اذا أعانته الدولة العلية

لقد عمت البلوى ربوع ايران ، وراح الزعماء والمتنفذون يكيد بعضهم لبعض ويقتل بعضهم بعضاً ، في سبيل ان يكون كل منهم الملك المفضل على غيره ، وانتشر الرعب بين الافراد والجماعات ، وانقطع حبل الأمن ، واختل النظام ، وبلغت الحالة من حيث الفوضى والاضطراب حداً لا يوصف ، مما شجع سفير ايران مصطفى خان المقيم في بغداد ان يتململ هو الآخر ويمد عنقه لالقاء دلوه في الدلاء ، وان يتنافس مع المتنافسين عسى ان يحظى بهذا التاج المسحور .

ولكي يضمن لحركته النجاح رأى اولاً وقبل كل شيء ان ينال ويكتسب عطف الدولة العثمانية والحصول على مساعدتها ، وعليه فقد استأذن للسفر الى الاستانة وعرض ما يجول بخاطره على والي بغداد سليمان باشا برسالة هذا مضمونها :

« جئت الى هذه الديار كما تعلمون ممثلاً ومندوباً من قبل نادر شاه وسفيراً للمملكة الايرانية ، ولكن الظروف حالت دون قيامي بالواجبات الملقاة على عاتقي ، ولقد غمرتموني بالطافكم كل هذه المدة التي أقمت خلالها بين ظهرانيكم ، وقد لاحظتم ان اتفاق نادر شاه مع دولة المسقوف ادى الى انقطاع نسله جزاء وفاقاً من الله سبحانه وتعالى ، وفي هذه المرة وبعد قتل شاه رخ ميرزا قد انقطع

نحله تماماً مما أدى إلى قيام المسقوف بتحشيد قواتهم واقترابهم من بلدة كيلان ، واتخذوا لهم صنائع من بعض الخوانين الايرانيين الخونة الذين راحوا يصولون ويجولون في طول البلاد وعرضها بمساعدة المسقوف ، الأمر الذي أدى إلى الاضطراب والفوضى والخراب .

« ولم يتمكن المواطنون من ايجاد من يتمكن من السيطرة على الوضع ، وصار الحكم في البلاد لمن غاب ، فلهذه وأمثالها ولكوني قادراً على ضبط الامور ، فلعل الدولة العثمانية تتخذ مني سداً حائلاً دون تقدم المسقوف ، مع العلم ان اتباعي لا يقلون عن عشرة الاف مقاتل كلهم من عشيرتي الخاصة ، فاذا ما نلت مساعدتكم فسأتقدم لاحتلال كرمنشاه وهمدان واصفهان وقزوين ثم سائر البلاد الايرانية ، واجعلها تحت قبضتي بدون مزاحم وفي أقصر وقت. وكل ما أتمناه ان تمدوني بمقدار من رجالكم العسكريين ، وان توعزوا بان تكون القوات الموجودة في كردستان تحت امرتي ، وسأجعل البلاد الايرانية من اطوع البلاد لكم ، ولي الأمل بان أنال ثقتكم وعطفكم ... »

رد التماس السفير الايراني مصطفى خان

لما كانت الدولة العثمانية سبق لها ان ارتبطت بعهد مع شاه ايران السابق ، وأبرمت معه رابطة السلم والصلح ومتاركة الحرب ، وانها ليس من عاداتها الاخلال بالالتزامات والشروط التي قطعتها على نفسها مهما تقلبت الظروف والاحوال ، فلذلك لم تأخذ ما طلبه السفير بنظر القبول والاعتبار ، ورأت ان ترده بلطف وتنصحه بالاقلاع عن مثل هذه التشبثات ، وفيما يلي صورة الجواب الوارد الى السفير الايراني من الصدر الاعظم :

صورة كتاب الصدر الاعظم الى مصطفى خان

« تلقينا رسالتكم الكريمة واطلعنا على ما بينتموه من الاحوال السائدة في البلاد الايرانية ، كما أطلعنا على تقرير الوزير المكرم صاحب العزة سليمان باشا ،

وكذلك أطلعنا على تقرير سفيرنا عبد الرحمن بيك الذي تأخر في بلدة بسهان ، عن الحوادث الواقعة في البلاد الايرانية ، وما ترغبون في اتخاذه من الاجراءات، ونعلمكم ان الدولة العلية بعدما عقدت الصلح وشيدت بنيان السلم بين المملكتين، لم تكن قد فعلت ذلك من أجل الايرانيين قاطبة ، وان الدولة العلية ما زالت وستبقى صديقـة للايرانيين مهما تبـدلت الظروف والاحوال ، ولن تستطيع نكث عهودها التي قطعتها على نفسها ، فعليه نرجو ان تعلموا بان الدولة العلية لا تريد ان تفكر في الاقدام على أي عمل يخالف ما ابرمته من العهود والمواثيق ، ومع ان الوضع في البلاد الايرانية أصبح في غاية الخطورة والحراجة ، وأصبحت الفوضى ضاربة اطنابها هناك ، بحيث يستطيع أي طامع اجتياحها بسهولة ، فانا قد أصدرنا تعليماتنـا الى ضبـاط الحدود ان لا يتقدموا خطوة واحدة داخل الحدود الايرانية، وأكثرنا من الوعيد لكل من تسول له نفسه الاقدام على أي عمل طائش يسيء الى سمعتنا والى مواثيقنا والتزاماتنا .

« مع العلم اننا لم نشاهد أية حركة معادية من البلاد التي ذكرتموها ولا من العشائر المجاورة لحدودنا تبرر التدخل في شؤونها . »

ذكر وقائع سنة أربعة وستين ومائة والف
اضطراب الحالة في البصرة وقيـام سليمان باشا
بتعيين وايفاد سكرتيره الخاص الى هناك

كان الوزير سليمان باشا على أثر تعيينه لولاية بغداد قد بذل منتهى جهوده لاستمالة أهالي البصرة قاطبة ، والضرب على أيدي الثائرين منهم ، وتعويدهم على النظام والتقيد بالاحكام ، وكان قد عهد بامورهم الى مير ميران شط العرب مصطفى باشا وعينه متسلماً هناك ، تقديراً له واعجاباً بحسن أخلاقه وصداقته والخدمات التي أبداها في سبيل المصلحة عندما كان الوزير هنـاك ، فلما سافر

الوزير إلى بغداد وأرسل القوات العسكرية التي كانت موجودة لديه إلى جهات كردستان ، فان المومأ اليه مصطفى باشا قد انتهزها فرصة سانحة للانقضاض على سليمان باشا واعلان الانفصال والاستقلال ، واتخذ من بعض العشائر المتمردة مثل عشائر المنتفق اعواناً يشجعونه ويناصرونه على ما أقدم عليه ، وتمكن من التسلط على تلك الانحاء ، ثم قـــام بالتحصينات اللازمة في قلعة المناوي وحشد جيشاً قوامه المتمردون من الجزائريين وغيرهم (يقصد جزائر الاهوار وتلك التي تقع حوالي المحمرة ودزفول) وزودهم بالسلاح والعتاد وظن انه بذلك تمكن من الضبط والسيطرة .

وقد أمر الوزير فوراً بحشد قوة كبيرة وسيرها بقيادة سكرتيره الخاص. وقد علم في هذه الاثناء ان عشائر المنتفق الثائرين قد اتخذوا قرب البصرة قلاعاً واستحكامات لعرقلة تقدم أية قوة تأتيهم من بغداد، ووضعوا من يقوم بالمراقبة والترصد على كل جسر أو ممر أو طريق من افرادهم المسلحين ، وقـــد حصل سكرتير الوالي على هذه المعلومات قبل سفره .

فلما بلغ مواقع هذه التحشدات اندفع يصليها ناراً حامية ، وجعلهم يفرون أمامه خوفاً وفزعاً ، وتشتت شملهم وتركوا المقاومة ، ولاذوا بالاهوار بعدما استسلم قسم منهم وطلبوا الامـــان ، فاجابهم إلى طلبهم ونصب عليهم شيوخاً آخرين غير اولئك الذين حرضوهم ، ثم واصل تقدمه نحو قلعة المنـــاوي وحاصرها وأرسل من ينصح الثائر بلزوم التسليم، ولكن مصطفى باشا لم يجسر على تلبية الطلب ، وآثر الهروب بعدما تيقن من عدم تمكنه من مقاومة هذه القوة ، وكذلك هرب الزعماء الذين كانوا يشدون ازره ويعتمد عليهم ، والقوا بانفسهم إلى بعض البواخر والزوارق حيث اتجهت بهم نحو الخليـــج ، فلما رأى السكرتير ما فعلوه قام باحتلال القلعة واسر من فيها، وخلال هذا قدمت بعض البواخر التجارية فامتطاها هو وقواته وراح يتعقب الفارين ، ولما أدركهم تمكن الثائر مع اثنين من أتبـــاعه من الهروب نحو بندر بوشهر ، وقبض على الباقين

بما معهم من سفائن وبواخر وعاد بهم الى البصرة ، والقى مراسيه قرب المناوي، ثم تولى أمر تصفية العصاة ، وأعاد الأمن والنظام إلى الوضع الطبيعي ، كما عفا عن الذين أعلنوا الاستسلام، ونظم أعمال المصلحة النهرية، وأخبر الوزير بتفاصيل ما وقع .

وحيث ان الميناء بقي بدون ضابط فقد أنيطت اموره باحد المير ميران السابقين وهو ابرهيم باشا .

ورود التماس تحريري من وجهاء ايران الى الدولة العلية بواسطة السفير الموجود في بغداد مصطفى خان

أخذ يتوارد على بغداد بقصد الحج والزيارة الكثير من الايرانيين ولا سيما أهالي خراسان واصفهان، وقد قدم من ضمنهم أحد وجهاء اصفهان المدعو الميرزا عبد المؤمن، وهو يحمل مضبطة موقعة من قبل اشراف وأعيان وعلماء اصفهان، يلتمسون بها ان تتدخل الدولة العثمانية في شؤون ايران التي طغت عليها موجات من الفوضى والاضطرابات ، لاعادة النظام فيها الى نصابه، ومساعدتها في محنتها، واقامة أحد أفراد السلالة الصفوية ملكاً عليها على ان يكون اختياره من قبل الدولة العلية .

فقام السفير مصطفى خان بتقديم هذا العرض إلى الوزير الذي قدمه بدوره الى الدولة العلية .

جواب الصدر العالي

بعد تلقي المضبطة التي رفعها أهـالي ايران واطلاع الجهات المسؤولة في الاستانة عليها ، وبعد المداولة حولها مع البادشاه، قررت رفض الطلب بكتاب لا تختلف صيغته عن كتابها السابق من عدم امكان التدخل في شؤون ايران الداخلية ، وعدم امكان خرق المواثيق المعقودة بين الدولتين ، وانها عند رأيها

الذي بينته سابقاً من التمسك بتعهداتها ، وانها تضرع الى الباري تعالى ان يعيد الى البلاد الايرانية الهدوء والسكينة، وان يهيء لها من بين ابنائها من تختاره هي، لتحمل المسؤولية واعادة النظام، وانها، أي الدولة العلية العثمانية، تتمنى من الصميم ان تتوفق البلاد الايرانية من ازاحة كابوس الفوضى عنها ، واذا اراد الله شيئاً هيأ أسبابه ، ولعل الله يهيء لها من أبنائها المخلصين من يأخذ بيدها ، مكررة اعتذارها مرة اخرى من عدم امكان النظر في اسعاف الطلب .

العودة الى حوادث ايران

كان الجالس على عرش ايران قبلَ نادر شاه احد اولاد شاه حسين الصفوي المدعو طهماسب ، ولهذا الاخير ولد يسمى حسين ميرزا ، فقيل انه عاد قبل شهرين او ثلاثة اشهر مع اثنين من خدمه من جهات اذربايجان الى محل يسمى «بان» ومن هناك جاء لاجئاً الى بغداد .

ولما كان الوزير ليس على يقين من كون الموما اليه اميراً ، فلم ير موجباً لمعاملته معاملة الامراء ، ومع ذلك فقد قام باكرامه وسمح له بالبقاء بضعة ايام في بغداد . كما سمح له بزيارة المشهدين الشريفين كربلاء والنجف ، وهناك اتصل ببعض وجوه الايرانيين المستوطنين ، ولا سيما القوريجي باشي محمد رضا خان والشخصين اللذين عهد اليهما نادر شاه الاشراف على طلاء القبة الشريفة بالذهب وتعمير الصحن وهما مهدي خان وميرزا ابرهيم وغيرهما ، وأعلن لهم عن نسبه وانه ابن شاه طهماسب فصدقوه ، لعلمهم ان نادر شاه بعد خلع طهماسب وحبسه تمكن بعض اتباعه من تهريبه الى موسكو .

وبعدما تأكدوا من صحة نسبه ببعض القرائن والامارات، كتبوا الى السفير المقيم في بغداد مصطفى خان بذلك ، وهذا اتصل بدوره بالوزير وأطلعه على صحة نسب ابن شاه طهماسب ، والتمس منه ان يعامله معاملة ابناء الملوك .

ولكن الوزير وان لم تحصل له القناعة الكافية بذلك ، فانه عرض الامر على الدولة العلية وسمح للموما اليه بالاقامة في النجف ، وخصص له ما يكفيه من المرتب والتعيينات ريثما يبت في أمره .

وقد رأت الدولة العلية انها ان اخذت بالرأي القائل بانتسابه الى الشاه طهماسب ، فانه يتحتم عليها عندئذ ان تعامله معاملة الامراء ، وان تساعده على الجلوس على عرش ابائه ، وفي هذا مخالفة صريحة للعهود التي قطعتها على نفسها ، وانها تكون قد تدخلت في امر كانت قد احجمت عنه مدة طويلة وقعت خلالها حوادث مروعة في البلاد الايرانية ، وعندئذ لا بد لها ان تتكبد من الخسائر ما هي في غنى عنه .

ولهذا رأت ان مساعدة هذا الشخص من الأمور المتعذرة ، ولما كان بحيثه بهذه الصورة لا يبعد ان يكون حلقة في سلسلة الطلبات التي ترد من الايرانيين للتدخل في شؤون ايران ، يضاف الى كل هذه الاحتمالات ان وجود الشخص المذكور في البلاد العثمانية مما يؤدي الى ارتياب الجهات الايرانية الاخرى في نوايا الدولة العلية ويبعث على خلق المشاكل ، لهذا كله كتبت الى الوزير أن يدفع للموما اليه مبلغاً قدره اربعة الاف قطعة ذهباً بصفة هدية من الدولة العثمانية ، وان يلتمس منه مغادرة البلاد بكل لطف واجلال واكرام ، لأن بقاءه ليس من مصلحة البلدين ، فتم الامر على هذه الصورة .

تحركات سليم باشا

لقد كانت تصرفات سليم باشا بابان مبعث شك وارتياب منذ ايام نادر شاه ، اذ كان يتقرب الى الايرانيين ويرتبط معهم بالاتفاقات ، ويظهر العصيان والتمرد وعدم الطاعة للأوامر التي يتلقاها من الوزير ، وقد اتفق في الاونة الاخيرة مع متصرف كويسنجق عثمان باشا وأعلن الانفصال والاستقلال ، وراح كلاهما يصولان ويجولان في المنطقة الكردية ويستوليان عليها شيئاً فشيئاً ، الامر الذي

لم يعد بامكان الوزير السكوت عنه ، فجرد عليه حملة عسكرية تولى بنفسه قيادتها ، ولما بلغ تحصينات الثائرين هجم عليها هجمة عنيفة زلزلت اركانها ، وجعلتهم يفقدون السيطرة على اعصابهم ، ولا سيما سليم باشا الذي لجأ الى البلاد الايرانية يتبعه بعض افراده ، أما الباقون فقد امتنعوا عن متابعته وقرروا البقاء في الوطن واعلنوا الاستسلام والخضوع ، وقد عفا الوزير عنهم وأقام ابن عم سليم باشا متصرفاً على لواء بابان بدلاً عنه .

اما عثمان باشا فقد تعذر عليه الالتجاء الى الحدود الايرانية بسبب تعديه على الايرانيين فاختار الفرار الى جهة مجهولة، ولما تعذر العثور عليه ولم يبق في المنطقة ما يستوجب البقاء فيها عاد الوزير من تلك الجهات واقام قريباً منها في كركوك بضعة ايام علم خلالها ان عثمان باشا عاد وجمع اتباعه وعشيرته وراح يتحصن في جبل يسمى اوكرد ، وقد جهز اتباعه بالسلاح وجعلهم في حالة استعداد للقتال، وعندئذ قرر الوزير ان يفل جموعه ويهجم عليه ، وهكذا تحرك من كركوك متجهاً نحو الثائرين وأحاط بهم وبحصونهم وقلاعهم ، وشد عليهم شدة منكرة وقطع عنهم مجاري المياه ، وضيق عليهم الخناق والحصار ، ثم هجم بعساكره هجمة واحدة دك بها قلاعهم ، ومع انه واتباعه اظهروا من الشجاعة والاقدام ما لا مزيد عليه فانهم ولوا الادبار ، وتعقبهم الجيش واخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ثم تم الاستيلاء على ذخائرهم وأمتعتهم ومعداتهم وما تركوه في حصونهم ، ووقع في الاسر كل من عثمان باشا واخوانه ابرهيم بك وسليمان بيك وابنه حسن بيك . ولما أحضروا امام الوزير اخذ يعاتبهم على تصرفاتهم ويطلعهم على سوء افعالهم ، ثم قطع اعناقهم وارسلها الى الاستانة !

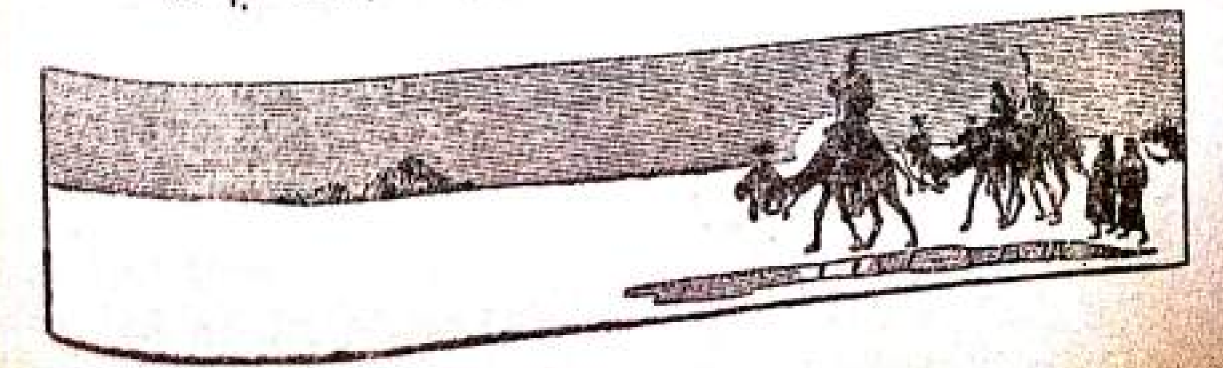
أما شقيق عثمان باشا المدعو قوچ باشا فقد التجأ بأتباعه الى قلعة اربيل وتحصن بها ، وطرد من القلعة كل من لا يتابعه ويعلن العصيان معه ، وبعمله هذا فتح باباً للتمرد والعصيان . فأمر الوزير بتضييق الحصار عليه وعلى من معه ، ولأجل القاء الحجة فقد أمره بالاستسلام وبذل له الامان ، ولكنه لم يلتفت الى ذلك ،

وعندئذ حاصر القلعة تسعة ايام ثم احتلها وقبض على الثائر المذكور وقطع عنقه كما قطع اعناق بعض اتباعه وسيرها ايضاً الى الاستانة ، وبذلك هدأت الامور في جميع كردستان ، وعاد مظفراً إلى بغداد ، فاستقبل باحتفال مهيب .

ذكر حوادث سنة خمسة وستين ومائة والف

استعادة الهدايا التي كانت موسلة الى ايران

بالنظر لما اطلعنا عليه في سجل وقائع السنين السابقة ، فان الهدايا التي قدمتها الدولة العلية الى نادر شاه ، والتي أتى بها احمد باشا الكسريه لي وعاد بها الموما اليه من البلاد الايرانية بسبب الاضطرابات التي وقعت بعد مقتل نادر شاه وحفظت في بغداد بانتظار عودة الامور الى مجاريها ، وبالنظر لوفاة الباشا المشار اليه بعد تسليم مفردات هذه الهدايا بحضور شهود وسجلات الى المسؤولين في بغداد ، ولما كانت حوادث ايران تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، ومن حين لآخر يظهر في الميدان من يدعي الملك ، فقد رأت الدولة العثمانية من المتعذر بعد هذا تقديم تلك الهدايا الى الشاه الايراني ، ولذلك ارسلت احد معتمديها الى بغداد وهو محمد آغا وزودته بأمر استلام الهدايا المذكورة وجلبها إلى الاستانة لعدم الفائدة من حفظها في بغداد ، وبعد حضوره وقيامه بجرد المفردات ومطابقتها مع السجلات المختصة وتأكده من صحتها استلمها وعاد بها الى الاستانة.



ورود اخبار جديدة عن حوادث ايران

ان هذه المعلومات التي نسردها ادناه قد تصيدناها من افواه العيون الثقاة الذين عادوا من الديار الايرانية ، ومن افواه الزوار الايرانيين القادمين من هناك ، ومن الرسائل الواردة على السفير الايراني مصطفى خان ، وبما ان هذه الاخبار قد بلغت حد التواتر فلا مندوحة لنا عن تسجيلها للعبرة والتاريخ .

سبق ان بينا ان أحد اصحاب نادر شاه كان قد سيطر على بلدة قندهار ، وأعلن نفسه ملكاً على البلاد ، واندفع يغير على ما حوله من المدن والاماكن المجاورة للأراضي الهندية ثم يعود ظافراً إلى قندهار .

وأخيراً عزم المومأ اليه على الاغارة على نيسابور وهرات ، ونفذ عزيمته وعاد إلى قندهار كعادته ، ثم عزم على الهجوم وإخضاع البلوشيين الذين تقع أراضيهم بين الهند والافغان ، ولكن بعد المسافة وضرورة الاستعداد التام لهذه الغزوة قد حالا موقتاً دون تنفيذها ، وبينما كان يتأهب لها اذ تصدى له ابن عمه وقتله غيلة ونصب نفسه مكانه . ومن جهة اخرى فان جماعة من الاكراد والخراسانية وبعض الخوانين الايرانيين قد تسلطوا على ولي عهد نادر شاه ، وقد أصبح أعمى العينين ، واستولوا على ما معه من الخزائن التي كان قد أخفاها أثناء هروبه من مكان إلى مكان ، وكانت تحتوي على كثير من النقود والجواهر والتحف النادرة ، واغتصبوها منه طوعاً أو كرهاً بحجج مختلفة .

وبعدما اقتسموا هذه الثروة راح كل زعيم منهم الى جهة من جهات ايران ينادي بنفسه ملكاً على البلاد الايرانية ، وتركوا الشاه رخ ميرزا في مدينة المشهد عاجزاً عن اتخاذ أي عمل لاعادة هيبته أو جزء مما كان معه من الاموال ، وأصبح أشبه بالاموات لا يكاد يحصل على قوت يومه .

وفي أصفهان ظهر شخص يسمى اسماعيل ميرزا وهو أحد احفاد الشاه حسين ، وعمره ما بين ١٥ و ٢٠ سنة ، قد جاء به علي مردان البختياري وجماعته

وبالاتفاق مع بعض الايرانيين نصبوه ملكاً على ايران ، ولكن السلطة بيد الزعماء المتنفذين منهم وعلى الاخص بيد علي مردان الذي نصب نفسه اعتماداً للدولة ، وأخذ يأمر وينهي كيفما يشاء ، ثم جمع حوله بعض الغوغاء وهجم بهم على شيراز ، وأعمل هناك السلب والنهب وأشاع الفوضى والاضطراب ، وفي طريقه عند قفوله راجعاً الى اصفهان علم ان أحد افراد عشيرة زند الكردية القاطنين قرب اصفهان المسمى كريم خان قد انتهزها فرصة وهجم بمن معه على أصفهان التي كانت خالية من القوات العسكرية حينذاك واحتلها. وبعد ان نظم كريم خان القوات التي معه راح يتعقب علي مردان حتى ظفر به ، ونشبت بين الاثنين معركة انتهت بفوز كريم خان ، وعندئذ عاد ودخل اصفهان دخول الظافرين ونصب نفسه اعتماداً للدولة بدلاً من علي مردان ، وراح يأمر وينهي ، وجرد الشاه من كل سلطاته ، ونهب كل ما كان يملكه علي مردان وأهله وعياله ، وأخيراً طرد الشاه وأخذ يعد العدة للمناداة بنفسه ملكاً كما فعل الاخرون من أمثاله ، ولقد زاد عتوه وغروره بمعاملة الناس بمنتهى القسوة والظلم ، لا يهمه ان يقتل ويرتكب المعاصي والموبقات ، وقد قتل صاحبه كور سليم خان الذي كان يده اليمنى في المعارك وغيرها بلا سبب ، وبطش بالكثير من أصحابه والذين آزروه ، الامر الذي جعل أهالي اصفهان يستغيثون من ظلمه وجوره ، واقتصر حكمه على اصفهان وما جاورها .

وهكذا كانت أفعال المتزعمين والمسيطرين على كل ركن من أركان البلاد ، وعلى الاخص في يزد وشيراز وكرمان ، كأنما أراد الله لهذه البلاد ان تدمر بأيدي ابنائها وزعمائها ، فكل واحد منهم يدعي انه الملك الذي يجب ان يطاع دون غيره ، أما الحويزه ولورستان وشوشتر ودسبول ودورق فلما كان حكامها من الاجانب فقد حافظت على هدوئها واستنكرت مـا يقوم به زعماء ايران داخل البلاد ، وقد ظهر بينهم من حاول ان يكون ملكاً وهو المدعو عسكر خان فتجمعوا عليه وقتلوه .

أما طهران فقد استولى عليها شخص يقال له ميرزا نظام واستقل بها ، وأما همدان فقد تعرضت الى الدماء بسبب الغارات ، ولم يبق فيها سوى ما يقارب الماتي دار يقطنها الفقراء ، وحيث لم يكن لديهم حراس وحكام لصيانة الأمن فاولئك أيضاً تسلط عليهم أحد سكان القرى المجاورة من عشيرة قره كرزلو وراح يأمر وينهي عليهم .

وأما كرمنشاه التي يحكمها الخراساني عبد علي منذ زمن نادر شاه ، فقد أعلن الرجل هو الآخر الاستقلال معتمداً على ما كان معه من اسلحة نادر شاه ومدافعه وذخائره وسائر ما يحتاجه للدفاع ، وراح يتحبب الى الدولة العلية . ويعلن خضوعه لها ، ويكثر من مجاملة حاكم اصفهان كريم خان من باب المداراة .

وأما اذربايجان وما يليها فقد سبق ان أعلن الاستقلال بها أحد الافغانيين وهو المدعو ازادخان، وهذا اندحر أخيراً أمام حاكم الكرج الذي استولى على ذخائره ومعداته ومن معه من عساكر واتباع ، الا انه عاد واستعان بالازبك وبضعة الاف من الافغانيين، وبعد تنظيمهم هجم بهم على قلعة اورومية واحتلها ثانية ، ثم أرسل أحد معتمديه، وهو المدعو موسى خان مع قوة عسكرية نحو زنجان وسلطانية فتصدى له صفي‌يار بن كور بيستون خان حوالي انكوران ، ووقعت بينها مصادمات عنيفة انتهت باندحار موسى خان واستئصال ما معه من القوات. ولما بلغ خبرهم ازاد خان اعتراه اليأس والذهول وتقلص حكمه ثم انزوى في زاوية من زوايا اورومية .

وهكذا كانت الحالة في مختلف نواحي ايران تتدهور من سيء الى اسوأ ، ولما كان اهلوها مختلفين في مذاهبهم وميولهم فقد أخذ بعضهم يحارب بعضاً ، والكل في هرج ومرج ، ومن عزّ بزّ ، ومن غلب سلب ، واستغل الاقوياء الضعفاء ، وأصبحت حالتهم ينطبق عليها قول الشاعر :

أرى ألفَ بانٍ لا يقوم بهادمٍ
فكيف ببانٍ خلفه ألفُ هادمِ

وراح الاهلون يستغيثون ولا من مغيث ، وتعالت دعواتهم وحسراتهم وانّاتهم ، وهذه الحوادث والمعلومات يعرضها الوزير باوقاتها على المقامات العليا في الاستانة .

بعض حوادث ايران وعودة السفير مصطفى خان اليها

بينا من فصول سابقة ان البختياري علي مردان خان حينما كان اعتماداً للدولة على عهد شاه اسماعيل ، قد تصدى لمقاتلته زند عبد الكريم ، ولم يتمكن من الثبات بوجهه وفر نحو ديار البختيارية ، وقد قام علي مردان هذا هناك بحشد كبير قوامه عشائر البختيارية واقرباؤه ومن يلتف حوله من الاتباع ، وكوّن منهم جيشاً كبيراً من الفرسان والمشاة ، وجهزهم بما يحتاجون اليه من عتاد وسلاح ، واتفق مع حاكم لورستان المدعو اسماعيل خان الذي جمع هو الأخر حشوداً كبيرة من الانصار ، وكاتب حكام الحويزة وشوشتر وضمها الى جانبه مع من حولها من الاعراب ، وتوجه نحو كرمنشاه واستمال أيضاً عشائرها من زنكنة وكلهر . وقد أعانه على ذلك حاكم كرمنشاه عبد علي خان وجهزه بما يحتاج من الاعتدة والأسلحة والمهمات الحربية . وبهذه الطريقة تكونت لديه قوات كبيرة زحف بها على أصفهان لأخذ الثأر من غريمه زند كريم خان .

ولما علم زند كريم خان بالأمر عين أخاه محمد خان سرداراً ، وجمع كل جنوده ومن يتبعه ، وكوّن له جيشاً قوامه اثنا عشر الف جندي وسيره نحو كرمنشاه .

وعند اقترابه من كرمنشاه عسكر في قرية يقال لها حاج اباد ، وانتخب من جيشه ما بين الستة والسبعة الاف من الفرسان الشجعان ، وسار بهم لمباغتة

قوات علي مردان خان ، ولكن الاخير علم بالأمر فقـام لفوره بتنظيم قواته وتقسيمها إلى وحدات ، وعين لها الاماكن التي تصمد فيها ، وبهذه الطريقة تمكن أن يكون هو الذي باغت خصمه الذي كان مطمئناً لتنظياته وتعبئته التي اتخذها للهجوم ، فلم ير إلا وجيوش علي مردان تنقض عليه وتحيط بـه من كل جانب وتمزق جيشه وتلقي الرعب في قلبه ، ومال إلى الهزيمة بعدمـا ترك ثلاثة آلاف قتيل في الميدان بما فيهم محمد خان وأصحابه ، واندفع بتعقب فلولهم . ثم انتفخت اوداج علي مردان زهواً وغروراً لهذا الانتصار الذي لم يترقبه .

أما غريمه كريم خان فقد عاد إلى اصفهـان لجمع جموعه واعادة الكرة للانتقام ، وكان قبل هذا قد اتخذ له قلعة حصينة في مكان يقع بين اصفهان وهمدان يسمى «بري» أدخر فيها كل ما يملكه من أموال وأجهزة وعتاد ، وقد زاد في تحصينها ووضع فيها من يعتمد عليه من أفراد عشيرتـه الزند ، فذهب إلى هناك وأخذ كل مـا فيها من أموال ، ثم أتجه نحو اصفهان يعد العدة لأخذ الثأر .

أمـا غريمه الذي لم يحسب للعواقب حساباً ، ولم يتخذ التدابير الحازمة للاستفادة من هذا الانتصار ، فقد أرخى العنان لشهواته وفرق جيشه هنا وهنا، وعلى حين غفلة هجم عليه خصمه ، وبعد حرب دامت يومين انفصل عنه حاكم لورستان اسماعيل خان وانحاز إلى كريم خـان ، وهنا وقعت الواقعة وتمزق جيشه ، فلم ير بداً من الهرب مـع بعض تابعيه ، واتجه نحو بغداد عن طريق بدره ، ولما وصلوا اعتبرهم الوالي لاجئين ، وسمح لرؤسائهم بالاقامة مع السفير مصطفى خان، بعدما عين لهم ما يكفيهم من المؤن والطعام، وأعلم الدولة العلية بذلك ، ولما علم خصمهم بالتجائهم إلى بغداد واجتماعهم بالسفير الايراني مصطفى خان الذي آواهم اليـه ، هجم على بـلدة السفير المذكور وهي المسماة « ساوه » ونهب كل مـا يملكه اقرباؤه وعشيرته ، وامر حوالي الالاف رجل من أقربائه السفير وعشيرته وشرد الباقين، ثم اصطحب اثنين من أبنائه وعاد بهما اسيرين الى

اصفهان حيث سجنهما هناك وتركهما يقاسيان العذاب .

وقد ورد كتاب إلى السفير مصطفى خـان من بعض رؤساء العشيرة ومن قاضي لورستان صحبة اثنين من أقربائه يعلمونه بما حدث ، وما جرى عليهم من ظلم وجور واعتداء ، ويطلبون اليه المجيء إلى كرمنشاه ، وانهم بانتظاره هناك مع الشاهزادة ميرزا حسين لاعداد العدة والهجوم على كريم خـان للتخلص من شروره واعتداءاته .

فلم يبق والحالة هذه ما يدعو مصطفى خان للمكوث أكثر من هذا في بغداد ، ولم يعد يطيق صبراً على حوادث ايران ، وبادر بالاستئذان من الدولة العلية بواسطة والي بغداد سليمان باشا في أمر عودته إلى بلاده ، فلم تمانع الدولة العلية في ذلك ، وأذنت له بالعودة على أن لا يأتي بعمل يخل بالشروط والعهود المقطوعة بين الدولتين ، فقام الموما اليه عندئذ بجرد مـا بحوزته من الهدايا التي كان قد سيرها معه نادرشاه ، وأودعها امـانة لدى الجهـات المختصة في بغداد ، وسافر مع من كان معه معززين مكرمين إلى الديار الايرانية .

ذكر وقائع سنة ستة وستين ومائة والف

سفر الوزير الى سنجار لمقابلة ثوار اليزيدية

تقطن طائفة اليزيدية في جبـال سنجار على حدود الموصل ، وهذه الطائفة يظهر فيهـا من وقت لآخر الثوار ، فتقوم الحكومة بمعاقبتهم والضرب على أيديهم ، ولكنهم سرعان ما يعودون إلى اعمالهم بعد امد قليل .

والآن فقد اتخذ هؤلاء الثوار من الطريق بين كركوك والموصل ميداناً لأعمالهم وهجماتهم على المسافرين ونهب مـا معهم ، وبما ان الاجراءات القمعية لم تردعهم ، وانهم تجاوزوا حداً من الاعمال التي يقومون بهـا لا يمكن السكوت عليه ، فقد قرر الوزير سليمان باشا أن يرأس الحملة التأديبية التي جردها عليهم ،

وسافر من بغداد مستعيناً بالله تعالى حتى بلغ اطراف كركوك ، ولما علم اليزيديون بما عزم عليه الوزير أخذهم الرعب والخوف من المصير الذي ينتظرهم على يديه ، وذهب جماعة من رؤسائهم والقوا بأنفسهم عليه طالبين العفو والصفح والسماح لهم بالنزوح الى ماردين بأتباعهم الذين يبلغون الثلاثة الاف ، لئلا يؤخذوا بجريرة الثائرين من افراد عشائرهم ، وانهم يعلنون خضوعهم وولاءهم للدولة، ويوافقون على قبول كل ما يؤمرون به ، فعفا عنهم وسمح لهم بالنزوح .

أما من بقي من الثوار فقد اتخذوا من جبالهم حصوناً واستحكامات واغتروا بصعوبة الدنو منهم ، فلما وصل الوزير بجنوده ضيق عليهم الحصار واصلاهم ناراً حامية ، واقتحم قلاعهم فدمرها الواحدة بعد الاخرى ، ووقع برجالهم قتلاً وأسراً ، وسبى نساءهم ، وغنم اموالهم وأسلحتهم ، ودمر أماكنهم ، واقتلع بساتينهم وأحرق مزارعهم ، وحز أعناق الكثيرين من رجالهم ، وأرسل نحو ثلاثمائة رأس منهم الى الاستانة ، ثم عفا عن الباقين وعاد الى بغداد .

ورود وسام للوزير من الدولة العلية

بالنظر لما ابداه الوزير من الحزم والعزم في ضبط الامور ومعالجتها بالشكل الذي يتفق والمصالح العامة ، ولقيامه بقمع الفتن واعادة المتمردين من الافراد والعشائر والجماعات الى الطاعة ، سواء في جبال سنجار أم في غيرها من الامكنة، فقد جلبت اعماله هذه رضا البادشاه وأولي الامر ، وتقديراً لهذه الخدمات الجليلة انعمت عليه الدولة العلية بخلعة ووسام رفيعين ، وكذلك انعمت على من في معيته من الامراء والرؤساء وعلى رؤساء كردستان وسائر الشيوخ والوجوه الذين آزروه واظهروا الطاعة والانقياد ، بخلعة مناسبة كل على حسب منزلته ، وقد قام بتوزيع هذه الهدايا والاوسمة باحتفال مهيب ، ثم اقيمت المهرجانات وعمت الافراح والمسرات لمناسبة هذه العطايا والهدايا السلطانية .

بعض حوادث ايران

عُلم من الاخبار التي وردت من ايران ان كلاً من الشاهزاده حسين ميرزا وعلي مردان وحاكم لورستان اسماعيل خان ، الذين كانوا في بغداد وعادوا مع السفير مصطفى خان الى ايران لأخذ الثأر من زند عبد الكريم خان ، قد وصلوا الى كرمنشاه والتحقوا بالقوات التي كانت بانتظارهم ، واتجهوا نحو ملاقاة غريمهم كريم خان الذي كان على علم بهذه التحشدات واتجاهاتها ، فاستعد لها وتحرك لمقابلتها ، حتى اذا ما تلاقى الخصمان ونشبت بينهما الحروب ، لم يقو مصطفى خان وجماعته على الثبات بوجه خصمهم واندحروا امامه . وبالنظر لما بينه وبين ازاد خان من الحقوق القديمة الروابط ، فقد استنجد به ولكن الاخير لم يكن على اهبة الاستعداد لنصرة صاحبه فقط ، بل كان يطمع في التاج الايراني ، ولأجل كسب الناحيتين ، ناحية الانتصار لصاحبه ، وناحية الاستيلاء على العرش الايراني ، اتجه تواً نحو همدان ، وفي المكان المسمى اسفند آباد اصطدم بغريمه كريم خان ، وتغلب عليه ودحره فولى منهزماً نحو قلعة «بري» وهناك انتخب جماعة من الذين يعتمد عليهم من جنوده وتحصن في القلعة المذكورة ، اما بقية جنوده فقد ولوا الادبار نحو اصفهان مباشرة . واستولى أزاد خان على اسلحتهم وذخائرهم وما يملكون من معدات حربية وغيرها ، ثم ضرب طوقاً من الحصار على كل من قلعة «بري» وأصفهان .

ذكر وقائع سنة سبعة وستين ومائة والف

ورود فرمان من الدولة العلية

بالنظر للفعاليات والنشاط والمقدرة الفائقة التي ابداها الوزير سليمان باشا وضبطه الامور بشكل يثير الاعجاب ، فقد انعمت عليه الدولة العلية باصدار فرمان بجعله وزيراً دائماً لكل من بغداد والبصرة .

وقد ارسلت هذه الفرامين من الاستانة بواسطة رئيس التشريفات الذي وصل بغداد في أواخر شهر ذي القعدة ، فسلمها الى الوزير المشار اليه باحتفال مهيب ، واستنسخ الفرمان وجرى تعميمه على جميع من يخصهم الامر .

ورود اخبار جديدة من ايران

سبق ان بينا ان ازاد خان كان قد حاصر قلعة « بري » وراح يصليها وابلا من قذائف المدفعية ، ويضيق الخناق على قوات زند عبد الكريم الى ان اضطرهم إلى التسليم ، ودخلها دخول الفاتحين ، وقبض على محافظي القلعة شيخ علي قلي خان ومحمد خان وارسلهما اسيرين ومقيدين مع عيال كريم خان إلى قلعة رومية تحت حراسة ستمائة فارس .

ثم اتجه نحو اصفهان واحتلها ، وراح ينظم شؤونها ويعيدها الى حالتها الطبيعية ، ولم ينس ملاحقة غريمه وتقصي اثاره واخباره ، كما لم ينس معاقبة اصحابه وقتل المذنبين منهم ، وسار خلف غريمه حتى بلغ مكاناً يسمى « طاش كسان » من اعمال افشار ، وجرت له مصادمات مع علم خان وجماعته من عساكر القزلباش فانتصر عليه وقيده ثم قتله وعاد الى همدان .



اما كريم خان فقد جمع حوله بعض الزعماء والعشائر والافراد حتى بلغ عددهم السبعة الاف فارس وراجل . ولما علم ازاد خان تحرك نحوه ، وفي مكان بقرب من يزدجرد حصلت مصادمات بين الطرفين تغلب بها كريم خان على

قوات ازاد خان وشتتها ، ذلك لأنه استطاع ان يستميل قوات ازاد خان حبن انحازت الى جانبه وأدت الى هذا الانكسار .

وأخيراً راح الخصماء ازاد خان في اصفهان وشيخ علي قلي خان في همدان وزند كريم خان قرب اصفهان ، كل واحد منهم يصول في ميدان ، وكل واحد منهم يلم فلوله ويستعد لمنازلة خصمه ، ولله في خلقه شؤون !

ذكر وقائع سنة ثمانية وستين ومائة والف ورود نعي السلطان محمود خان وتنصيب السلطان عثمان خان مكانه

في يوم الجمعة الموافق لليوم الثامن والعشرين من شهر صفر الخير من هذه السنة ، نعي السلطان وخليفة الزمان السلطان محمود خان ، وكل نفس ذائقة الموت ، ولبى نداء ربه : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » .

وقد قام العلماء الاعلام ورجال الدولة العلية وباتفاق الآراء ، بمبايعة وربث التخت العثماني السلطان عثمان بن السلطان مصطفى خان ادام الله ملكه الى آخر الزمان بالسعد واليمن ، وجرت مراسيم اجلاسه على العرش ، وصدرت الفرامين باسمه الى كل من يخصهم الامر ، كما ورد فرمان الى الوزير سليمان باشا يقره على وظيفته وزيراً لبغداد والبصرة ، وقد استقبل حامل هذا الفرمان وهو رئيس التشريفات في حفل كبير حضره الوجهاء والاعيان ورؤساء عساكر الانكشارية وعند استلامه الفرمان بحضورهم قبله ووضعه على رأسه بكل توقير واجلال ثم قرىء مضمونه على الحاضرين .

وقد زينت البلدة بمناسبة جلوس السلطان الجديد ، وأقيمت معالم الافراح وأطلقت المدافع لمدة سبعة ايام، وارتفعت الادعية في الجوامع والمساجد بدوام البادشاه وان يكون عهده عهد خير ويمن ورخاء .

ذكر وقائع سنة تسعة وستين ومائة والف

هجوم الوزير سليمان باشا على قبيلة شمر ورئيسها بكر حمام

بالرغم من اهتمام الوزير المشار اليه بصيانة الامن واقامة العدل بين الناس ، فان بعض الاشخاص ابوا إلا ان يثوروا عليه ، ومن هؤلاء بعض أفراد من عشائر شمر وفي مقدمتهم بكر حمام الذي ظهر حوالي بغداد واخذ يقطع الطريق ويسلب الاموال ويقتل الرجال .

ولما بلغ مسامع الوزير ما فعله جرد عليه حملة عسكرية ، وسار على رأسها في أثره ، وكان يتقدم الحملة ولا يكاد الجنود يلحقون به لسرعة جريه وراء الثائر المذكور حتى ادركه قرب نهر الفرات محاولاً عبور النهر ، فلم يترك له فرصة الهرب ، وهجم عليه هجمة الليث على فريسته ، ولكن الثائر وجماعته وقد اعتراهم الفزع قد ألقوا بأنفسهم الى النهر تاركين اهلهم واولادهم وجمالهم ، فغرق منهم جمع كثير ونجا الباقون وعلى رأسهم زعيمهم .

وقد قام الجند بتطويق بيوتهم واهليهم واموالهم ، وهنا خرج أحد اقرباء بكر حمام وألقى بنفسه على اقدام الباشا قائلاً : « ليأخذ جنودك كل شيء ولكن استنجد بشرفك العسكري ان تحمي النساء وتمنع جنودك من التعرض لهن » فأجابه الوزير الى طلبه وسمح له بأخذ العيال ، ولم ير ضرورة لملاحقة الثائر المذكور بعد هذا الدرس القاسي ، فعاد الى بغداد مظفراً منصوراً .

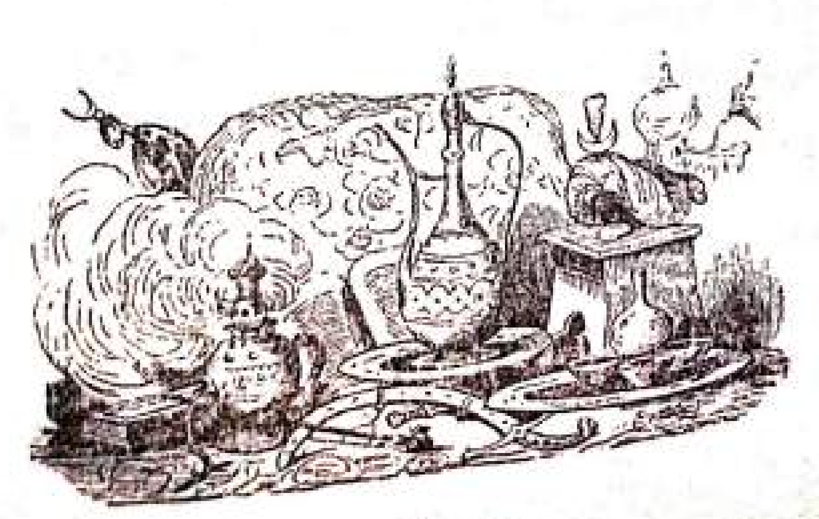
وبعد مرور بضعة ايام شوهدت خيمة سوداء منصوبة في الجانب الثاني ، ولدى تقصي خبرها علم انها لبكر حمام جاء هو وعياله ليعرض توبته وطاعته ، ويلقي بنفسه وعياله على اقدام الوزير ، فتم له ما اراد ونال الصفح والعفو عما بدر منه .

ذكر وقائع سنة سبعين ومائة والف

خروج الوزير الى الفلوجة للراحة والنزهة

بالنظر لما تنعم به البلاد من هدوء وأمان وانصراف الناس كل الى عمله نتيجة لحزم الوزير وسهره على شؤون الرعايا ، فقد رأى ان يخفف عن كاهله ما يحمله من أعباء وما قاساه من أتعاب بالتمتع ببعض المشاهد، وقرر قضاء فترة من الوقت في الفلوجة وما جاورها ، فاصطحب عياله وخدمه وسافر اليها ، والفلوجة تقع غربي بغداد وعلى نهر الفرات وذات هواء لطيف ، وهي تبعد عن بغداد تسع ساعات . وكان الوزير يتنقل من جانب الى جانب فيها متمتعاً بمناظرها الخلابة ، ولم ينس ان يتخذ اهبته للصيد من وقت لآخر ، وقيامه بتفقد احوال الأمن في تلك النواحي ، وبعد قضاء ثلاثة أشهر هناك عاد الى بغداد ، وقد استطاع خلال هذه المدة ان يوفر للخزينة ما كانت تصرفه على ما لديها من خيول للعلف والعليق لانه ارسلها الى الحقول .

وكما جرت العادة ارسلت اليه الدولة العلية صحبة رئيس تشريفاتها الفرامين التي تجدد له الاستمرار على ادارة بغداد والبصرة ، تقديراً لخدماته واخلاصه وسهره على شؤون الرعية والدولة ، وقد استقبل رئيس التشريفات بما يليق من الترحيب والاكرام باحتفال مهيب جرت فيه مراسيم استلام وتسليم الفرامين المذكورة .



ذكر وقائع سنة احدى وسبعين ومائة والف
ورود خبر انتقال البادشاه السلطان عثمان خان الى دار البقاء
وتنصيب مصطفى خان بن السلطان احمد خان

وفي اليوم السادس عشر من شهر صفر من هذه السنة نعي السلطان عثمان خان ، وارتقى دست الحكم مكانه الامير الجليل سيد الدوحة البادشاهية السلطان مصطفى خان بن السلطان احمد خان خلد الله سلطنته ما دام الفرقدان ، وجرت المراسيم المعتادة من قبل الوزراء والعلماء والوجهاء باجلاسه على العرش الهمايوني في ذلك الصباح ، وبشر به على رؤوس المنابر وفي سائر البلاد ، واقيمت معالم الزينة لمدة سبعة ايام ، والدعوات ترتفع إلى عنان السماء بدوام عمره وطول بقائه باليمن والاقبال .

انتقال والي الزوراء سليمان باشا الى دار البقاء

لقد كان الوزير سليمان باشا يتحلى بصفات وأخلاق أحمد باشا بن حسين باشا، اذ كان من مماليك المرحوم الموما اليه وقد رباه تربية حسنة ، فصار يتقدم في المراتب ، وكان عمدة الوزير في الحصار الذي تعرضت له بغداد ، ثم صار سكرتيراً ومير ميران ، وفي سنة ثلاثة وستين ومائة والف عهدت اليه ولاية البصرة ، ثم اضيفت اليهـا ولاية بغداد ، ومنذ ذلك الحين إلى سنة خمسة وسبعين ومائة والف وهو يمارس الحكم بكل همة ومقدرة ونشاط . وكانت مدة حكمه اثنتي عشرة سنة ، قضى منها تسع سنين في بغداد ، وقد ذكرت وقائعه سنة بعد سنة في سجل الوقائع بصورة متسلسلة معظمها مع العشائر والقبائل ، وقيامه بقمع الفتن بكل جسارة واقدام ، مما جعل الجميع يهابون سطوته ولا يجسرون على الخروج عليه ، وكان تارة يقذف بنفسه على العشائر

الكردية التي تمردت بقيادة سليمان باشا وحاكم كويسنجق عثمان باشا وتارة على عشائر سنجار ، واخرى هنا وهناك ، مما ارهب كل من يمد بعنقه للقيام بعمل يخل بالنظام ، وقد انزوى كل واحد منهم في ركن من أركان البلاد وترك الناس يعيشون بطمأنينة وامان في الوقت الذي عجز قبله عن ضبط النظام ثلاثة وزراء جاؤوا بعد المرحوم احمد باشا . وكانت العشائر تسميه « دواس الليل » و « أبو ليله » و « ابو سمرة » وكان عمره عندما ادركته المنية ستاً وستين سنة تقريباً ، وقد اصيب بمرض في اواسط سنة اربعة وستين ومائة والف ولم تفد معه المعالجات . وقد قلت من نظمي بيتاً بهذا المعنى وهو :

خستة درد اجل بولمز مداوادن شفـا

جـاره ساز علتي عيسى مريم اولسهده

أي : لن يجد المبتلي بمرض الموت دواء يشفيه حتى وان كان طبيبه ابن مريم .

وقد بقي رهن التداوي ستة أشهر ، وكان المرض يشتد به يوما بعد يوم ، وفي اوائل سنة خمسة وسبعين ومائة والف قضى نحبه وانتقل الى رحمة الله .

ذكر وقائع سنة خمسة وسبعين ومائة والف
ولاية علي باشا

بعد انتقال ابي ليله سليمان باشا كان هناك سبعة من السكرتارية المرشحين للحكم وهم: عمر كهية وعبدالله كهية واسماعيل كهية ورستم كهية وحسن كهية ومحمود كهية، يضاف اليهم متسلم البصرة، وضابط الحسكة[1] علي كهية ، وكان

---

١) الحسكة بلدة قامت على انقاضها مدينة الديوانية المعروفة واليها ينسب غناء الحسكة او الحسجة على لغة العوام — المترجم .

غائباً في الحسكة والباقون موجودون في بغداد ، وكل واحد من هؤلاء يتمنى من قلبه ان يكون هو الخلف لسليمان باشا ، ولذلك لم يقوموا بانتخاب واحد منهم يأخذ مسؤولية الحكم على عاتقه موقتاً لحين البت في أمر تعيين الخلف ، مما أدى إلى ترك البلاد بدون والٍ ، فكان من جراء الاهمال ان دب الانحلال إلى مرافق الدولة كافة ، وبدت الاضطرابات والاخلال بالأمن تنبع من هنا وهنا ، وكان العلماء واولو النهي يقومون بتهدئة الاحوال ويأخذون على عاتقهم ضبط النظام ، ثم تقدموا الى الدولة العلية يرجونها تعيين من يليق لولاية بغداد من بين الافراد السبعة الذين مر ذكرهم ، وقدموا هذا الرجاء المستعجل تحريراً ووقعه معهم الكهيات ومنهم علي كهية. وقبل وصول هذا الالتماس الى الجهات المسؤولة كانت قد علمت الدولة العلية بوفاة وزيرها سليمان باشا وبقاء البلاد بدون والٍ في هذه الظروف العصيبة والحوادث الكثيرة التي تقع على الحدود الايرانية باستمرار ، وكانت قد قررت ان تنيط ولاية بغداد بوالي الرقة الوزير سعد الدين باشا لقربه ولمعرفته بلغة أهل البلاد ، ولكن أمره بقي في المداولة الى ان ورد التماس رجال العراق .

وبالنظر لتوصية الصدر الاسبق محمد راغب باشا من ان علي كهية من الرجال الذين يعتمد عليهم وأنه من امناء الدولة ، فقد صدر الفرمان باعهاد ولايتي بغداد والبصرة اليه ، وعند استلامه الفرمان تحرك من الحسكة وواصل سفره مع امتعته حتى بلغ نهر الشاهي القريب من الحلة ، فحط رحاله هناك للراحة من وعثاء السفر، ثم تقاطر المستقبلون نحوه واستقبلوه بالترحاب والاجلال والاكرام وجاؤوا به إلى بغداد ، واقيمت بهذه المناسبة ما جرت به العادة من الاحتفالات والمهرجانات ، وتقدم للسلام عليه وجوه البلد واعيانها ثم الاركان وارباب الديوان ، ثم سائر الناس ، وبعدئذ باشر أعماله .

سفر علي باشا لمقاتلة عشيرة بني كعب

لقد اشتهر علي باشا الوزير الجديد منذ ان كان كتخدا ومتسلماً للبصرة

وضابطاً في الحكة بصفات طيبة حببته إلى الناس ، ومن تلك الصفات الكرم والشجاعة وصفـــاء العزيمة وقد قيل « بالبر يستعبد الحر » و « الانسان عبد الاحسان» وكان يسير على هذه الوتيرة بغريزته التي جبل عليها وليس عن تصنع، فلا عجب ان اختارته الدولة العلية لهذا المنصب الخطير الذي تولاه عن جدارة ، والتف حوله الصغير والكبير ، ومالت اليه قلوب الطوائف والعشائر، واظهرت له الطاعة والامتثال ، غير ان هناك شخصاً لم يكن الوالي راضيـاً عن اعماله وتصرفاته منذ ان كان متسلماً للبصرة ، وهو سلمان العثمان شيخ بني كعب ، فقد قام باعمال ومخالفات لم يكن الوالي لينظر اليها بعين الارتياح .

ولما تقلد علي باشا زمـــام الوزارة وادارة ولايتي بغداد والبصرة ، بلغه ان الشيخ المذكور قد زاد في عتوه وغروره واظهر تمرداً وعصياناً لم يعد يمكن السكوت عنه ، وقرر معاقبته واعادته الى الطاعة ، وذلك بان جرد عليه حملة عسكرية قوية تولى هو قيادتها ، وسار من بغداد دون ان يُشعر أحداً بالجهة التي يقصدها حتى حط رحاله في محلة الوردية في الحلة ، وهناك ترك مـا لا فائدة من نقله من الامتعة وواصل سفره ، وأذاع انه يقصد عشيرة بني لام ، واتجه نحو دجلة ثم عبر جسري الكوت والعمارة ، وبعد قطعه مسافة الى الامام عـــاد وانتقل الى الجانب الآخر الامر الذي موّه به حتى على جنوده ، فلم يعد يعرف أحد اين يقصد .

وهكذا ظل يقطع البراري والقفار حتى وصل الحد الفاصل بين البصرة وبين بني كعب ، وهناك وضع أحماله ونصب خيامه واراح جنوده من وعثاء السفر ، وعندئذ قرع مسامع الشيخ المذكور اقتراب الحملة من دياره ، وبالنظر لمخالفاته فقد تيقن انه هو المقصود من هذه الحملة ، فاعتراه الخوف والندم على مـا فرط منه ، ومادت تحت قدميه الارض ، ولم يعد يعرف ماذا يصنع وكيف يتوقى هـذا البلاء الذي انصب عليه ، واخيراً قرر ان يوفد الى الوالي من يتوسط له بطلب العفو والامان ، وانه يتعهد بدفع كل ما في ذمته من رسوم وضرائب

واموال أميرية سواء تلك التي تراكمت عليه من السنين الماضية ام التي يستحق اداؤها في الحاضر او المستقبل .

وبعد أخذ ورد وقبول ورفض ، مال الوزير ولان وعفا عن المومأ اليه ، وكرر له النصح والارشاد والتحذير بألا يندفع الى مثل هذه التهورات .

وبعد استراحة قصيرة كر عائداً الى بغداد ، ولم ينس ان يقوم في طريقه بتفقد احوال البلاد ، واتخاذ بعض الاجراءات والوسائل فيما رآه من الامور التي تستوجب ذلك .

ذكر وقائع سنة ستة وسبعين ومائة والف

ثورة سليمان باشا بابان

ذكرنا سابقاً ان الوزير الراحل سليمان باشا (ابو ليله) كان قد ابعد سليمان باشا (او سليم باشا) من المنطقة الكردية ، وذلك سنة اربعة وستين ومائة والف لثورته على الدولة العلية واعلانه العصيان ، وميله نحو الايرانيين ، بالاضافة الى قتل من كان يعاونه ويميل اليه من الرجال مثل عثمان باشا كويسنجق واخوته واقربائه وتخريب قلاعهم وحصونهم ، ثم اعهاد منطقة كردستان الى ابن عمه سليمان باشا. والحق ان ابن عمه هذا كان من الرجال الصالحين الذين اتخذوا تقوى الله شعاراً لهم ، وكان من المطيعين الذين تنطبق عليهم الآية الكريمة «واطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم » وبقي حاكماً على مقاطعات بابان وكوي وحرير واربيلي وكويري وقره حسن وزنكباد وجصان ، يدير شؤونها بشكل يرضي الله ورسوله والدولة العلية مدة اثنتي عشرة سنة ، ولم يظهر خلال هذه المدة من يشكو منه او يعارضه او يخرج على حكمه .

ولكنه راح في الآونة الاخيرة يتولى جباية الرسوم والضرائب من هذه المقاطعات ويتصرف بها تصرف المالك بملكه ، حتى كثر ماله واتسعت ثروته ، وعندئذ بدأ يفكر في الخروج على السلطة ، وقد التف حوله بعض الرجال

الطامعين وحسنوا له افعاله ، فانحرف عن نهجه القويم واخذ يخرج من دائرة الطاعة والانقياد شيئاً فشيئاً حتى بلغ الشوط مداه على عهد وزارة علي باشا وأعلن التمرد والعصيان .

ولم يشأ علي باشا ان يتعجل في معاقبته ، وانما اتبع معه ما جاء في الآية الكريمة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... » وراح ينصحه ويعظه ، ولكن المومأ اليه لم يأخذ بالموعظة والنصيحة ، فبدأ علي باشا بعد العدة لتجريد حملة عسكرية ضده ، وسافر على رأسها . ولما بلغ الثائر خبر هذه الحملة قام بالاستعداد لها وقرر مقابلتها ، وجمع حوله ما يقرب من الستة آلاف فارس وثمانية آلاف من المشاة أي ما يقرب من الاربعة عشر الف مقاتل ما بين فارس وراجل ، وتحرك بهم من مقر حكومته ، وبعد عبوره نهر تارين نزل قرب جبل قشعة ، وأقام الاستحكامات والعوارض لمنع عبور جيش الدولة العلية ، وركز مدافعه فوق رابية « صقال طوقان » ووضع هناك كل ما في حوزته من عتاد وسلاح .

أما الحملة العسكرية فانها بلغت في مسيرتها بلدة دلي عباس ، ولكثرتها وكثرة عتادها وسلاحها وذخائرها انتشر خبرها وذاع صيتها حتى بلغ مسامع الثائرين، فأخذهم الرعب والارتباك وراحوا يفكرون في الاهوال التي سيلاقونها اذا ما وقفوا بوجه هذه الحملة ، وعلى هذا قرروا ان يتراجعوا عن المواقع التي اتخذوها الى ما وراء «تارين» .

ولما علم الوزير بقصدهم وما اجمعوا عليه سارع نحوهم يواصل ليله بنهاره ، حتى اقترب منهم وعبر مضيق كفري واخذ يلاحقهم ويضيق عليهم مجال الهرب، حتى وقعت الواقعة في مكان يسمى كوشك زنكي بين كفري وامام ، والتحم العسكران في حرب ضروس وهجمت عليهم عساكر الدولة العلية هجمة واحدة، ووقعت فيهم ضرباً وقتلا وأسراً حتى انكشفت قواتهم عن هزيمة منكرة ، وتمزق لواء سليمان باشا ، وفر ومن معه لا يلوون على شيء ، فأسر من أسر

من اتباعه وقتل من قتل ، وقد نجا سليمان باشا بأعجوبة متوجهاً نحو كرمنشاه ، تاركاً وراءه كل مـا كان قد ادخره من عتاد وسلاح وذخائر وأموال وعربات نقل وغير ذلك ، فكانت هذه الاشياء غنيمة باردة للجيش التركي .

وبعدما انيطت المنطقة الكردية بعهدة اخيه احمد باشا الذي قـام بضيافة الجيش المنصور خلال مدة مكوثه هناك ، قابله الوزير بالانعام عليه وعاد الى بغداد .

ذكر وقائع سنة سبعة وسبعين ومائة والف نشوب فتنة في بغـداد وهجوم الثوار على الوالي علي باشا وقتله

بالرغم من الاخلاق الفاضلة والصفات الجميلة التي يتحلى بهـا الوزير علي باشا ، ومعـاملة الصغير والكبير باللطف والمجـاملة البالغة ، والاحسان الى الجميـع ، واكتسابه رضاء الناس من مدنيين وعسكريين ، وعدله وانصافه ، فانه لم يخل من اضداد وحساد ، ومنهم السكرتارية الستة الذين كان كل واحـد منهم يريد ويسعى ان يكون الخلف للوالي المتوفي سليمان باشا ، وقد أغاظهم انتخاب علي باشا من بينهم وتعيينه والياً بدلاً من احدهم، وراحوا ينصبون الحبائل والشراك منذ يوم توليته للايقاع به ، وكان الحسد يأكل قلوبهم ويزداد حقدهم كلما ازداد علي باشا ثباتاً ورسوخـاً في الحكم ، مع انه كان يعاملهم معاملة الاخ لاخوانه ولا يبخل عليهم بالعون والانعام واللطف والاكرام ، وقد كانوا يسعون تحت الخفاء لازالته عن طريقهم والقضاء عليه بأية وسيلة كانت . حتى انهم تربصوا به الدوائر عند عودته من غزوة بني كعب ، وأرادوا ان يغتـالوه حال اجتيازه منزل الدورة ، وأعدوا لهذا الاغتيـال عدته ولكن الله سلم ، لأن الامور مرهونة بأوقاتها، ولم يكن مقدراً ان يقتلوه في ذلك الوقت، وحبطت خطتهم، إلا انهم لم ييأسوا وراح كل واحد منهم يوري نار الفتنة ويحرض الناس على الوالي

ويشيعون ضده مختلف الشائعات الى ان تمكنوا من اغراء بعض الناس واعلنوها فوضى داخل البلد ، وأكثروا من الوعود والعهود لهذا وذاك ، حتى تمكنوا من جمع عدد كبير من هؤلاء وهجموا على القلعة واستولوا عليهـا ، وراحوا يوجهون نيران مدافعهم نحو السراي، وزاد الهرج والمرج وضيقوا على الحامية، مما اضطر الوزير الى ترك مقر الحكم والذهاب الى الجانب الثـاني حيث اتخذ له معسكراً وقصراً موقتاً، وراح من هناك يرسل النصيحة تلو النصيحة حتى تمكن من اقناع الكثير من الثائرين بالرجوع عن هذه الفتنة ، واستمالهم نحوه واظهروا له ندمهم على ما فرط منهم بحقه ، ثم التمسوا منه العودة الى مقره الرسمي فعاد بعد بضعة ايام مكرماً معززاً . وعنـد عودته اوعز باجراء التحقيق عن مسببي هذه الفتنة .

ولما أدرك السكرتارية ما ينتظرهم من نتـائج هذا التحقيق ، عادوا وبذلوا كل ما في وسعهم لاثارة الفتنة من جديد ، وتحالفوا فيما بينهم واتخذوا عهداً على انفسهم بترشيح احدهم للولاية وهو عمر كهية فيما اذا نجحوا في قتل علي باشا ، واندفعوا يثيرون العوام ويحرضون الناس على الثورة ، وأشاعوا ان الوالي قد قرر اعدامهم والانتقام منهم ، الى ان اقنعوهم ودفعوا بهم الى الهياج ، ثم دخلوا القلعة مرة ثانية وكثر الهرج والمرج في الميدان، ثم هجموا على السراي وحاصروا من فيها ، ولم يعد يجدي معهم النصح والارشاد ، مما اضطر الوالي الى تبديل زيه والفرار من السراي الى احدى الدور القريبة منه ، ولكن الثوار علموا بمقره فهجموا عليه وأخرجوه وأتوا به إلى القلعة ، وهناك حبسوه ثم قتلوه .

وكانت بداية وزارته في اوائل سنة خمسة وسبعين ومائة والف ، وقتـل في اواسط سنة سبعة وسبعين ومائة والف ، ومدة حكمه والحـالة هذه سنتان ونصف ، وهو من مماليك سلفه ابو ليله سليمان باشا ، وكان على جانب عظيم من حسن الخلق والاقدام والحمية .

وزارة عمر باشا

بعد انتقال علي باشا الى دار البقاء على الوجه الذي بيناه من الفصل السابق، وبالنظر للاتفاق الحاصل بين الرجال المسؤولين ، فقد اتفقت الكلمة على ترشيح عمر كهية لولاية بغداد ، وبعد جمع الاصوات عرضوا الامر على الدولة العلية متهمين الوالي القتيل بانه كان يراسل الايرانيين خفية ويعد العدة معهم لتسليم بغداد اليهم باعتباره من أصل ايراني ، وانه كان يأتي اعمالاً تضر بالمصلحة العامة مما أدى الى الفوضى والاضطرابات والثورة عليه وأخيراً إلى قتله للتخلص من شره.

وقد اطنبوا في مدح عمر كهية وصدقه وإخلاصه للدولة العلية ، ومقدرته على ضبط النظام وتسيير الامور بكل اخلاص وجدارة ، وان الاهلين وذوي الرأي قد أجمعوا على ان يكون هو الوزير خلفاً للراحل .

والواقع ان ما نسبوه الى علي باشا لم يكن سوى محض اختلاق وافتراء، وان اخلاصه وتفانيه في خدمة الدولة العلية والمحافظة على المصلحة العامة كان معلوماً لدى الخاص والعام ولا سيما لدى رجال الدولة والمقامات الرسمية العليا .

ولكن بالنظر للامر الواقع ولما كان لا بد مما ليس منه بد ، وضرورة النزول عند رأي الاكثرية من وجهاء المملكة ، فقد وافقت الدولة العلية على اسناد ولايتي بغداد والبصرة الى عمر كهية ، واصبح يدعى عمر باشا وصدرت الاوامر بذلك .

ذكر وقائع سنة ثمانية وسبعين ومائة والف
سفر عمر باشا على رأس حملة ضد عشيرة الخزاعل وشيخها حمود الحمد

نظراً لما كان يقوم به شيخ الخزاعل حمود الحمد من تجاوز ومن أعمال مخلة بالأمن العام ، ومن تصرفات تدل على تمرده وعدم اخذه بالنصائح التي

كانت توجه اليه، فقد قرر الوزير عمر باشا ان يجرد عليه حملة تأديبية لاعادته الى صوابه وللمحافظة على هيبة الحكومة ، وبعد تجهيز الحملة المذكورة بما تحتاجه من عدة وعدد سافر على رأسها حتى بلغ مكاناً يسمى «الملوم» ولما كان من الضروري العبور الى الضفة الثانية فقد اضطر إلى التأخر هناك ريثما يتمكن من ايجاد وسيلة لاجتياز النهر . وخلال هذه المدة نفد ما معه من زاد وذخيرة وصارت الحملة في حيص بيص ، بمـــا دفع ببعض الذين في معيته الى ان يحسّنوا له أمر العودة للاستعداد ، ولكنه ابى ذلك واتخذ التدابير اللازمة لسد النهر وقطع الماء عنه، وبذلك تم عبوره واقتربت الحملة من الشيخ الثائر الذي أقـام الحواجز والسدود والخنادق والحصون ، ورتب لها من يتولى الدفاع من رجـاله الشجعان ، وجمع العشيرة والعشائر المتحالفة معه، وحشد جمعاً كبيراً وتحصنوا «وظنوا انهم مانعتهم حصونهم» .

وقد تقدمت الحملة في اليوم الثاني من عبورها نحو الخصم ، حتى اقتربت من الحصون والقلاع ، ولما كانت الحرب اولها كلام فقد قام الوالي بانذار المتمردين واسدى لهم النصيحة فلم يفدهم ذلك ، واشتعلت بينهما نار الحرب .

وقد استبسل في الدفـــاع او الهجوم كل من الفريقين ، ولعلعت أصوات المدافع وازيز الرصاص ، والتحم الاثنان بضراوة وحنق ، واستعر القتال بمهارة واخذت الحرب تشتد ساعة بعد ساعة .

وبعد مرور اكثر من ثلاث ساعات على هذا التصادم العنيف لاحت بوارق النصر وبدت طلائع فوز الحملة شيئاً فشيئاً، وضعفت مقاومة الثوار، ومالوا نحو الفرار ، فتعقبتهم جنود الحكومة ووقعت فيهم قتلاً وأسراً ، وزلزلت اقدامهم وشتتت شملهم ، ومن نجا منهم القى بنفسه الى الاهوار حيث غرق معظمهم .

وقد استولت الحملة على خيـــامهم وعتادهم وأموالهم ، وعندئذ سجد الوالي شكراً لله على هذا النصر وعلى هذه النعمة ، وبعد تصفية الوضع واعادة الامور الى مجاريها الطبيعية مال نحو دار السلام ووصلها مؤيداً منصوراً .

ذكر وقائع سنة اثنتين وثمانين ومائة والف

سفر عمر باشا لمحاربة الشيخ عبد الله شيخ المنتفق

بعد تلك الحملة المظفرة التي شنها الوزير عمر باشا على شيخ الخزاعل ، ذاع بين الناس صيته وعظمت في القلوب منزلته ، وهابه الصغير والكبير ، وانقادت له العشائر والاهالي وتجنبوا أعمال التمرد والعصيان ، وهدأت الاحوال وسارت الامور بوضعها الطبيعي من السنة الثامنة والسبعين الى الثانية والثمانين ، ولكن في هذه السنة اي سنة اثنتين وثمانين ومائة والف هجرية، على صاحبها ازكى التحية ، بدأ شيخ عشائر المنتفق الشيخ عبدالله يشق عصا الطاعة ويظهر التمرد والخروج على انظمة الدولة واوامرها ، وأخذ يتعرض لما حول البصرة من مقاطعات، ويساجل متسلم البصرة الحاج سليمان اغا النزاع والخصومات ، ولم تفد معه النصائح والارشادات، واخفقت وساطة عبدالله الشاوي اذ قام بعقد اجتماع بينه وبين متسلم البصرة في مدينة الزبير بغية الوصول الى ازالة سوء التفاهم من بين الاثنين ، ومع انهما قد توصلا حسب الظاهر الى نتيجة حسنة ولكن ما كادا يفترقان حتى دب الخلاف بينهما ثانية، ذلك لان متسلم البصرة كان متصفاً بالحدة، كما أن الشيخ عبدالله كان مشهوراً بالعناد والاندفاع ، وكل واحد منهما يريد ان تكون كلمته هي النافذة. وهكذا اشتدت الخصومة والتنافر بين الجهتين من جديد، ولم ير الوزير مندوحة من حسم الأمر بالقوة ، فجرد حملة عسكرية قوية واتجه على رأسها نحو البصرة ، ولما قاربها وصار على بعد ١٢ ساعة منها عسكر في مكان يسمى «ام الحنطة» وما كاد يبلغ خبر مجيئه مسامع الشيخ المتمرد حتى ارتعدت فرائصه واعتراه الفزع والذعر ، ولعجزه وعدم تمكنه من المقاومة والمدافعة لاذ بالفرار وولى الادبار هو ومن معه من العشائر .

اعدام عبدالله الشاوي في هذه الحملة

بيّنا سابقاً ان متسلم البصرة كان قد وسط الشيخ عبدالله الشاوي لمفاتحة

شيخ المنتفق في أمر انقياده ونبذ التمرد والخصومات ، وحيث تبين ان رسائل لم تكن خالية من خيانة وانه أثار حقد وغرد شيخ المنتفق اكثر بما نسب بالاقلاع عن اعماله ، فقد جيء بعبدالله الشاوي بعد فرار شيخ المنتفق الى ام الخنطة واعدم هناك .

ولما وصل خبر اعدامه الى بغداد قام بنوه ومنهم الحاج سليمان بيك وسلطان بيك بالاتفاق مع عشائر العبيد، واعلنوا الثورة على الحكومة واستعدوا لمحاربتها واخذ الثأر منها . وبعدما حشدوا جمعاً كبيراً راحوا يتحرشون بالسابلة ويقطعون الطريق ، ويتعرضون لهذا وذاك ، واخافوا الآمنين. ولما بلغ الوزير ما يقومون به من اعمال أسرع في العودة من ام الخنطة وقطع المسافة الى امن الثوار بمدة ثمانية أيام في الوقت الذي تتطلب هذه المسافة سفراً لا يقل عن عشرين يوماً .

وبعد وصوله بغداد عبر نحو الجانب الثاني حيث عسكر في « المنطقة »، انتخب عدداً كافياً من الفرسان وأغار بهم ليلاً كالريح العاصف نحو تجمعات العبيد في الدجيل ، فلم يروا إلا والعساكر تحيط بهم من كل صوب ومكان وتصليهم ناراً حامية ، مما أوبكهم وبث فيهم روح الفزع والهزيمة ، وتشتت جموعهم ، وهرب الحاج سليمان بيك مع الهاربين . أما سلطان بيك فقد آثر الانتحار باغماد خنجره في صدره من الغيظ ، وبعد تصفية الموقعة عاد الوزير الى بغداد .

ذكر وقائع سنة ستة وثمانين الى سنة اثنتين وتسعين ومائة بعد الالف
بيان ما وقع في بغداد وحواليها من حوادث ووباء الطاعون

لقد كان اهتمام عمر باشا والي بغداد بشؤون البلد ومعالجة الامور بحزم ودراية ، وضربه على أيدي العصاة بيد من حديد باعثاً على خمود الحركات التمردية، وانزوى الذين يتصيدون في الماء العكر هيبة الوالي ورهبة من بطشه،

وراح الناس يمارسون اعمالهم براحة بال واطمئنان ويعيشون عيشة هدوء وأمان، ولم تقع خلال السنوات من ١١٨٢ الى ١١٨٥ ﻫ أية حادثة تعكر صفو الامن.

ولكن « لكل كمال زوال ولا بد من فراق لكل وصال » فبينما الناس في لهوهم ولعبهم ونعيمهم وطربهم ، اذ داهمهم وباء الطاعون في اوائل سنة ستة وثمانين ومائة والف ، وراح يحصد النفوس حصداً ويفتك بها فتكاً ذريعاً ، وتناول الصغير والكبير والنساء والرجال ، وتساوى لديه ساكن الكوخ وساكن القصر ، فكم من دار اخلاها من ساكنيها ، وكم من والد افقده بنيه ، وكم من مولود حرمه أمه وأباه ، ولم ينج منه الهارب كما لم ينج منه المقيم ، واستمر يخطف ارواح الناس ستة اشهر مما ادى الى اضطراب الاحوال « واذا حلت المقادير ذلت التدابير » ، وأخذ البعض يفر الى خارج البلد دون شعور واختيار حتى المسؤولون عن الحكم، ولم يفد معهم تقريع الوالي عمر باشا الذي انتهى بأن فر هو ايضاً وخرج من البلد مع من بقي معه على قيد الحياة الى القرى والضواحي تاركاً وراءه كل ما عز وطاب .

ولكن البلاء كان يتعقبهم ويسعى خلفهم ، وأصاب الكثيرين من الذين فروا من بغداد التي لم يبق فيها غير الفقراء والعجزة الذين سلموا أمرهم الى الله .



وقد نصب الوالي عمر باشا خيمة قرب الاعظمية اقام فيها هو وعياله ، الى ان خفت وطأة الوباء وهدأت ثائرته ، ثم زال تماماً ببركات الصالحين الذين تضرعوا الى الله ان يكشف عنهم وعن الناس هذا البلاء . وعندئذ رجع الوالي ورجع الناس بعده كل الى داره ، ودبت الحركة في البلد من جديد .

ورود خبر انتقال السلطان مصطفى خان ابن السلطان احمد خان وجلوس السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان احمد خان

في يوم الجمعة الموافق لليوم الثامن من شهر ذي القعدة من سنة سبعة وثمانين ومائة والف، انتقل الى دار البقاء السلطان مصطفى خان ابن السلطان احمد خان بتقدير مستحيل التغيير جناب خالق الموت والحياة ، وامتثالاً لأمر ربه « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » وانتخب الشاهزاده عبد الحميد خان ابن السلطان احمد خان دامت سلطنته الى آخر الزمان ، باجماع الامة واركان الدولة ، وأجلس على سرير الخلافة العثمانية ، وقدمت اليه التهاني والتبريكات والادعية الخالصة بدوام ملكه ، وصدرت الفرامين الى جميع الاطراف معلنة التعزية بوفاة الراحل والتهنئة بجلوس الخليفة الجديد .

الحوادث التي وقعت خلال وبعد الطاعون والانحلال في ضبط النظام وتردي الوضع والحروب التي نشبت بين الحاج سليمان آغا واحمد باشا بابه واتصالها بالسردار كريم خان صاحب ايران

سبق ان بينا ان محمد باشا بابان بعد تركه قلعة جوالان قد التحق بايران وبقي هناك بمعية علي مراد خان قبل حدوث الطاعون ، وبينا ان الطاعون ما كاد يزول ظله الثقيل حتى اخذ البغداديون الفارون يعودون الى بلدهم حيث

وجدوها قد تغيرت كثيراً عما كانت عليه من كثرة السكان والحركة والحياة الرغدة ، فقد فقدت اكثر معالمها ومباهجها ، وتولتها خلال هذه المدة أبدي الرعاع بالتخريب والتدمير ، ومما زاد في دمارها كثرة الواردين اليها للسلب والنهب من الاعراب والاكراد ، ولما عادت الحكومة اليها وجدت ايضاً اكثر الموظفين الذين كانوا يديرون دفة الاعمال والمعاملات قد قضى عليهم الطاعون ، فاضطرت الحكومة الى ايداع امورها الى ايدي اناس ليست لهم المقدرة والكفاءة والخبرة ، فساء الوضع بهم اكثر مما كان ، وتعطلت المصالح والاعمال واضطربت الاحوال ، مما شجع العشائر والاعراب على انتهاز الفرصة واعلنوها فوضى لا مراء لها .

وقد ضبطت حوادث هذه الفترة بصورة مفصلة في الجريدة الخاصة بسنة سبعة وستين ومائة والف .

ومن تلك الحوادث ما يرجع الى الترتيبات التي أجراها المرحوم داود باشا بعد هروب سليمان باشا واناطته مقاطعة بابان بعهدة أخيه أحمد باشا ، واعاد مقاطعة كوي وحرير الى أحد أبناء البيكات المسمى تيمور باشا بن عثمان باشا .

أما سليمان باشا فتقول السجلات انه كان في حرب مع الافشاري ازاد خان حتى تغلب عليه ، وبعد اتفاقه مع زند عبد الكريم خان الذي اعلن استقلاله واستيلاءه على الحكم في ايران ، اعلن نفسه حاكماً على مقاطعة « سنه » وما جاورها .

ولما عزم علي باشا على السفر لتأديب عشيرة كعب انتهزها أحمد باشا فرصة وجمع جموعه وسار من سنه بعسكر جرار ، وطرد محمود باشا واتباعه واسترد مقاطعة بابان .

ولما عاد علي باشا من بني كعب منصوراً وسمع بما حدث في غيابه ، وذلك عند نزوله في المكان المسمى نهر عمر ، واصل سيره نحو بغداد واصدر امراً مستعجلاً اقر فيه أحمد باشا على ما قام به وامدّه بجميع ما عنده من قوات .

١٠

ولما سمع سليمان باشا ورأى ان لا قدرة له على مقابلة هذا الجيش ، استغل فرصة حلول فصل الامطار والثلوج وعاد بمن معه الى « سنه » والتجأ أيضاً الى حماية كريم خان .

وبعد مرور سنة على هذا وبعد وفاة علي باشا وقيام عمر باشا مكانه ، عينه هذا متصرفاً على مقاطعات بابان وكوي وحرير و كويري وقره حسن وزنكباد وحصبان وبدوه ، لما بينهما من صحبة سابقة ، وعزل أحمد باشا .

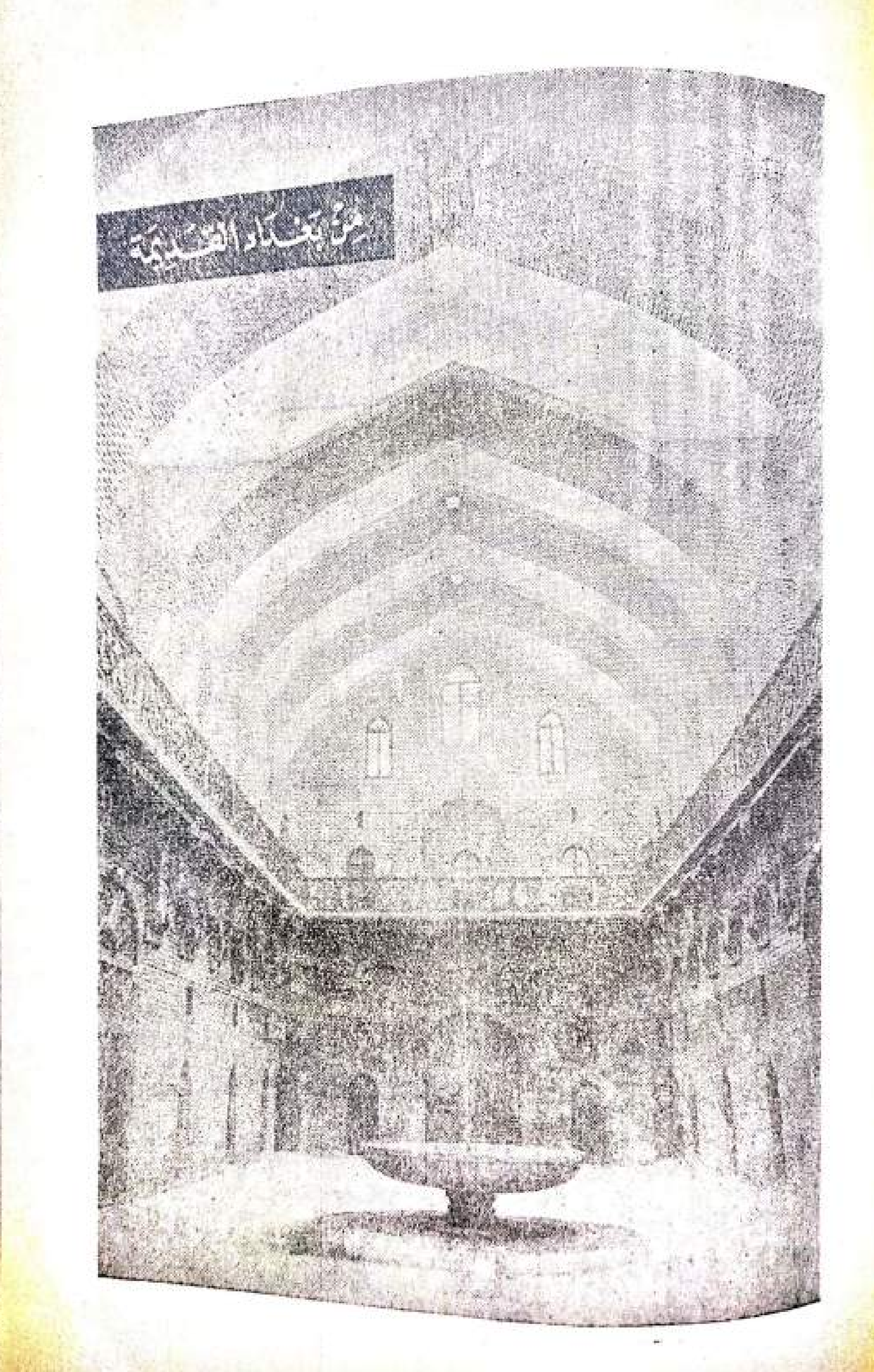
اما أحمد باشا فقد ساءه هذا الامر الذي جاء صدمة عنيفة لم يكن يترقبها ، ولم يصدر منه ما يستوجب هذه الاجراءات التي قلبت الامور رأساً على عقب ، فلم ير بدآ من جمع اتباعه وعشائره والسير بهم نحو العمارنة حيث اسكنهم فيها وذهب هو الى الموصل وأقام هناك .

أما سليمان باشا فقد تولى امور كردستان ، واذ لم يأمن عمر باشا من بقاء أحمد باشا في الموصل فقد جلبه الى بغداد وفرض عليه الاقامة فيها تحت المراقبة .

وبذلك خلا الجو لسليمان باشا الذي تمكن من السيطرة وضبط الامور وادارتها بصورة تكاد تكون مستقلة ، والتف حوله جميع الاكراد ، وضم اليه مقاطعة اربيل أيضاً ، وراح يأمر وينهى سنة كاملة ، ولما كان لكل كمال زوال ، فقد سلط الله عليه الفقيه ابرهيم الذي كان يتحين الفرص للانتقام منه ، وتسلق عليه الدار ليلاً ، واغمد في صدره خنجره وقتله .

فلما بلغ خبر مقتل سليمان باشا مسامع والي بغداد عمر باشا رأى من الضروري الاسراع بسد الفراغ ، واصدر أمره بتعيين اخيه الاوسط عمر اغا مكانه لصداقته السابقة معه ايضاً .

وخلال هذه المدة اتفق كل من محمد باشا وأحمد باشا على العودة الى كردستان ، واحتلالها واقتسامها فيما بينهما ، على ان يكون عمر باشا كوي سنجق وقره داغ ، فتم لهما ما ارادا ، وعاشا في وئام مدة من الزمن حتى دخل بينهما المغرضون ، وراحوا يوغرون صدر كل واحد منهما ضد الآخر ، حتى بات



من بغداد القديمة

وكل منهما يخشى سطوة الثـاني الى درجة ادت بأحمد باشا الى الارتحال من قره داغ مع أتباعه والاقامة في زنكباد .

وبسبب وقوع الطاعون وفتور الحكومة المركزية وضعفها فقد اصبح الاثنان يتصرفان كيفما يشاءان ، وانتقل محمد باشا الى كويسنجق .

أما احمد باشا فانه لما علم بضعف محمد باشا وقلة قواته ، فقد انتهزها فرصة وسار على رأس قوة كبيرة نحو كويسنجق ، ولمـا بلغ نهر كوردي سقطت امطار غزيرة منعته من العبور الى الضفة الثانية ، واضطرته الى التوقف هناك .

وخلال توقفه علم محمد باشا بالأمر ، وتحرك نحوه هو الآخر حتى التقيا وراحا يتراشقان الطلقات النارية ، ولم يحل بينهما سوى النهر . وبعد مرور بضعة أيام على هذه الحالة، وهبوط مستوى النهر، جمع محمد باشا قواته وقبائل كويسنجق، وهجم بهم على احمد باشا والتحما ، وكاد الأمر يصل الى ما لا تحمد عقباه، لو لا تدخل سادات كردستان وعلماؤها وشيوخها بين الاثنين ، ورفعهم المصاحف ، وبذل النصيحة والموعظة ، اذ تمكنوا من تهدئتهما واطفاء نار الفتنة والحقد من صدريهما ، واعادوهما الى مـا كانا عليه من وفاق ومصافاة ، وبقيت المناطق الكردية يتداولها الاخوة الثلاثة محمود باشا ومحمد باشا واحمد باشا .

ثم اعاد محمد باشا الى أحمد باشا منطقتي كويسنجق وقره داغ، واحتفظ هو بقلعة جولان ومـا حولها من قرى وضياع ، وكاد الهدوء يستمر بينهما لولا تدخل المنافقين مرة ثانية حيث تمكنوا من سلب اعتماد احدهمـا على الآخر ، وكادت الفتنة تعود الى اشد مما كانت عليه لو لا قيام محمد باشا بأعلان التمرد على الدولة والعلية ، ثم هروبه لاجئاً نحو عبد الكريم خان حاكم ايران .

ولأجل ضبط العشائر الكردية قام الوزير بتعيين محمود باشا متصرفاً لمقاطعة بابان ، وعزز أمن المنطقة المذكورة بقوة كبيرة على رأسها متسلم البصرة السابق الحاج سليمان اغا والقائد احمد اغا ابن محمود خليل مع المليشيا التي كانت ترابط في كركوك، وقد افرجوا عن أحمد باشا الذي كان محجوراً عليه في قلعة جولان،

وسلم محمود باشا زمام الامور وصار تابعاً له .

ولقد كان من نتائج هروب محمد باشا الى ايران والتجائه الى كريم خان ، ان حصل من الخان الموما اليه على قوة عسكرية قوامها عشرة الاف جندي ايراني بكامل عددها ومعداتها وما يلزمها من سلاح بقيادة علي مراد خان، للاغارة بها على العراق ، يضاف الى هذا قيام الباشا المذكور بمراسلة بعض رؤساء الاكراد للالتفاف حوله والالتحاق به على الحدود .

ولما بلغ خبر هذه الحملة واقترابها من الحدود مسامع الجيش العثماني، فر اكثر جنود المليشيا خوفاً ورعباً ، وقد ساء قواد الجيش فرار هؤلاء الجنود، وراحوا يعززون قواتهم ، ويبعثون فيها روح الحماسة والحمية ، كما ان احمد باشا قام بدور هام في تشجيع القوات وحملها على الصمود ، وتعاهد مع قائد الجيش على ان يبذلا نفسيهما في ميدان القتال ، ولا يمكنا الايرانيين من اقتحام الحدود . وأخذ كل واحد من جهته يحرض الجنود والعشائر على القتال والذود عن حياض الوطن .

وقد كان مجموع الاكراد والجيش العثماني لا يتجاوز الالف وخمسمائة مقاتل، وهم لا شيء بالنسبة الى القوات الايرانيـة ، ولكن روح الحماسة التي استولت عليهم جعلتهم يستهينون بالعدو، فخرجوا من قلعة جوالان، ولما صاروا على بعد ثلاث ساعات من جوالان التقوا بالعدو في مرقع يسمى جبل مرسير ، وعندئذ هجموا عليه هجمة رجل واحد ، فلما رأى علي مراد خان قلة هذا الجيش استهان بهم وهجم عليهم هو الآخر ، والتحما بعضهم ببعض ، وصمـد الجيش العثماني ، وارتفعت اصوات افراده بالتكبير والتهليل ، واندفعوا كالسهام الملتهبة يضربون اعداءهم بقوة فائقة وجلادة وحمـاس منقطع النظير ، فانتصروا على اعدائهم واذاقوهم حرباً لم يشهدوها من قبل، وكانوا يمرقون من بين صفوفهم مروق السهام كأنهم من عفاريت الجان، وملأوا قلوب اعدائهم رعباً وخوفاً ، واسروا قائدهم علي مراد خـان ، وأخيراً انهزم الايرانيون وتركوا في ميدان القتال حوالي

الخمسمائة قتيل ، وغنم الجيش العثماني كل معداتهم واسلحتهم وخيامهم .

وبعد فرارهم صلى قواد الجيش ورؤساؤه شكراً لله على ما انعم عليهم بهذا النصر المبين ، ثم جلبوا علي مراد خان واخذوا يلاطفونه ويخففون عنه وطأة هذا الخذلان، واظهروا له ما يليق بمثله كقائد من الاجلال والاحترام، وسيروه برفق الى والي بغداد عمر باشا ، وظلوا في المنطقة الكردية بانتظار التعليمات .

كريم خان يجرد ثلاثة جيوش لأخذ الانتقام

بينا فيما مضى كيف اندحر الجيش الايراني ، وكيف وقع قائده علي مراد خان اسيراً في أيدي الجنود العثمانية ، وقد وقع هذا الخبر على صاحب ايران كريم خان وقوع الصاعقة ، فقام من فوره يرعد ويهدد ولم يتوان من اعداد العدة للانتقام .

أما قائد الجيش العثماني الحاج سليمان اغا فقد بقي مع أحمد باشا في كردستان لمراقبة ما يحدث من رد فعل ، وكانا على اتم استعداد لمقابلة العدو اذا حدثته نفسه بالهجوم مرة ثانية .

ولما لم يقع شيء من هذا القبيل ، ولقرب نفاد ما معهما من ذخائر وارزاق، فقد قررا الانسحاب الى كركوك والاقامة هناك .

أما كريم خان فقد اصدر أمره الى صادق خان ان يتحرك على رأس الجيش الموجود في شيراز نحو البصرة حيث وصل بالقرب منها وحاصرها . واما الجيشان الآخران فقد اتجها نحو كردستان ، وتطايرت الاخبار بدنوهما من الحدود ، وأخذ السكان يجلون الى اماكن بعيدة . وكان على القائد المقيم في كركوك أن يبادر بمن معه الى العودة نحو الحدود ، غير ان جنوده كانوا قد تفرقوا هنا وهنا .

وقد رأى هو واحمد آغا ابن محمد خليل أن القوة الموجودة معهما لا تكفي

لصد الاعداء أو الوقوف بوجههم ، بالاضافة الى ما يحتاجونه من الذخائر والمؤن، يضاف الى هذا عودة الفتور بين عمر باشا واحمد باشا، وقيام الاول بتعيين محمد باشا لقضائي اربيل و كويري رغبة في تهدئة ثائرة الايرانيين ، فلم ير عندئذ احمد باشا بداً من الذهاب هو واخوه محمود باشا الى كركوك ، والاقامة فيها هما واتباعهما ، والتحق بهما متصرف كويسنجق نمر باشا ، الامر الذي ادى الى تضعضع الوضع في كردستان ، فانتهزها الاعجام فرصة سانحة وتحرك نظر علي خان على رأس الجيش المعسكر في كرمنشاه نحو درنة وباجلان ، واقترب من نواحي كوكوك، واجتاح القرى المجاورة مثل بير حياتي وجباري وقره حسن وكر راجعاً ، وتحرك ايضاً جيش آخر نحو سنه و كردستان بصحبة محمد باشا، وهجم على القرى والارياف. وهكذا أغار الاعجام من ثلاث جهات على الحدود العثمانية « ولو كان رمحاً واحداً لاتقيته ولكنه رمح وثان وثالث» . ولم يكن لدى عمر باشا من القوات ما يستطيع بهـا صد هذه الجيوش الزاحفة ، وقد عرض الحالة على الدولة العلية فأوفدت وهبي افندي لدراسة الاحوال والاوضاع.

وخلال هذه الفترة مكث الاعجام الذين هجموا على كردستان ومعهم محمد باشا مدة قصيرة في دربند، ثم انسحبوا الى داخل الحدود الايرانية. وقد اخذت ترد الاخبار على افواه القـادمين من جهـة الموصل بعزل عمر باشا والي بغداد . فكان لهذه الاشاعة أثر سيء على معنوية القوات الموجودة لديه، اذ فترت هممهم ولاذ بعضهم بالفرار ، وأعلن نمر باشا العصيـان وحاول الهروب من كركوك الى كويسنجق ، فلم يمكنه القـائد من تنفيذ محاولته بل اعتقله وكتب الى عمر باشا بمـا فعل ، ثم صدرت الاوامر بتعيين احمد باشـا لألوية حرير واربيل وكويري ، وسافر هو ومحمود باشا والقـائد ومن معهم من قوات حتى وصلوا كويسنجق وعسكروا فيها .

وفي هذه الاثناء ورد أمر عزل والي كركوك تيمور باشا ، وهو من اهالي وان ، وعين بدله سليمان باشا امين زاده آل عبد الجليل متصرف الموصل .

اما وهبي افندي الموفد من قبل الدولة العلية فقد سافر الى شيراز لمواجهة كريم خان ، ثم عاد الى الاستانة ولم تظهر نتائج مهمته ، وخلال هذه المدة بقيت البصرة تحت حصار الايرانيين . ثم اوفدت الدولة العلية الى العراق والي ديار بكر اوزون عبدالله باشا، والحاج مصطفى باشا المشهور بالاسبيناقجي بقصد معاونة عمر باشا ، وقد أذيع ان عبدالله باشا وصل الى كركوك ومعه ثلاثة الاف جندي ، ووصل بعده الحاج مصطفى باشا ومعه المير ميران عبدي باشا وتحت امرتهما حوالي الالفين من الجنود ، وعسكروا في مكان يسمى «اقاقبر» ، ثم وصل ما يقرب من الالف جندي ليكونوا بمعية متصرف كركوك سليمان باشا وعسكروا ايضاً خارج البلدة .

محاصرة البصرة ومقتل عمر باشا واناطة ولايتي البصرة وبغداد بعهدة مصطفى باشا الاسبيناقجي

تقدم ان صادق خان وهو اخو كريم خان قد تحرك نحو البصرة وحاصرها بجيشه ، وكان متسلمها يومئذ سليمان آغـــا ، وهو من الرجـال المعروفين بالعقل والحكمة والمقدرة على تمشية الامور وضبط النظام ، ولم ترعه الجيوش الايرانية التي تحاصر البصرة ، بل راح يقوي من عزيمة السكان ويحرضهم على التزام الهدوء واتخاذ التحصينات اللازمة ، وعدم تمكين العدو من ايجاد ثغرة للدخول الى المدينة مهما كلف الامر . وقد استطاع الوقوف والصمود بوجه الجيش الزاحف الذي احاط بالبلدة من كل جهاتها، وراح يقذفها بما في حوزته من مدافع وعتاد ويقابله السكان والحامية بالمثل ، وظل الامر على هذه الحال الى ان قرر والي بغداد عمر باشا ان يخرج بنفسه وبكل ما معه للدفاع عن البلاد ، بعدما اذاع اخباراً بأن الدولة العلية قد جهزت جيوشاً جرارة لرد عادية هذا الاعتداء ، وان هذه الجيوش توشك ان تصل وتشتبك مع الاعداء ، وانها الآن في المحل الفلاني ، وأذاع اخباراً اخرى مماثلة كان القصد منها تقوية معنوية الجنود والسكان .

وقد جهز ايضاً الكتخدا عبدالله كهية وارسله مقدماً على رأس قوة عسكرية ما كادت تصل الى الجليحة من اراضي الخزاعل حتى تصادمت مع بعض العشائر ولم تقو على الصمود امامهـا ، فعادت ادراجها الى بغداد ، مما حز في قلب عمر باشا وجعله في حيرة وارتباك ، ثم وردت القوات المنتظرة فرقة بعد فرقة ، وتجمع في بغداد حوالي الثمانية الاف جندي . وكان وصول هذه القوات باعثاً على تهدئة روع الوزير والاهلين ، وقوي الامل بفك طوق الحصار عن البصرة.

وبعد اقامة هذه العساكر بضعة ايام في بغداد اخذ كل قائد يتلكأ في تنفيذ المهمة المرسل من أجلهـا ، ولم يصغ احـد منهم الى اوامر الوزير عمر باشا حول ضرورة مواصلة السفر إلى البصرة . وأخذوا يتعللون بمختلف المعاذير والحجج ، الى ان ورد الامر بعزل عمر باشا باعتباره هو المسبب لهذه الفوضى والاضطرابات، وعهد بولايتي بغداد والبصرة الى أمين باشا آل عبـد الجليل ، وولايتي الموصل وكركوك الى ولده سليمان باشا .

وبالنظر لوفاة امين باشا في هذه الاثناء، فقد انيطت ولايتا بغداد والبصرة بأحد الوزراء العظـام وهو مصطفى باشا ، فامتثل عمر باشا لهذه الاوامر وغادر مقره نحو الضفة الثانية ، وضرب خيامه في «المنطقة» استعداداً للسفر واتمامـاً لتصفية اعماله واشغاله .

ولكن اهل النفاق والوشاية تمكنوا من ان يؤثروا على الوزير الجديد مصطفى باشا ويجعلوه يعتقد بأن مكوث عمر باشا في الجانب الثـاني ان هو إلا لاعداد العدة للعصيان والتمرد والثورة ، وزينوا له ان يقبض عليه ، فكان لهم ما أرادوا ، وهجم عليه ليلاً واشتبك معه ومع رجاله واتباعه في خصام ، ولما رأى عمر باشا انه مقتول لا محالة ان بقي في مكانه حاول الهرب نحو الكاظمية، ولكنه اثناء هذه المحاولة سقط عن فرسه والتوت رقبته ، وتمكن بعض الافراد من القبض عليه وقتله وقطع رأسه ، وجيء به الى مصطفى باشـا فأرسله هذا بدوره الى الاستانة .

وقد كانت مدة بقاء الوزير القتيل في الحكم من سنة سبعة وسبعين الى تسعين ومائة والف ، أي حوالي الثلاث عشرة سنة ، ولم يخرج سوى لمقاتلة الخزاعل والمنتفك ، والى ان وقع الطاعون كان حكمه موضع تقدير واعجاب ، وكان عاقلاً شجاعاً وعليه مهابة ووقار ، كما كان مطيعاً ومخلصاً للدولة ، وقد اندفع مصطفى باشا الى معاملة الوزير القتيل بهذا الاسلوب لاعتقاده بصحة ما بين الوشاة ، ولكنه لن ينجو من العقاب الرباني على ما فعله به .

مصطفى باشا يكذب على الدولة العلية

بعد عودة الامور الى حالتها الطبيعية، اوعز مصطفى باشا الى أمراء القوات التي كانت تعسكر في بغداد ، والتي جاءت لانقاذ البصرة ، وهم عبدالله باشا ، وعبدي باشا ، والموصلي سليمان باشـــا ، بالعودة مع قواتهم الى الامكنة التي جاءوا منهـــا ، لانه اتفق مع الاعجام وصالحهم ، وانهم سوف ينسحبون من حوالي البصرة . ولذلك لم يبق موجب لكونهم في بغداد ، وكتب بذلك الى الاستانة .

أما البصرة فكانت على أشد مـــا يكون من الضيق والحصار ، ولم يعد لسكانها طاقة على تحمل الحصار ولا سيا بعدما يئسوا من ورود المدد الموعود .

وقد ساءت الحالة العامة بخروج عبدالله كهية على الحكم القائم ، وتحصنه في المكان المسمى « شخرود » وقد التحق به خلق كثير من الرعايا ، وقد اعلن الانفصال والعصيان والثورة واستعد للمقاومة ، وان مصطفى باشا والي بغداد قد أعيته الحيل في ايجاد وسيلة لتشتيت جموع عبدالله كهية، وأصبح في موقف لا يحسد عليه .

ونظراً لهذه الحالة المحرجة اتفق متسلم البصرة مع السكان الغيارى وقرروا الاستماتة في الدفـــاع عن البلدة معتمدين بعد الله على أنفسهم ، وبقي الحصار

مضروباً عليهم مدة اربعة عشر شهراً، ولا منفذ لهم براً ولا بحراً، ومع ذلك فقد صمدوا كل هذه المدة مكتفين بما لديهم من اقوات وامكانيات، وأخيراً نفدت هذه كلها وأبيح لهم ما يباح للمضطر من اكل لحوم المحرمات، وبلغ بهم العسر والضيق والضنك حداً افقدهم رشدهم وجعلهم في حالة مؤثرة لا يمكن تصويرها. ولم يتلقوا على استغاثتهم جواباً من مصطفى باشا الذي اعطاهم أذناً صماء، ثم اغلظوا له القول وانذروه بسوء العاقبة ان لم يدركهم بمدد يزيح عنهم هذا الكابوس الذي يكاد يخنق أنفاسهم، فلم يكن منه إلا ان كتب اليهم يعلمهم بأنه في حال لا يستطيع معها اغاثتهم، وخير لهم ان ينقذوا نفوسهم وبلدتهم بمعالجة الوضع من قبلهم، وان يدفعوا للأعجام ما يملكون من الاموال تأمين على حياتهم وتسليم البلدة اليهم.

ولما قرأ متسلم البصرة كتاب الوالي اتصل بالاعيان والوجوه وأهل الرأي وأطلعهم على جلية الامر، ثم اتفقت كلمتهم على مكاتبة صادق خان لتسليم البلدة اليه.

وهكذا دخل صادق خان بجيوشه بلدة البصرة، وفور دخوله قبض على متسلم البصرة وموظفي الكمرك وغيرهم، كما قبض ايضاً على بعض الوجوه من السكان وسيرهم مقيدين الى كريم خان في شيراز، واستولى على اموالهم واملاكهم، ثم أباح البصرة لجنوده فراحوا ينهبون ويقتلون ويرتكبون مختلف الفظائع، حتى صار الاغنياء يتسولون في الشوارع لكسب قوتهم اليومي.

أما صادق خان فبعد ان فعل ما اراد نصب على البصرة احد الخوانين الذين كانوا معه، وهو محمد علي خان حاكماً على البصرة، وترك تحت امرته حوالي العشرة آلاف جندي، وكر راجعاً الى شيراز مصطحباً معه بقية العسكر وما استولى عليه من غنائم واموال.



عزل مصطفى باشا وتوجيه ولايتي بغداد والبصرة الى عبدي باشا ثم الى عبدالله كهية

ذكرنا ان عبدالله كهية كان قد اعلن العصيان والانفصال عن الحكومة القائمة وراح يعاكسها ويقلقها ، وتبعه خلق كثير بحيث اصبح مرهوب الجانب، واخذ يصول ويجول ويستولي شيئاً فشيئاً على المدن والمناطق ، حتى بات مصطفى باشا اعجز من ان يتصدى له او يتخذ شيئاً من الاجراءات ضده لردعه او لاستمالته . ولم ير أمامه غير ان يقدم شكواه منه الى الدولة العلية لاتخاذ ما تراه ، ولكن الدولة العلية لم ترقها تصرفات هذا الوالي الذي لم تكن له المقدرة لمعالجة الوضع واعادة النظام وضبط الامور مع وجود قوات كافية تحت تصرفه، وان اظهار عجزه الآن في مقاومة احد الذين في معيته ، يدل بوضوح على عدم لياقته للحكم. وبناء عليه قرر أمناء الدولة عزله وتعيين الوزير عبدي باشا مكانه، وصدور الفرمان بذلك. وقد توقف مصطفى باشا عن عمله وغادر البلاد ، ووصل عبدي باشا وتسلم منصبه .

ولما وصل مصطفى باشا إلى ديار بكر وردت الاوامر المستعجلة بتوقيفه هناك بسبب التقارير الموثوقة التي تواردت على الدولة العلية ضد المومـا اليه عن تسببه في ضياع البصرة عمداً باتفاقه مع الاعجام لقاء ما تسلمه منهم من الرشاوى، الامر الذي اغضب البادشاه ورجال المملكة ، واخيراً قرروا اعدامه فأعدم. ولما كان الناس مجزيين بأعمالهم ، ان خيراً فخير وان شراً فشر ، فقد لقي المومـا اليه جزاءه وشرب من الكأس الذي سقاه لسلفه .

وكان توليه الحكم في بغداد منذ بداية سنة تسعين ومائة والف ، ومدة حكمه ثمانية اشهر في رواية ، وتسعة أشهر في رواية اخرى .

أما قضية البصرة فقد ورد كتاب من الدولة العلية مملوء باللوم والتأنيب

لكل موظف مسؤول بسبب عدم اعلامهم الجهات العليا المختصة بحقيقة الحالة في حينه .

هذا وبالنظر لما ورد على الدولة العلية من اخبار وتقارير وتوصيات ، وعلى الخصوص توصية مستشارها سليم افندي المقيم في بغداد ، فيما يختص بعبدالله كهية واخلاصه وتفانيه، فقد استدعي الى الاستانة، ثم عهد اليه بولايتي بغداد والبصرة، كما عهد الى احد كهيات سليمان باشا بولاية كركوك ، وكذلك عهد الى حسن باشا بولاية ماردين ، وأوعز الى هؤلاء بلزوم اتخاذ ما يلزم لطرد الاعجام وابعادهم عن الحدود .

وكانت مدة حكم عبدي باشا سبعة عشر يوماً ، على ما جاء في السجلات المختصة .

ثم راح الوزراء الجدد عبدالله باشا والي بغداد والبصرة وحسن باشا والي كركوك يتعاونان لتنفيذ ما أمرا به من وجوب طرد الاعجام بعد ما أمدتهما الدولة العلية بما يحتاجان اليه من اموال ، ولقد كان والي كركوك حسن باشا أسرع من عبدالله باشا في اعداد العدة لتنفيذ الخطة ، أما عبدالله باشا فمع كونه نديراً ولائقاً للحكم، إلا انه غير محيط بدقائق الامور، وليس على شيء من العلم فيما يتعلق بالقضايا العسكرية ، ولذلك كان متردداً في الاقدام على هذا الامر ، وراح يسوّف في تنفيذ المنهج الذي اتفقا عليه ، مرجحاً التأني على الاستعجال الذي يبديه حسن باشا .

أما حسن باشا، فبالنظر لاكماله استعداداته وعدم ظهور ما يقابلها من جانب عبدالله باشا ، فقد نفد صبره وكتب الى متصرف كوي وحرير احمد باشا ، والى متصرف بابان محمد باشا ان يقابلاه ، ثم اوعز الى احمد باشا ان يقود حامبته التي كانت في زهاد والبالغة الفي جندي وما معه من قوات اخرى ويتجه بها نحو كرمنشاه . واوعز الى محمد باشا ان يقود ما لديه من قوات ويسافر بها عن طريق قلعة جوالان نحو سينه ، ودفع لكل منهما اربعين الف

قطعة ذهب ، وسير بمعيتهما قوات المليشيا العثمانية التي كانت مقيمة في كركوك

ولم يرتح أحمد باشا لهذه الاوامر ، وساءه ما رآه من معاملة حسن باشا له ، فلم يبد منه ما يدل على رغبته في تنفيذ هذه الاوامر ، وانما اكتفى بالذهاب الى زهاو وهناك عسكر في مكان يسمى « زكره » مكتفياً بالمحافظة على الحدود . وأما محمد باشا فقد توجه عن طريق سينه ، ومن غريب الاتفاق ان كريم خان كان قد جهز جيشاً يبلغ الاثني عشر الف جندي ، ووجهه نحو كردستان فسافر عن طريق اردلان بقيادة خسرو خان ، وواصل هذا الجيش سفره بالطريق الذي سار به محمد باشا ، الى أن صار كل منهما وجهاً لوجه في موضع يقال له « سطرنجان كدوكي » وهو المحل الفاصل بين الحدود . وبعد مناوشات ومصاولات هجم محمد باشا على خصمه هجمة صادقة تمكن بها من الانتصار عليه وهزمه ، وقتل من جنده حوالي الالف ، واستولى على معداته ، وغنم كل ما كان معه ، وكتب الى حسن باشا يعلمه بهذا الفوز المبين .

أما عبدالله باشا والي بغداد فلما بلغه ما فعل زميله والي كركوك ، قام من باب ذر الرماد ، ولدفع اللوم والانتقاد ، بتعيين كتخداه اسماعيل كهية قائداً لحملة عسكرية سيرها عن طريق شخرود ومندليج ، وقد فعل هذا ايضاً بكل فتور واهمال .

ولما بلغ كريم خان في شيراز خبر انكسار جيش خسرو خان جهز حملة قوامها اثنا عشر الفاً بقيادة علي خان لمقاتلة محمد باشا الذي وجد نفسه عاجزاً عن مقابلة هذا الجيش ، وعاد هو واحمد باشا نحو كويسنجق ، وبواسطة متصرفها نمر باشا عرضا الامر على حسن باشا ، وهذا بدوره طلب الى عبدالله باشا أن يمده بقوة كافية لصد الاعداء ، فلم يلتفت الى طلبه ، ثم التمس منه ان يوعز الى كتخداه اسماعيل كهية المقيم في شخرود ان يتقدم على الاقل للاستعانة به وبالقوات التي معه فتلكأ عن ذلك .

اما الاعجام فلما لم يجدوا أمامهم ما يحول بينهم وبين الزحف على كردستان،

تقدموا وأمعنوا في ضرب القرى والبلاد الكردية وأسر أهلها والاستيلاء على الاموال وغيرها ، فلما شاهد احمد باشا مـا حل بالبلاد اخذته الحمية والغيرة وهجم بمن معه على الجيش الايراني ، وتمكن من رده إلى الوراء ومن استرجاع الاسرى وأموالهم وقراهم واكتفى بذلك .

وأما عبدالله باشا فقد انكشف للدولة العلية تكاسله وتراخيه وتهـاونه في تنفيذ ما أمر به ، ولعدم ظهور ما يدل على قيـامه بأية محاولة لاسترداد البصرة فقد ندمت المقامات العليا على تعيينه بهذا المنصب الخطير ، وقد عزل المسؤولون سليم افندي وعاتبوه لترشيحه ، ولكنه دافع عنه دفاعاً طيباً بحجة انه حديث العهد بهذه المهام الجسام ، ثم استطاع ان يقنعهم بالعفو عنه وبالسماح له بالذهاب الى بغداد والقيام بمهمة استرداد البصرة وبأنه على ذلك لقدير ، فوافق رجال الدولة العلية على ذلك .

ولما وصل الى بغداد كان الاعتقاد السـائد لدى الخاص والعام بأن هذ الرجل هو الذي سينقذ البصرة من ايدي الاعجام ، ولكن المومـا اليه بالنظر لجبلته الميـالة الى الانس والطرب فقـد انغمس فور وصوله في الملذات بتشجيع من معتمد الولاية الخزنية دار محمد بيك العجمي الاصل ، ونسي المهمة التي جاء من اجلها ، وبعد مرور مدة طويلة صحا من غفوته ، وتذكر الوعد الذي قطعه على نفسه لدى رجال الدولة العثمانية ، واتصل بمن يعتمد عليهم ، وبعـد الاستشارة قرروا ارسال محمد بيك الشاوي الى كريم خان لمباحثته حول موضوع البصرة .

أما محمد بيك العجمي الاصل فلما كان من الذين يتصفون بالكرم وحسن المعاشرة وله جاذبية ومقدرة على كسب الاصدقاء ، فقد كان يسعى للوصول الى كرسي الوزارة بأي ثمن كان ، وقد التف حوله كثير من الاصدقاء والموالين ، وراح يسعى مستعيناً بهم للوصول الى الغرض الذي في نفسه . ومن جهـة ثانية فان عبدالله باشا اخذ يبـالغ باكرام سليم افندي ويقربه اليه بتأثير محمد بيك ، ومنحه هدية من الجواهر ذات قيمة كبيرة ، ولما مرض عبدالله باشا وعجز عن

ادارة الولاية اسند كل الامور اليه ، وبايعاز من سليم افندي وتأثيره في بغداد وفي الاستانة فقد عزل اسماعيل الكهية بدون موجب ، وعين مكانه وبرتبته محمد بيك السابق الذكر ومنح صلاحيات واسعة .

وفاة عبدالله باشا والي بغداد ووقوع مظاهرات واصطدامات

قلنا ان الوالي قد مرض وترك الامور بعهدة سليم افندي ومحمد بيك يفعلان ما يشاءان ، وقد اشتد المرض على الوالي وهو مرض الاستسقاء ، ولم يفد مع نطس الاطباء وتوفي الى رحمة الله ، وكانت مدة حكمه سنتين لم يقم خلالها بأي عمل يذكر .

ولمـــا كان سليم افندي معدوداً من رجال الدولة ، فقد تقلد الوكالة ريثما يُنظر في امر تعيين وزير بدل الراحل ، إلا ان محمد بيك من جهة والكتخدا السابق اسماعيل كهية من جهة اخرى لم تعجبهما هذه الترتيبـات ، اذ ان كلا منهما يطمع ان يكون هو الوالي ، وراح الاثنان يتنافسان ويسعيان لجمع الاصحـاب والاشياع ، وكل منهـما يحرض الناس ضد الآخر ، واخيراً اقتسما البلدة بينهـما فكانت محلات الميدان والمهدية والقره غول والفضل ورؤساء الانكشارية من جانب محمد بيك بتأثير سليم افندي ، وكانت محلات رأس القرية وباب الشيخ والشورجه وما جاورها من جانب اسماعيل كهية .

ثم هجم محمد كهية او محمد بيك بأتباعه واحتل القلعة واتخذ فيها التحصينات ونصب عليها المدافع ، وكذلك فعل اسماعيل كهية من جهته ، ووقعت بينهما المناوشات والاصطدامات . أما الجانب الثاني من البلد فان اهليه لم ينحازوا الى أحد المتخاصمين في بداية الامر . ولما علم محمد باشا بأن اسماعيل كهية يراسلهم ويستميلهم الى جانبه ، اعتقد انهم انحـــازوا اليه فسلط عليهم نيران مدافعه ، وبعمله هذا حملهم او دفعهم الى التعاون مع اسماعيل كهية والانضمام الى صفوفه ، وبذلك اشتد الصدام بين الجهتين .

ولما رأى سليم افندي ما وصلت اليه الحالة استعان بالحاج سليمان بك الشاوي الذي كان قد غادر البلدة وسكن في شخرود بسبب الفتور الذي كان بينه وبين الوالي المرحوم ، واستدعى سليم افندي الحاج سليمان بيك اليه ، وبعد المذاكرة معه اوفده إلى المتخاصمين لازالة سوء التفاهم من بينهما وتهدئتهما ، وقد تمكن من ذلك فعلا ، وأوقف المناوشات بينهما موقتاً ، مما بعث الامل في القلوب بعودة الامور الى مجاريها الطبيعية . وفي هذه الاثناء عاد محمد بيك الشاوي من شيراز مستصحباً معه القنصل الايراني حيدر خان للمذاكرة في امر الجلاء عن البصرة حسب الشروط التي كانت قد تقدمت بها ايران على عهد الوالي عبدالله باشا ، وبعد الاطلاع على تلك الشروط رأوا ان المذاكرة حولها يجب ان تكون بمعرفة الوزير المسؤول ، وبما ان الوزير لم يكن موجوداً حينذاك فقد تأجل النظر في امر الصلح وبقيت البصرة بيد الاعجام . ثم عادت نار الخصومة تشتعل مرة اخرى بين المتنافسين الامر الذي دفع بسليم افندي الى الاستعانة ثانية بالحاج سليمان بيك لتهدئة الحال .

ولكن سليمان بيك كان من رأيه اخراج الشخصين المتنازعين في بغداد، لان بقاءهما لا يخلو من مخاطر ، وكان قد اقترح ارسالهما الى كركوك للاقامة هناك تحت مراقبة الوالي حسن باشا ريثما يتم تعيين وال لبغداد ، وعندئذ يرى الوالي رأيه فيهما ، ولقد أخذ المسؤولون برأيه ، وجرى الاتصال مع كل من محمد بيك واسماعيل كهية حول الموضوع فأظهر الموافقة في بداية الامر ، ولكن سليمان بيك فكر بأن من المستحيل ان توافق الدولة العثمانية على تعيين محمد بيك والياً على بغداد لانه من أصل فارسي ، واذن فمن المرجح ان يكون اسماعيل كهية هو الوالي المنتظر ، ولذلك اتفق معه سراً وعبر الاثنان الى الجانب الثاني بحجة التهيؤ للسفر الى كركوك ، وقد عبر اولاً سليمان بيك لدفع الريبة عنه ثم لحق به اسماعيل كهية .

أما محمد بيك فكأنه علم بما دبر من أمر ، اذ تلكأ وتباطأ ولم يتخذ العدة

١١

السفر ، ثم تبين له ان كلا من الشاوي واسماعيل كهية قد اتفقا على ان يكو
ضده ، وفعلاً أخذا في الاستعداد والتجمع ، وراح سليمان بيك نفسه يحرض ع
القتال . وهرب سليم افندي الى دار عمر باشا في محلة «الدنكجية» وتحصن فيها
وقد انحاز الى جانب محمد بيك احمد اغا ابن محمد خليل الذي كان مقبلاً م
حسن باشا والي كركوك ، وتوجه على رأس قوة كبيرة ، حتى اذا ما وصل
«بعقوبة» عسكر فيها وارسل بعض قواته مقدماً ، وذلك بطلب من محمد بيك
ونزلت تلك القوات في محلة الشيخ شهاب الدين واشتركت مع رجال محلة الميدان
بالقتال .

أمـا الحاج سليمان بيك فقد جمع في الجانب الثاني عشيرة النجادة الموصليين
المقيمين هناك وعشيرة العبيد ، فتكونت لديه قوة كبيرة لا يستهان بها ،
وشرعت بالرمي على الجانب الثاني ، ودامت هذه الحرب الاهلية مدة خمسة أشهر
تعرض السكان خلالها الى مختلف ضروب العذاب ، وسفكت دماء كثيرة
ونهبت الاسواق والمساكن وشردت العائلات وانتهكت الحرمات .



توجيه ولايتي بغداد والبصرة الى حسن باشا والي كركوك وصدام محمد باشا مع أحمد باشا

لقد اشتعلت نار الفتن في بغداد بعد وفاة عبد الله باشا بسبب مطامع كل من محمد بيك واسماعيل كهية على الشكل الذي بيناه في الفصل السابق ، ثم قام كل منهما بجمع تواقيع الاهلين وذوي الرأي والوجهاء على مضابط يؤيدون فيها وجهة نظرهم في اختيار صاحبهم ولياقته للقيام بمهام الولاية وانه هو المعتدى عليه، ورفعوها إلى الدولة العلية ، وفي الوقت نفسه قدم والي كركوك حسن باشا إلى الاستانة تقريراً مفصلاً عما وصلت اليه الحالة في بغداد ، ورشح نفسه للولاية المذكورة ، فكان له ما اراد ، وصدرت اليه التوجيهات البادشاهية ، وتقلد منصب وزير لولايتي بغداد والبصرة ، وذلك في اواسط سنة اثنتين وتسعين ومائة والف . ومع وصول الفرمان إلى بغداد انطفأت نار الفتنة ، وتمزق شمل المتخاصمين ، وفر اتباعهما من الاعراب والانكشارية نحو القرى والارياف ، وعاد الهدوء والنظام الى الربوع ، وظل الناس ينتظرون قدوم وزيرهم الجديد الذي تأخر قليلاً في كركوك بسبب النزاع القائم بين أمراء كردستان والذي نبينه اجمالاً بما يأتي :

بعد انكسار خسرو خان وتقدم الجيش الايراني الثاني تحت قيادة «علي خان» ، اتصل بهم احمد باشا وانحاز اليهم ورافقهم في تقدمهم مما اضطر محمد باشا الى مغادرة قلعة جوالان ولجوئه الى كويسنجق حيث اقام هناك برفقة تمر باشا .

أما احمد باشا فقد احتل مقاطعة بابان وأقام فيها ، وعاد الجيش الايراني الى بلاده بسبب حلول فصل الشتاء والثلوج ، وبانتهاء هذا الفصل خرج محمد باشا من كويسنجق بمن معه متجهاً نحو مقاطعة بابان وعسكر في مكان قريب منها .

ولما صدرت الاوامر بتعيين حسن باشا والياً على بغداد والبصرة ، اعتقد محمد باشا انه اصبح الآن قادراً على دحر احمد باشا بمساعدة الوالي المشار اليه ، وعليه فقد التمس منه ان يأذن له بذلك لازاحة احمد باشـــا من طريقه ، وان يمده بعدد من الجنود ليستعين بهم على طرد الاعجام الذين بقوا في معية أحمد باشا ، ولكن الوالي لم يوافق على هذه الخطة ونصحه بالانصراف عنها في الوقت الحاضر، إلا ان محمد باشا أصر على تنفيذ ما عزم عليه ، واتفق مع متصرف كويسنجق نمر باشا وتحركا بكل ما لديهما من قوات واتباع نحو مقاطعة بابان .

ولما علم احمد باشا بذلك استعد هو الآخر وتقابلا في مكان يسمى طاشليجة، وكانت الغلبة لأحمد باشا اذ أسر محمد باشا ونمر باشــا وقتل الاخير ، وجز رؤوس بعض اتباعهما البارزين ، وأوقع بالبـاقين قتلاً وأسراً ، ثم ارسل محمد باشا مخفوراً إلى قلعة مروجك والقى به في السجن هناك، وكتب الى حسن باشا بأن الضرورة القصوى اضطرته الى القيـام بهذه الاعمال دفاعاً عن النفس ورداً لهذا الاعتداء ، وأعلمه بأن كل ما بلغه من اتفاقه مع الاعجام لا اساس له من الصحة . وقد أجابه الوزير بما يبرر ما قام به ويستحسنه ، وعينه متصرفاً على بابان ثم على كويسنجق وحرير وخلع عليه، وبعد تصفية الحالة تحرك نحو بغداد.

وفي بغداد قام كل من الحاج سليمان بيك وابن محمد خليل بتقديم المعذرة اليه ، وطلبا العفو عمـــا بدر منهما ، فشملهما بعفوه وصفح عنهما ، وكانا مع اتباعهما في ركابه عند دخوله بغداد ، وكان ذلك يوم الثلاثاء الموافق لليوم السابع من شهر ربيع الآخر . وفي اليوم الثاني اقيمت المراسيم وتسلم السلطة باحتفال مهيب ، وعفا عن المذنبين إلا محمد بيك الذي بقي سجينـــاً في القلعة بنتظر الحكم عليه ، وبعد مرور خمسة ايام ضجر من المكوث على هذه الحالة ، لا سيما وان الوالي الجديد لم يعره أي اهتمام وتركه مهملاً في القلعة المذكورة ، ولذلك استدعى البيك المومإ اليه رئيس حراس القلعة أحمد آغا طيفور وقال له : « ان سيدك قد تقلد منصب الوزارة منـذ عدة ايام ولم يبت في امري بل تركني لا

الموت ولا الحياة ، فقل له ان يسرع بالبت في امري » ، وراح هذا ونقل كلامه حرفياً إلى الباشا فلم يهتم به ايضاً . وكان ابن محمد خليل يحضر بمن معه كل ليلة ويقف خارج البلد بانتظار محمد بيك، وفي الليلة السادسة هجم على القلعة وانقذه منها وذهب به الى مقره الذي يعسكر فيه ، وهناك أعلن تنصيبه والياً وراح يناديه بكلمة الباشا ، وأعلن كلاهما العصيان والتمرد على الحكومة وعلى الوالي الجديد بصورة خاصة ، وأخذا يهددان الامن ويتعرضان للمارة ، ولكن قسماً من أتباعهما قد هربوا هم وقائدهم خالد آغا ، وجاءوا الى بغداد وعرضوا انفسهم على الوزير ، فرحب بهم وخلع عليهم وعين خالد آغا رئيساً للحراس ، وعين اتباعه حراساً ، ونقل قسماً منهم الى الحلة . ومع هذا الاخلاص الذي أبداه خالد آغا فان الوالي لم يعتمد عليه في أمر محاربة المنشقين ، وإنما أوفد محمد بيك الشاوي إلى حاكم كردستان احمد باشا يدعوه للمجيء الى بغداد مع بعض قواته للاستعانة به في القضاء على المتمردين . غير أن هؤلاء المتمردين لم يبقوا مكتوفي الايدي بل شددوا هجماتهم على الحاميات العثمانية ، مما حمل الوالي على تعيين الكتخدا عثمان كهية باشا ليتولى قتالهم ، وكتب الى الحاج سليمان بيك الشاوي ليلتحق به مع عشائر العبيد .

ولكن محمد بيك وابن خليل علما بالأمر فاتخذا العدة لمباغتة هذه القوات والتنكيل بها ، واستعانا بقوات محلة الميدان ، وقد تم لهما ما أرادا ، وشتتا قوات الحكومة ، ولم يبق مع عثمان كهية اكثر من خمسة عشر نفراً ، وانحاز الباقون الى جانب محمد بيك ، مما اضطره الى الرجوع الى بغداد مخذولاً ، فكانت عودته على هذه الصورة مبعث اضطراب بين السكان، وقد ارسل الوالي عثمان كهية الى كردستان في اثر محمد بيك الشاوي ليحث احمد باشا على الاسراع في المجيء لانقاذ الوضع المتردي .

أما أحمد باشا فعندما وصل اليه الشاوي واخبره بالمهمة المرسل من أجلها ، امتثل الأمر وأخذ عدته للسفر ، إلا أنه خشي من مغبة ترك اخيه محمد باشا

مسجوناً في قلعة سروجك ، وراح يدبر حيلة له ، وبسبب ذلك اضطر الى التأخر عن المجيء بضعة ايام ، وخلال هذه المدة نصحه بعضهم بقتله والتخلص من شره ، ولكن عاطفة الاخوة غلبت عليه وحالت دون ذلك . وأخيراً ترك مقيداً في سجنه وسافر على رأس قوة عسكرية كبيرة . وعند اجتيازه جبل أزمير اعتراه مرض مفاجىء ، ولما وصل قره داغ اشتد عليه المرض وأعاق هناك بضعة أيام ثم توفي بأجله ، وقد تولى ارشد اخوته وهو محمود بيك حكم المقاطعات بابان وكوي وحرير خلفاً لأخيه الراحل ، وقد أقرته الحكومة على ذلك واستدعته الحضور الى بغداد مع القوات التي معه ، فأسرع في الحضور وعند اقترابه من بغداد التحق به عثمان كهية وقواته والحاج سليمان بيك الشاوي وعشائر العبيد ، فتكونت من كل هؤلاء قوة لا يستهان بها ، وقد جهزت بالأسلحة وبكل ما تحتاج اليه، وعبرت شط الدجيل واصطدمت بالقوات المنشقة في مدينة الخالص ، فكانت الغلبة لمحمود باشا ومن معه وفر المنشقون نحو مندلجين ، فتعقبوهم الى هناك واصطدموا بهم ثانية في المكان المسمى « سيدي دكرمان » وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً الى ان تشتتت جموعهم ، وقد نجا محمد بيك وابن خليل اذ فرا الى جهة مجهولة ، وتركا كل ما كان معهما من اموال وذخائر ، فكانت غنيمة للجيوش المظفرة ، ثم عادت هذه القوات الى بغداد .



ذكر وقائع سنة ثلاثة وتسعين ومائة والف

اندحار علي محمد خان المعين من قبل كريم خان حاكماً على البصرة وحروب ثامر شيخ المنتفك وانقاذ البصرة

بعدما توفي كريم خان تولى الأمر اخوه صادق خان الذي استولى على البصرة، ثم عين عليها علي محمد خان حاكماً من قبله وترك بمعيته اثني عشر الف جندي، وعاد ببقية الجنود إلى شيراز كما بينّا تفاصيل ذلك فيما تقدم .

ولقد بقي علي محمد خان في البصرة ينهي ويأمر، ويذيق اهلها انواع العذاب والظلم والاستبداد ، ثم امتد اعتداؤه الى العشائر المجاورة ، وبقي على هذه الحالة مدة سنة أنذر بعدها شيخ المنتفك الشيخ ثامر ان ينزل على طاعته ويذعن لأوامره ويلبي طلباته ، ولكن الشيخ المذكور امتنع عن ذلك وأخذته النخوة العربية ورفض الخضوع للحاكم المومـا اليه ، وأعلن عليه الثورة ، فجهز عليه حاكم البصرة قوة عسكرية كبيرة قوامها عشرة الاف جندي تولى قيادتها بنفسه، وتحرك نحو المنتفك تاركاً مكانه محمد حسين خان السبستاني مع الفي جندي للمحافظة على الامن في البصرة وضواحيها .

ولما اقترب علي محمد خان من المنتفك بعث من يخبر الشيخ ثامر بوجوب الحضور وابداء الطاعة والخضوع ونبذ التمرد والعصيان ، وإلا فانه سيفنيه وقومه ولا يترك لهم باقية ، ولكن الشيخ أبى وامتنع واتخذ موقف المدافع في بداية الامر ، ثم لما حمي الوطيس هجم الشيخ ومن معه من القبائل هجمة الليوث الضارية ، ووقع بالجند الايراني قتلاً وسحقاً وتشريداً ، وانكسر علي محمد خان وجيشه شر كسرة ، ولم ينج من الجيش الايراني اكثر من خمسة وثلاثين فارساً لاذوا بالفرار ، وكان من جملة القتلى علي محمد خان نفسه واثنان من اخوته ، وانتهبت العشائر كل ما كان معهم من ذخائر وعتـاد ومعدات

عسكرية وأموال، وحمد الله الشيخ ثامر على هذا النصر المبين الذي كان بتوفيق الله تعالى بالرغم من قلة العدد الذي قابل الاعداء .

ولما بلغ خبر انكسار الجيش الايراني مسامع حاكم ايران صادق خان ، أرغى وأزبد وجمع كل ما لديه من قوات ، وتحرك بها نحو البصرة بالاضافة الى قيامه بارسال قوة الى البصرة لتعزيز حاميتها .

ولقد بقيت البصرة مدة ثلاث سنوات تحت الحكم الايراني بعد ثبات اربعة عشر شهراً على الحصار .

وفي السنة الثالثة اي سنة ثلاثة وتسعين ومائة والف توفي زند عبد الكريم خان ، وتولى الحكم بعده ابن عمه زكي خان الذي كثرت الاضطرابات في ايران منذ توليه الحكم ، فقرر هذا حال توليه الحكم ان يتخلى عن البصرة خشية من العواقب ، وخوفاً من ان تشن الدولة العلية ضده حرباً لا قِبل له بها ، وقرر ايضاً سحب ما هناك من جيوش ايرانية للاستعانة بهـــا على ضبط النظام داخل البلاد الايرانية .

وهكذا خرجت الجيوش الايرانية من البصرة وتركتها بلا حكومة ، ولما بلغ ذلك مسامع والي بغداد اصدر امراً بتعيين نعمان افندي متسلماً لها، وسيره مستعجلاً لضبط الامور والمحافظة على النظام .

أما الايرانيون فان حاكمهم زكي خـان اصدر امراً من باب « وهب الامير ما لا يملك » باطلاق سراح متسلم البصرة السابق سليمان آغـا ومن معه ، وعينه هو متسلماً للبصرة كما لو كانت تحت امرته ، وسيّره مع عدد من الخدم معززاً مكرماً. ولكن هذا الآغا عند وصوله الى الحويزة وعلمه بتعيين نعمان افندي، توقف هناك وكتب الى الوالي يستأذنه في العودة الى وظيفته السابقة .

ولكن الشيخ ثامر شيخ عشائر المنتفك عارض في مجيئه لما بينهما من تنافر سابق ، وعلى هـــذا لم يوافق الوالي بالترخيص له في الحضور ، وبقي ينتظر في الحويزة الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً .

وفي هذه الاثناء حدث نزاع بين قبيلتي المنتفك والخزاعل، واستعدت كل منهما لحرب الآخرى، ثم وقعت الحرب بينهما وكانت نتيجتها انحدار عشائر المنتفك ودقوع الشيخ تامر قتيلاً، وتولى المشيخة بعده الشيخ نوبني الذي كانت له صحبة طيبة مع متسلم البصرة السابق سليم آغا، وبواسطته جيء به وأعيد الى وظيفته السابقة وطرد نعمان افندي .

معاودة محمد كهية وابن محمد خليل

بينا آنفاً ان محمد بيك وصاحبه ابن محمد خليل فرا هاربين في موقعة وبدي «كرمن» قرب مندلجين «مندلي»، وقد اختفى الموما اليهما في لورستان والتجآ الى رئيس قبيلة الفيلية وأقاما تحت حمايته . فلما تولى الامر زكي خان لم يتمكن من السيطرة على النظام، وتجمهر عليه جماعة من الايرانيين وقتلوه، وبذلك عادت الفوضى والاضطرابات إلى تلك الربوع، ثم تولى الامر علي مراد خان الذي كان لاجئاً في بغداد على عهد المرحوم عمر باشا، والذي كان على اتصال مع اصدقائه في بغداد بعد عودته الى ايران، ولا سيما مع محمد بيك وابن محمد خليل، وعليه فقد شملهما برعايته، فتشجعا على الظهور مرة أخرى على مسرح الثورة على الحكومة القائمة في بغداد. وبما ان هذه الحكومة وعلى رأسها الوالي حسن باشا لم تتمكن من السيطرة على النظام بسبب ضعفها، فقد التحق الكثير من السكان بالحركة التي يديرها محمد بيك وابن محمد خليل .

ولما رأى الوالي ما بلغت اليه الحالة قرر ان يخرج بنفسه لمحاربة المتمردين الذين اخذوا يصولون ويجولون في اطراف بعقوبة، وقرر ان يترك مكانه اسماعيل كهية الذي ظل قابعاً في بغداد، ولكنه قبل مغادرة بغداد لمحاربة المنشقين وقمع ثورتهم اراد ان يستعين مرة اخرى بحاكم كردستان محمود باشا، إلا انه فكر في الصعوبات والعراقيل التي تحول دون وصوله بالسرعة المتوخاة، فولى وجهه نحو عشائر العبيد واستعان بهم وسيرهم امامه، غير انهم فروا امام

الثائرين ، وظل هؤلاء يطاردونهم حتى بلغوا قرب الاعظمية ، وبذلك زادت الفوضى وتعقدت الامور ، وأخذت الحالة تتدهور يوماً بعد يوم ، وانقطعت السبل والمسالك ، وتوقفت القوافل وانقطع حبل الامن ، وضجر الاهلون داخل بغداد ، وراحوا يضرعون الى الله ان ينقذهم وينقذ البلاد من هذه الفتن ، وزادت نفرتهم من الوالي حسن باشا لضعفه وعجزه عن معالجة الامور واعادة الاوضاع الى نصابها ، ولم يروا مندوحة من عرض تفاصيل الحالة على الدولة العلية ، وبعثوا بعريضتهم أو شكواهم مع الجوخدار الذي كان موفداً من الاستانة .

وكانت النتيجة أن أسندت ولاية بغداد وشهرزور الى والي البصرة سليمان باشا .

وقد حضر قبله الى بغداد والي الموصل امين باشا آل سليمان باشا للمحافظة على الامن حتى وصول الوالي الجديد الذي نصب مكانه عبدالله بيك ابن محمد افندي وكالة واتجه نحو بغداد .

أما حسن باشا فقد هجم عليه الثائرون وكادوا يفتكون به ، لولا انه استعان بناظر الخزينة خالد آغا ثم التجأ الى القلعة . ولما خشي من عاقبة الامر خرج من باب القلعة الحديدي يوم الجمعة ، وعبر الى الجانب الثاني حيث نصبت له خيمة هناك قرب البقجة .

وبعد مرور بضعة ايام سافر نحو ديار بكر وهناك اصيب بمرض افقده الحياة ، وكانت مدة حكمه سبعة اشهر وثمانية وعشرين يوماً . وبعد سفره على الوجه المذكور اتفق الاهلون على تنصيب اسماعيل كهية مكانه وكالة ، وأعلموا الدولة العلية بذلك .

لقد سبقت الاشارة الى ان الدولة العلية قد عهدت بولايتي البصرة وبغداد الى سليمان باشا ، وقد ورد هذا الفرمان صحبة الآغا رئيس المابين في اليوم الخامس عشر من شهر شوال من تلك السنة ، وكان يوم الخميس ، وأنبط امر

المحافظة على البلد الى والي الموصل سليمان باشا آل أمين باشا لحين حضور الوزير الجديد .

أما اسماعيل كهية الذي نصب نفسه وكيلاً بالاتفـــاق مع الاهلين ، فقد عزله الوزير الجديد وأناط وظيفة الوكالة الى عبدالله بيك آل محمد افندي ، ولما لم ير اسماعيل كهية بدأً من الانزواء ثم الاذعان للأمر الواقع ، وكان من جملة الذين خرجوا لاستقبال الوزير الجديد والترحيب به ، وكان شيخ عشائر المنتفك في ركاب الوزير عند تحركه نحو بغداد .

ذكر وقائع سنة اربعة وتسعين ومائة والف

وصول الوزير الجديد سليمان باشا الى بغداد بعد هرب الثائرين

تحرك الوزير من البصرة قاصداً بغداد ، ولمـا بلغ موقعاً يسمى « العرجة » وجد اسماعيل كهية وعدداً من العساكر العثمانية في استقباله هناك ، فرحبوا به ورحب بهم ، إلا انه قبض على اسماعيل كهية ومعتمده صاري محمد آغا وصدقي اسماعيل آغـا وقره يوسف وستة آخرين ، وأرسلهم مخفورين الى البصرة عدا اسماعيل كهية الذي أعدمه هناك ، وعين سليمان آغا متسلماً للبصرة وعين احمد آغا سكرتيراً له ، وسيرهما إلى مقر وظيفتهما ، ثم واصل سفره حتى بلغ مدينة كربلاء ، وهناك أذن للشيخ ثويني شيخ عشائر المنتفق الذي كان في ركابه بالعودة الى دياره ، وبعد زيارة المرقد الشريف واصل سفره الى الحلة واستقبله هناك الحاج سليمان بيك الشاوي مع عشائر العبيد ، وساروا بصحبته حتى بلغوا مكاناً قرب بغداد يسمى المسعودي ، حيث استقبله والي الموصل سليمان باشـــا والقائمقام والعلماء ووجوه البلد والموظفون كافة عدا وكيل الكتخدا نعمان افندي الذي ذهب الى داره بدون اذن . ولمـا احتاجوه وفتشوا عنه ولم يجدوه وعلموا بانصرافه الى داره امر الوالي بعزله فوراً ، وحجر عليــه في بيته ، وعين بدله عبدالله بيك آل محمد افندي .

وسمح سليمان باشا بعودة محمد افندي بسيم الدفتردار لانتهاء مهمته في بغداد وكذلك سمح لوالي الموصل بالعودة الى مقر وظيفته ، وقرر المكوث في مكانه وعدم دخول بغداد قبل القضاء على المتمردين، وأمر جنوده ومن معه بالاستعداد لضربهم ، وعبر النهر من ناحية المنطقة ، وعسكر في باب المعظم ، وفي اليوم الثاني تحرك نحو مقر الثوار ، وقد انضم اليه عثمان بيك اكبر اولاد محمود باشا ومعه حوالي الخمسمائة مقاتل ، وأخيراً التحم بالثوار ودارت رحى الحرب بينهم وانتهت بفوزه عليهم فوزاً ساحقاً. وكان من جملة الذين قتلوا من الثوار في هذه المعركة بن محمد خليل أحمد آغا ، اما محمد كهية او محمد بيك فقد تمكن من الفرار نحو ايران ، واستولت جيوش الحكومة على كل ما كان مع الثوار من عتاد وذخائر وغير ذلك .

لقد كان مع الوزير حوالي اربعة الاف مقاتل، وكان الثوار يبلغون العشرة الاف ، ومع كثرتهم فقد تمزقوا شر ممزق . وقد أنعم الوزير على جنوده وأتباعه كل بما يناسبه من الخلع والهدايا ، وعلى رأسهم عثمان بيك آل محمود باشا وشكر له اخلاصه واقدامه وشجاعته ومنحه لقب باشا .

ثم مكث الوالي في تلك الاطراف حوالي الشهر يجوب القرى والمدن ويتفقد شؤون الاهلين وينفذ رغباتهم ، ويسعى في سبيل تأمين مصالحهم وانجاز معاملاتهم .

ولما اقترب شهر رمضان اتجه نحو بغداد فاستقبل بما يليق به . وكانت مدة سفرته من البصرة الى ان دخل بغداد ستة أشهر استطاع خلالها ان يعيد الامور الى نصابها ، ويقضي على الفتن والدسائس والفوضى التي كانت ضاربة اطنابها في البلاد .



ذكر وقائع سنة خمسة وتسعين ومائة والف

حركة سليمان باشا نحو الخزاعل ورئيسهم حمد الحمود

ان التضعضع الذي خلّفه في البلاد وباء الطاعون قد أدى إلى انحلال النظام واختلال الامور، وفتور الحكام وسيطرة المشاغبين والانتهازيين، والسير بدقة المكر يميناً وشمالاً على الشكل الذي بينّاه آنفاً، وقد فسح ذلك المجال امام المائلين الى الاجرام والتمرد أن ينتهزوها فرصة سانحة لهم فعاثوا في الارض فساداً، وأوقعوا بالسكان الآمنين ضرراً بليغاً، مما ضاعف في تردي الوضع، ولم يتمكن الذين تولوا الحكم ان يعيدوا الامور الى شيء من الهدوء والاستقرار الى ان تولى الوزير سليمان باشا الذي اظهر مقدرة فائقة وعزيمة جبارة في الضرب على أيدي العابثين والمتمردين، وتمكن بحنكته ودرايته وشجاعته من الهيمنة على الاوضاع، وفتك بالخارجين والمنشقين، وقضى على اكثرهم وشتت شمل جمعهم، وراح يتنقل من مكان الى مكان، يتفقد ويصلح ما أفسدته يد الاهمال والفوضى في معظم المدن.

وكان الوزير المشار اليه عند حركته من البصرة متجهاً نحو بغداد قد التقى بشيخ الخزاعل حمد الحمود قرب السماوة، وحثه على التزام النظـــام، ولاطفه واقره على مشيخته على عشيرة الخزاعل، وأنعم عليه، ولكن الشيخ حمد الحمود ما لبث ان أعلن عصيانه وتمرده بعد سفر الوزير، وراح يقلق الامن ويقطع الطرق، ولم تفد معه النصائح والارشادات التي كان يوجهها الوزير اليه ترغيباً وترهيباً، بل انها زادته جسارة وتمرداً، فلم ير الوزير مفراً من عزله عن المشيخة وتعيين محسن المحمدي بدلاً عنـه، ثم عزم على السفر لاخضاع الشيخ المتمرد حمد الحمود.

وهكذا جمع قوة كبيرة وزودها بما تحتاج اليه من عتاد ومهمات، وخرج

بها من بغداد ، واندفع يقطع البوادي والانهار والقفار الى ان بلغ الحسكة ، ثم اتجه نحو الديوانية وعسكر هناك لإراحة جنده ، ونصب خيامه على ضفة نهر الفرات مما يلي الشامية .

ولما علمت عشيرة الخزاعل باقتراب هذه الحملة من ديارها ، اتحدت مع السلمان ومع العشائر المجاورة ، وتعاقدوا مع حمد الحمود وانضووا تحت رايته ، وانبروا يستعدون للتحصن في قلاعهم التي تحيط بها الانهار والاهوار ، ووضعوا العراقيل في طريق الحملة لاعاقتها عن التقدم . ولأجل قهر هذه العشائر والتنكيل بها ، فكّر الوزير بأن يحوّل مجرى النهر الى جهة اخرى لكي يتمكن هو والحملة من اجتياز المواقع والاهوار والهجوم على العصاة ، ونفذ هذه الفكرة بالفعل ، وكان يشارك العمال والجنود في هذه العمليات ويحثهم ويشجعهم الى أن تمّ له ما أراد . ولما علم العصاة بما فعل الوزير وأيقنوا انهم ومواشيهم وزروعهم سيموتون عطشاً ، ندموا على ما أقدموا عليه ، وكان أكثرهم ندماً الشيخ حمد الحمود ، اذ بعث الى الوزير من يلتمس له العفو والصفح ، وأرسل صحبة هؤلاء الوسطاء اطفاله والعجزة من عياله ليلقوا بأنفسهم على اقدام الوزير . ولما كان العفو عند القدرة من شيم الكرام ، فقد اكتفى الوزير بهذا النوع من التأديب والتقريع وعفا عنه بعدما اخذ عليه المواثيق والعهود والرهائن ، ثم أعاد اليه مشيخة الخزاعل ، وبعدئذ تجول في تلك الانحاء متفقداً ومصلحاً ، وعاد إلى بغداد .

ذكر وقائع سنة ستة وتسعين ومائة والف

تمرد محمود باشا

كان متصرف كردستان محمود باشا أول من أعان الوزير وأوفد اليه ابنه عثمان باشا ليقاتل المنشقين تحت لوائه .

ولكن محمود باشا لم يحافظ على هذه المنزلة التي بلغها ، بل راح بعد ذلك يتقاعس في تنفيذ ما يؤمر به ويظهر الفتور والضجر . وكان الوالي يتسامح معه كثيراً

واجتمع به عدة مرات ناصحاً ومرشداً ، ولكنه لم يبد ذلك الاخلاص المؤمل ولا تلك الرغبة التي تجعل الوالي يطمئن اليه ، وبلغت به الحالة اخيراً ان أعلن العصيان صراحة وتمرد على الحكومة جهرة ، وعندئذ قرر الوزير التوجه نحوه لتأديبه واعادته الى صوابه ، إلا ان حركة الخزاعل سنة خمسة وتسعين ومائة والف حالت دون سفره الى كردستان، فلما فرغ من تلك الحملة ورأى ان محمود باشا ما زال مستمراً في تمرده ، لم ير بداً من السفر نحوه على وجه السرعة ، ولا سيما بعدما علم ان الباشا المومأ اليه قد تكاتب سراً مع بعض الزعماء واتفق معهم على الثورة .

وقد جمع له قوة كبيرة وسار على رأسها حتى وصل كركوك ، ولما علم محمود باشا وعثمان باشا وعثمان كهية قاموا هم ايضاً بالاستعدادات الضرورية وتوجهوا الى قرب دربند حيث نصبوا خيامهم هناك وأقاموا الحصون والسدود والقلاع ، أما الوزير فقد اراد ان يأتيهم عن طريقة غير طريقة الالتحام بهم حرباً ، وذلك بأن يكاتب بعض ابناء امراء كردستان ويستميلهم اليه ، ويمنيهم بالرتب والاوسمة ، وعلى الاخص اولئك الذين يليقون لتولي الوظائف والرتب العالية ، وفعلاً نجحت هذه الطريقة وانحاز اليه بعضهم ، فاستصحبه وسار به مع القوات التي تحت امرته نحو دربند حتى وصل الى المكان المسمى كيشة خاني ، وهنا بلغه خبر مقتل اكبر اخوان محمود باشا، وان حسن بيك ابن خالد باشا بن سليمان باشا قد انشق على محمود باشا ورفاقه والتحق بالقوات الحكومية .

وقد أصدر الوالي أمراً بتعيين حسن بيك حاكماً على مقاطعة بابان ومنحه لقب باشا ، وعزل محمود باشا ، وكذلك اصدر امراً بتعيين محمود باشا ابن تمر باشا لمقاطعات حرير وكويسنجق ، ثم سار نحو الثائرين .

أما محمود باشا فلما علم بعزله وتأكد من عدم استطاعته مقابلة هذه القوة بعد تصدع صفوفه ، ندم على ما فرط منه وأرسل وفداً الى الوالي من وجهاء كردستان وعلمائهم ومشايخهم وبيدكل واحد منهم نسخة من المصحف الشريف،

طالبين له العفو والصفح ، فأجابهم الى ما أرادوا ، إلا انه اشترط على محمود باشا إما ان يطرد عثمان كهية من تلك الديار ، أو ان يسلمه الى الوالي لينتقم منه جنته يداه ، وثانياً ان يتخلى عن كوي وحرير ، وان يدفع تعويضاً عما تكبدته الحكومة من الخسائر في هذه الحملة قدره ثلاثمائة كيس من النقود ، وثالثاً ان يسلم أعز اولاده ليبقى رهينة لدى الحكومة حتى تنفيذ هذه الشروط . وقد أرسل صحبة الوفد الحاج سليمان بيك الشاوي لجباية هذه الاموال .

وقد قبل الباشا هذه الشروط كلها وتعهد بتنفيذها ، وبأنه سيدفع بولده سليم بيك ليبقى رهينة حسب طلب الوالي ، وعندئذ عفا عنه وجعل مقاطعة بابان بعهدته تكرماً وتفضلاً وعاد الى بغداد .

محمود باشا ينقض العهد

بالرغم مما يتمتع به محمود باشا من خصال طيبة إلا ان الانسان لا يخلو من نقص مهما بلغ الكمال ، ولذا نرى هذا الباشا يتململ ويرفض تنفيذ الشروط التي قطعها على نفسه بعد عودة الوزير من تلك الديار ، ولم يكتف بهذا بل هجم على كويسنجق واحتلها عنوة وألقى بمحمود باشا آل نمر باشا الى السجن في القلعة. ولما بلغ الوزير ما فعله محمود باشا أمر الخزينة دار مصطفى آغا ورئيس المابين خالد آغا ، بالسفر على رأس قوة عسكرية إلى كويسنجق لانقاذها وانقاذ متصرفها والتعاون معه على سحق المعتدي .

وعند وصول هذه الحملة إلى كركوك وسماع محمود باشا بها ، أسرع باخراج اتباعه من كويسنجق ، وأطلق سراح محمود باشا آل نمر باشا ، وأرسل من يلتمس له الصفح والعفو على ما فرط منه ، وبالنظر للظروف السائدة حينئذ فقد حصلت الموافقة وجرى تعيين ابرهيم بيك آل احمد باشا لمتصرفية كويسنجق وحرير وجيء بمحمود باشا آل نمر باشا الى بغداد .

ذكر وقائع سنة سبعة وتسعين ومائة والف
خروج سليمان باشا مرة اخرى الى محمود باشا

بالنظر لما أظهره محمود باشا من تلوّن وتقلب في آرائه وأفعاله وتصرفاته خلال السنوات الثلاث المنصرمة، واخلاله بالشروط واضراره بالمصلحة، وانكشاف أمره بين الخاص والعام ، فقد فكر الوالي في عزله وتنصيب أحد أبناء امراء كردستان مكانه ، ولكنه لم يجد في حينه من يليق بهذا المنصب سوى ابرهيم بك ابن أحمد باشا ، وظلت هذه الفكرة تخامره الى ان قرر نهائياً السفر مرة اخرى نحو كردستان لمعاقبة محمود باشا واتخاذ الاجراءات اللازمة لمعالجة الحالة. وهكذا تحرك من بغداد حتى وصل كركوك وعسكر فيها ، ولما بلغ خبره محمود باشا بادر هو وابنه عثمان باشا بالتجمعات والتحشيدات ، وتحركا بمن معهما من قوات باتجاه دربند بازيان ، واتخذا الاستحكامات والتحصينات هناك ، وقد كتب الوزير الى ابرهيم بيك يستدعيه اليه ثم تحرك نحو دربند ، أما ابرهيم بيك فقد جمع أتباعه واخوته وحسن آغا آل شير بيك وحسين بيك ومعظم أبناء الامراء ، والتحقوا جميعهم بجيش الوزير ، وهناك أصدر الاوامر بتعيين ابرهيم بيك متصرفاً على مقاطعات بابان وكوى وحرير مع لقب باشا ، وعزل محمود باشا وجرده من كل حقوقه ورتبه ، ثم التحم بقوات محمود باشا فلم يلاق صعوبة في تشتيتها والتحاق معظمها بقوات ابرهيم باشا ، أما محمود باشا فلما رأى نفسه مخذولاً لا محالة فقد فر هارباً مع بعض أتباعه نحو ايران، وبعد جلائه عاد الوزير الى بغداد .



ذكر وقائع سنة ثمانية وتسعين ومائة والف

قتل محمود باشا

بينا آنفاً ان محمود باشا بعد انخذاله فر هارباً من دربند بازيان نحو الديار الايرانية ، فبعد هروب المومأ اليه ووصوله الى المحل المسمى بابن جوي توقف هناك، وأوفد ابنه عثمان باشا الى علي مراد خان في اصفهان ليستأذن له في الالتجاء اليه ، وبقي هو ينتظر عودة ابنه .

ولما وصل عثمان باشا الى اصفهان تلقاه علي مراد خان بكل اجلال واكرام، لانه ينوي ضم كردستان الى ايران ، وقد رحب به وخصص له ولوالده محمود باشا منذ ذلك الوقت راتباً مناسباً ، ومنحه مقاطعة صادق بولاق ، وأصدر أمراً بذلك ، واعطاه صورة عنه .

ولقد امتعض حاكم صادق بولاق من ذلك ، ولما كانت البلاد الايرانية لم تستكمل بعد وسائل استقلالها، لأن اذربايجان ما زالت خارجة على الحكم الايراني، فقد امتنع حاكم صادق بولاق من التخلي عن منصبه، واستعان برؤساء اذربايجان وطلب ان يمدوه بمساعدتهم ، وقد امدوه فعلاً وحشدوا له قوة كبيرة من مراغة وخوى وسلماس يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل وسيروها اليه .

أما محمود باشا فقد حرضه ابنه عبد الرحمن بيك على محاربة هذه القوات القادمة التي تريد ان تحول بينه وبين تسلم زمام الحكم في صادق بولاق ، وجمع حوله قوة تقدر بخمسمائة محارب اقتسماها هو وابنه ، وترأس كل واحد منها نصف هذه القوة وهجما بها على الجيش الزاحف .

اما ولده عبد الرحمن بيك فقد تمكن من دحر القوات التي تقابله ، وأما محمود باشا فقد اصابته طلقة طائشة اردته قتيلاً وسط الميدان، واستولى الاعجام على ما معه وقتلوا معظم أفراد قوته ، ولما رأى ابنه عبد الرحمن بيك ما حل

بابيه غادر المعركة واتجه نحو ساقز ، ومن هناك أرسل كتاباً الى أخيه عثمان باشا يخبره بما وقع ، فتقدم هذا من علي مراد خان راجياً منه ان يمده بقوة عسكرية يستعين بها على الانتقام لابيه القتيل، فأجابه الى طلبه وجعله سرداراً عليها وسار بها نحو ساقز ، وقد خرج لاستقباله حاكمها عباس قلي خان ، وبينما كانا يتحادثان هجم عليهما قسم من القوات الايرانية وقتلوا الحاكم، واغاروا على البلدة ونهبوها، وقالو انهم فعلوا ذلك بأمر من علي مراد خان ، فكتب خفية الى الخان المذكور يعلمه بما وقع ، وسار نحو صادق بولاق وحاصرها ، ويظهر ان علي مراد خان ندم على السماح بارسال هذه القوة تحت ادارة عثمان باشا فدس من يقوم باغتياله او القبض عليه والاتيان به أسيراً الى اصفهان . ومن غرائب الاتفاق ان هذا الرسول الموعز اليه بتنفيذ أوامر علي مراد خان ، جاء الى عبد الرحمن بيك فور وصوله وبطريقة من الطرق علم منه ما دبره الاعجام، فاخبره اخوه عثمان باشا بهذه الدسيسة وما يبيتون له من المهالك، فاستطاع ان يفر من هناك نحو بلباس واخبر جماعته بغدر الايرانيين ، وجمع منهم قوة كبيرة هجم بها على القوات الايرانية وشتت شملها ، وعاد هو وأخوه الى ديارهما .

وقد واصل عثمان باشا سفره الى رواندوز والعمادية ولكنه عاد وأقام في بلباس مدة من الزمن عاد بعدها مرة ثانية الى العمادية ، ومن هناك كتب الى الوالي يعلمه بتفاصيل ما حدث ، ويطلب العفو والصفح ، فشمله الوزير بعطفه وعفا عما سبق، وأوفد اليه مصطفى آغا يبشره بالعفو ويستدعيه الى بغداد ، ولما وصلها نال من لدن الباشا كل رعاية واكرام ، وولاه على مقاطعات قزلرباط وعلي آباد وخانقين .

عصيان محسن شيخ الشامية

أعلن هذا الشيخ الثورة والتمرد، ولاجل كبح جماحه رأى الوزير ان يجرد عليه حملة يقودها بنفسه ، وبعد اكمال الاستعدادات اللازمة غادر بغداد ، ولما

علم الشيخ المتمرد بقدوم هذه الحملة اخذ يحشد الحشود ويستعد للمقابلة والمقاتلة ، وتحصن للدفاع ، مغتراً بالكثرة الكاثرة التي التفّت حوله .

ولما اقتربت الحملة من تلك الديار أرسل الوزير من ينصحه ويرشده، علّه يقلع عن غوايته فيعود الى طريق العقل والرشاد ، وينبذ مـــا هو عليه من عصيان وتمرد .

ولكن الشيخ رفض الانصياع للنصيحة ، وعندئذ هجمت عليه القوات الحكومية ليلاً ، واحاطت به من كل الجهات ، وضيقت عليه الخنـاق ، فلم ير مفراً من الهرب ، وراح لا يلوي على شيء ، وتفرقت جموعه بدداً تاركين كل ما كان معهم من أموال وسلاح ومؤن ، فكانت غنيمة باردة بايدي الجنود .

وقامت الحملة بعدئذ بتطهير تلك المنطقة ممن يشتم منه رائحة التمرد . وبالنظر لمـــا ابداه حمد الحمود من المعـاونة والاخلاص ، فقد عين رئيساً على مشيخة الجزيرة ثم عاد الوالي من حملته المنصورة الى بغداد .

ذكر وقائع سنة تسعة وتسعين ومـائة والف
تمرد حمد الحمود شيخ الخزاعل مرة اخرى

في هذه السنة عـاد حمد الحمود شيخ الخزاعل الى الثورة على السلطة العثمانية بالرغم من تنصيبه شيخاً على الضفتين الشامية والجزيرة .

وبناء على هذا قرر الوزير ان يخرج لاخضاعه ، وسافر نحوه على رأس قوة عسكرية مجهزة بما تحتاج أحسن تجهيز ، حتى بلغ الديوانية وعبر من هناك نحو جانب الجزيرة واقترب من ديار المتمردين، ولما رأى كثرة الانهر والترع تحول دون مواصلة الزحف توقف رويداً لاخذ بعض الراحـة ولاجراء مـــا يراه ضرورياً لرفع العراقيل وازالة الحواجز والموانع من أمامه ، ثم قـام بمحاصرة الثوار وقطع السبل عنهم ، بحيث جعلهم منعزلين تماماً ، الأمر الذي أقلق بالهم

وراحوا يفتشون عن طريقة للخلاص ، واخيراً اهتدوا الى طريقة شيطانية وهي ان يفتحوا بعض المبازل والانهر ليلاً ويوجهوا المياه نحو الحملة لكي يغرقوها او يشتتوها ، وفي الوقت نفسه تهيأوا للهجوم على الحملة من نواحيَ اخرى ، وبكل قواتهم وما يملكون من سلاح ، وأحاطوا ليلاً بالحملة من الجهات التي يحتمل ان تهرب منها .

ولما علم الوزير بما دبروه من حيلة ، قام حالاً باتخاذ ما يلزم لوضع السدود بوجه المياه ، ثم قسم جيشه الى قسمين ميمنة وميسرة ، واتخذ العمل نفسه الذي قام به سنة خمسة وتسعين ومائة والف ، اذ قطع عنهم مجرى نهر الفرات وحوّله الى جهة اخرى ، ثم سبقهم بالهجوم عليهم ، ولكن الله لم يقدر لهم ان يتعذبوا هذه المرة ، ذلك لان الوزير تلقى الوسطاء والشفعاء منهم لطلب الصفح والرحمة عن المذنبين ، على ان يأتوا طائعين وينبذوا هذه الاعمال التمردية ولا يخرجوا على النظام بعدها ، ومن جهة اخرى فان الاخبار وردت على الوزير بقدوم محمد بيك (كهية) على رأس قوات ايرانية واقترابه من الحدود ، مما حمل الوزير على قبول الوساطة وأصدر عفوه عن المتمردين ثم لوى عنانه عائداً الى بغداد .

ذكر وقائع سنة مائتين والف .
ترحيل الحاج سليمان بيك الشاوي من بغداد

على أثر انتقـــال المرحوم عبدالله باشا ، ومجيء حسن باشا والي كركوك ووقوع الفتن والاضطرابات ، وبعد قيام أهالي بغداد باخراج المرحوم حسن باشا ومجيء الوزير الحالي وقيامه بتهدئة الحالة واعادة الامور الى نصابها ، كان الحاج سليمان بيك الشاوي موضع تقدير ورعاية الوزير لما يبديه من مساعيَ حميدة لتهدئة الاحوال ، الا ان الشاوي لم يتعظ بالقول المأثور : رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره ، واستولى عليه العجب بنفسه والتكبر ، والانانية ، وكان خلال هذه الفترة في السنوات الاربع الاخيرة قد شمخ وتجبر ولم يعد يأبه بوزير

ولا برجل كبير ، وكثيرا ما كان يتطاول بالكلام على الوزير ويسمعه الفاظاً غير لائقة في مجالسه بما لم يعد يطيقه او يسكت عليه ، وقد نبهه كثيراً كناية وتصريحاً ، تلميحاً أو تلويحاً ، وحاول ان يصرفه عن سوء تصرفاته وحركاته فلم يفد معه شيء من ذلك .

ولما كان ليس بالامكان أن تجعل ماء البحر عذباً فراتاً ، او ان تجعل من الحنظل ثمرة طيبة ، وانه كان يزداد غروراً وطيشاً وتكبراً ، يضاف الى هذا قيامه بمناوءة أحمد اغا المهردار ذي المنزلة الرفيعة ، وقيامه بالحط من منزلته حسداً منه وغيرة ، كأنه يجهل أن شرف المرء بالفضل والادب وليس بالاصل والنسب ، اذ قال الله تعالى في الآية الكريمة « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وان النصائح والارشادات لم تغير من نفسية هذا الرجل ، فقد قرر الوالي بناءً على هذه الاسباب ان ينفيه من بغداد حالاً للتخلص من ثرثرة لسانه ، مكتفياً باخراجه من بغداد دون ان يتخذ بحقه شيئاً من الاجراءات ، بسبب ما أحدثه من بلبلة وتفريق للصفوف ، مقدراً له خدماته السابقة . وقد سمح له بالاقامة في أي مكان يختاره ، وعندئذ اصطحب عياله وأتباعه وخرج من بغداد في طريقه الى الناحية التي اختارها ، ولكنه توقف في هور عكركوف وهناك راح يجمع عشائر العبيد والقبائل المتحالفة معها ، وحشد منهم قوة كبيرة تسترعي الانظار .

ولما علمت الحكومة بما فعله اوعزت اليه بمغادرة المكان الذي حل فيه ، ثم جلبت متصرفي بابان وحرير وكوى وابرهيم باشا وما لديهم من قوات ، وسيرتهم نحو الشاوي وعشائره لامتناعه عن الرحيل ، كما جهزت قوة عسكرية بقيادة أحمد آغا وسيرتها نحوه .

ولما علم الشاوي بهذه التحركات التي قامت بها الحكومة هرب هو ومن معه نحو تكريت ، فتبعته الجيوش ، ولما اقتربت منه ورأى نفسه عاجزاً عن مقابلتها او الصمود بوجهها ، ترك كل ما لديه من ذخائر ومعدات وفر نحو الخابور ، وقد استولى الجيش على تلك الذخائر والاموال وعاد ادراجه .

هروب اخوان الحاج سليمان الشاوي

كان قد بقي في بغداد اخوان الحاج سليمان الشاوي ولم يتابعوه ، وهم حبيب بك ومحمد بيك وعبد العزيز بيك ، ولم يشتركوا أيضاً باعمال أخيهم الموما اليه ، الا انهم لما رأوا تشدد الحكومة على أخيهم وتجريد حملات عسكرية عليه ، امتعضوا من ذلك ، ثم سعى بينهم وبين الحكومة أهل النفاق ، وخوفوهم من بطش الوالي بهم ، فاضطروا الى الالتحاق بالحاج سليمان بيك والانضواء تحت لوائه .

وبالنظر لمـــا كان الحاج احمد آغا يبديه من مقدرة فائقة وخدمات ممتازة وبراعة في قيادة القوة التي خرجت تحت قيادته نحو الشاوي ، فقد أصدر الوزير أمراً بتعيينه (كتخدا) ، وبذلك ارتفعت منزلته بين النـــاس وصار هو الامر والناهي و(مدار النظام والامور والمهام ومرجع الخاص والعام [1]) .

حدوث موجة من القحط والغلاء وخروج بعض العصابات على النظام

قضت ارادة الباري ان ترتفع في هذه السنة موجة غلاء الاسعار وندرة المؤن حتى بلغت وزنة الحنطة الثمانية قروش ووزنة الشعير خمسة قروش ، وقد أدى هذا الارتفاع الى صعوبة العيش ، وقام الوزير باغاثة الناس ، وذلك بتوزيع ما في العنابر والمخازن من غلال زائدة عن الحاجة ، وهكذا استطاع ان يزحزح عن بغداد كابوس الجوع ، ولكنه لم يتمكن من تخفيف وطأة الغلاء عن الحلة والحسكة وغيرهما .

---

١) لعل هذا الرجل هو المشهور على لسان البغداديين بقولهم : « اقنع الحاج احمد آغا » اذ جعلوه مضرب المثل في التعنت والعناد وعدم الانقياد .

وبسبب هذه الضائقة هاجر الناس نحو بغداد، فازدحمت بهم وتكونت من هؤلاء النازحين بعض العصابات للنهب والسلب والسرقة، وكانت الحالة تشتد سوءاً يوماً بعد يوم، ولم يفد شيئاً ما تقدمه الحكومة من مساعدات وغلال، وعجزت عن معالجة هذه المجاعة التي اطاحت بالكثيرين وأهلكتهم، وتسلطت على الناس العلل والامراض، وتراكمت الاشلاء في الطرق بسبب الجوع والمرض. وقد اغتنمها الاشقياء وافراد العصابات فرصة سانحة وراحوا يصولون ويجولون في ميادين الفساد، كما رفع بعض الناس علم حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني وتنادوا حوله، وبعدما تجمع خلق كثير من الغوغاء تقدموا وهجموا على سراي الحكومة منادين بالويل والثبور وعظائم الامور، وكانوا يصرخون بأن الناس يموتون جوعاً.

ولكن الحكومة لم تتخذ شيئاً لمعالجة الوضع سوى انها ردت المتظاهرين بشدة، ولما اقتربوا من السراي تصدت لهم القوات الحكومية وفتحت عليهم النار، وفرقتهم بعدما قتلت منهم عدداً وقبضت على عدد آخر وانهزم الباقون.

ومنعاً لتكرار مثل هذه المظاهرات اعدمت السلطة بعض الذين نظموها فوراً عبرة للغير، وقبضت على الشخص الذي كان يحمل علم الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولما وجدت في عقله خللاً جلدته ونفته الى البصرة.

ذكر وقائع سنة احدى ومائتين والف

عودة الحاج سليمان بيك الشاوي من الخابور وهجومه على الفلوجة

كان الشاوي قد فرّ نحو الخابور في السنة المنصرمة كما تقدم ذكره، وبقي هناك هو ومن معه، وخلال مدة اقامته تمكّن من لمّ شعثه، وجمع حوله من عشائر العبيد ومن يتبعهم من العشائر الاخرى، وتكونت لديه قوة كبيرة اتجه بها نحو «عنة»، وأقام في محل قريب منها يسمى السحول، وهناك أخذ يترصد ويعتدي على المارة حتى بلغ خبره مسامع الوالي، فقام بارسال حملة

اله بقيادة الكتخدا خالد آغا ، وقد وصلت هذه الحملة الى الفلوجة وعسكرت فيها ريثما يتم ربط الجسر للعبور عليه ، فلما علم الحاج سليمان بيك الشاوي بهذه الحملة المرسلة لقتاله ، وجه نحوها معظم قواته بقيادة ولده احمد بيك ، فتقدم هذا حتى بلغ الفلوجة ، وباغت الحملة المذكورة بهجوم مفاجيء دحرها على اثره، وقتل مع من قتل منها الكوي سنجقلي بكر باشا ، وأسر قائدها خالد آغا ، ومتصرف كويسنجق السابق محمود باشا آل نمر باشا ، وتشتت الباقون .

أما محمود باشا فقد أطلق سراحه في مكان يسمى الاخيضر ، وأما خالد آغا فقد سيره مقيداً إلى مقر والده الحاج سليمان بيك .

تقدم الحاج سليمان بيك واقترابه من الجانب الغربي

بعد مرور شهر على حادثة الفلوجة لم ير الناس إلا والاخبار تنتشر بأن الحاج سليمان بيك واخوته قد اقتربوا من بغداد ووصلوا الجانب الغربي منها ، وانهم يحاولون العبور من شريعة موسى الكاظم لاحتلال بغداد .

وفي صباح اليوم التالي عبروا إلى الضفة المقابلة واتخذوا مواقعهم بالقرب من منصور الحلاج ، وعندئذ أمر الوزير بالاستعداد للهجوم عليه ، وسيّر نحوه كل ما عنده من قوات حكومية .

ولما رأى الحاج ان لا قبل له بمقاومة هذه القوات ، جمع جموعه واخوته وفرّ نحو الدجيل ، ومنها الى مكان قرب شفاثة يسمى ابيرة ، فأرسل الوزير في اثره قوة كبيرة بقيادة احمد كهية ، واتجهت هذه القوة عن طريق المسيب نحو الابيرة وتصادمت معه ، إلا انه لم تقع خسائر من الطرفين ، ذلك لأن الحاج تمكن من الهرب ومن معه متجهاً نحو المنتفك ، وعندئذ رجع احمد كهية اذ لم ير فائدة من تتبع آثاره .

التجاء الحاج سليمان بيك الى شيخ ثويني شيخ المنتفك وتحالف شيخ الخزاعل حمد الحمود معهما

بينا آنفاً ان الحملة التي تشكلت بقيادة احمد كهية ، كانت قد واصلت سيرها حتى بلغت المكان الذي تحصن فيه الحاج سليمان وهو المسمى ابيرة ، ووقع بينهما صدام خفيف فر على أثره الحاج ومن معه نحو المنتفك والتجأ الى شيخ ثويني ، وعلى العادة العربية قبله هذا وتعهد بمساعدته والدفاع عنه ، وتكاتبوا مع شيخ الخزاعل حمد الحمود يسألونه ان ينضم اليهم فوافق على ذلك ، وعندئذ قام الشيخ ثويني بجمع العشائر التابعة له بالاضافة الى العشائر الاخرى التي تحالفت معه ، وصار لديه من هذه الجموع قوة كبيرة لا يستهان بها ، واتجه بهذه القوات نحو البصرة ، واستولى عليها اخوه وأسر متسلمها ابرهيم افندي ، حيث القاه في سفينة أبحرت به نحو مسقط .

ولما بلغ الوزير ما فعله الشيخ ثويني حشد مـا لديه من قوات عسكرية وزودها بما تحتاج من عتاد ثم سيرها نحوه ، وأردفها بالقوات التي تحت ادارة متصرف بابان وكوي وحرير ابرهيم باشا ، وكذلك متصرف درنه وباجلان عبد الفتاح باشا .

عزل ابرهيم باشا وعبد الفتاح باشا وتعيين عثمان باشا وعبد القادر باشا بدلها

كانت الاوامر قد صدرت الى كل من ابرهيم باشا وعبد الفتاح باشا بوجوب الاشتراك في الحملة مع مـا لديهما من القوات الكردية للقضاء على حركة شيخ المنتفك ، إلا انهما تلكآ وتوانيا في تلبية هذه الاوامر بدعوى وعورة الطريق وصعوبة جمع القوات واعدادها للسفر بهذه السرعة مما أدى الى استياء الوزير ،

نامر بعزلهما وعين بدلهما عثمان باشا آل محمود باشا وعبد القادر باشا ابن عم عبد الفتاح باشا .

ولما قدم عثمان باشا الى بغداد أوعز اليه بالمكوث فيها ، وارسل اخاه عبد الرحمن بيك الى كردستان لجمع القوات الباقية والمجيء بها ، فامتثل وراح يسعى لتلبية الطلب .

عودة عبد الرحمن بيك مع القوات التي جمعها من كردستان

حال وصول عبد الرحمن بيك الى كردستان بذل قصارى مجهوده في جمع القوة المطلوبة في اقصر مدة وجاء بها الى بغداد حيث التحقت بالقوات التي تحت ادارة عثمان باشا ، وبعد اكمال الاستعدادات قاد الوزير هذه الحملة واتجه بها نحو المنتفك ، ولما اقترب من الخزاعل في طريقه رأى ان يبدأ بهم أولاً ، وأحاط بهم ثم هجم عليهم وشتت شملهم ، وفر حمد الحمود بعدما ضاقت عليه الارض بما رحبت ، واستولت الحملة على ما تركوه من عتاد وسلاح وأموال .

ذكر وقائع سنة اثنتين ومائتين والف
الحرب مع عشائر المنتفك

بعد تشتيت جموع الخزاعل ودحرها اتجهت الحملة نحو المنتفك حتى بلغت منزل ام العباس فعسكرت فيها واستعدت للهجوم ، ولما بلغ شيخ المنتفك والحاج سليمان بيك واعوانهما خبر قدوم هذه الحملة ، تهيأوا لمقابلتها بحشد يبلغ العشرين الف مقاتل ما بين فارس وراجل ، وتجمعوا في مكان يسمى نهر عمر ومكثوا هناك ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع اي بداية سنة اثنتين ومائتين والف الموافق لغرة شهر محرم الحرام ، تقدم قسم من هذه القوات وهجم على الحملة ، والتحم الجمعان في ام الحنطة ودارت بينهما معركة عنيفة ، ومادت الارض من تحتهما ، ثم أسفرت المعركة عن تغلب الجيش العثماني واندحار اعدائه ، واستولت الحملة

على ذخائرهم ومعداتهم واصدر الوالي امره باناطة مشيخة المنتفك بالشيخ حمود الثامر ، ومشيخة الخزاعل بالشيخ محسن الحمد ، وعين الخزنةدار مصطفى آغا متسلماً للبصرة ، وأمر رئيس الاغوات اسماعيل اغا تكيهلي ان يصطحب القوات الموجودة لديه ويقيم معها في البصرة ، ثم لوى عنانه وعاد الى بغداد منصوراً ، وكانت حركته من بغداد في اليوم الثاني عشر من جمادي الاولى سنة احدى ومائتين والف ، وعاد في اليوم الثامن من شهر ربيع الاول سنة اثنتين ومائتين والف .

ذكر وقائع سنة ثلاثة ومائتين والف

العفو عن الحاج سليمان بيك الشاوي وعزل عثمان باشا وتعيين ابرهيم باشا بدله وعصيان متسلم البصرة مصطفى آغا

يظهر من السجلات العائدة للسنة المنصرمة ، ان معركة المنتفك مع ثويني والحاج سليمان بيك الشاوي وحمد الحمود شيخ الخزاعل قد انتهت بخذلان هؤلاء وتشتيت جموعهم وفرارهم بوجه القوات الحكومية الى جهات مختلفة ، وان الحاج سليمان الشاوي بعد مرور مدة على هذه الواقعة اظهر ندمه على ما فرط منه والتمس الصفح متشفعاً باخلاصه وخدماته القديمة للدولة العلية ، فكان له ما اراد على ان لا يدخل بغداد وان لا يعود الى اعماله وتصرفاته السابقة ، ومع ان الحكومة قد أعادت اليه املاكه إلا انها امرته بالاقامة في قرهاورمان .

وفي هذه الاثناء أعلن مصطفى آغا متسلم البصرة العصيان والتمرد والانفصال عن الحكومة المركزية ، متخذاً مما وقع بينه وبين احمد كهية من تنافر ومناوشات ذريعة لهذا التمرد ، ومنتهزاً فرصة انشغال الوزير في حروب مع عشائر المنتفك والخزاعل .

وقد استعان مصطفى آغا بصديقه عثمان باشا لما بينهما من إلفة وصداقة وحقوق قديمة ، اذ كان يزوده بالمعلومات والتوجيهات بصورة سرية .

وقد سيطر مصطفى آغا على القوة التي اوعز اليها بالبقاء في البصرة بقيادة الباشي آغا ، ثم تكاتب مع شيخ عشائر المنتفك ثويني وشيخ حمود الثامر واستطاع ان يلحقهما بأتباعه ، إلا ان حمود الثامر لم يلبث ان عارضه وعاد الى بغداد .

اما الوزير فانه لما تلقى هذه الاخبار رأى ان هذه الظروف ليست مساعدة لضرب متسلم البصرة ، ولذلك ترك حبله على غاربه ، وبالوقت نفسه ارسل هدية الى الشيخ ثويني وتظاهر بأنه لا يعرف شيئاً مما وقع . كما اصدر أمراً يقضي بوجوب عودة الباشي آغا ومن معه من عساكر الى بغداد في الوقت الذي كان قد عينه متسلم البصرة وكيلاً له في زنكباد .

وقد استمر مصطفى آغا على مراسلة عثمان باشا خفية ، وكذلك شرع بمراسلة صديقه الباشي آغا السابق التكيه‌لي اسماعيل آغا ، وقام بتصرفات كشفت نواياه السيئة كقيامه بقتل القبودان (مدير الميناء) حجازي زاده مصطفى آغا وعين مكانه محمد بيك الشاوي .

وعلى هذا صمم الوزير ان يتحرك على رأس قوة نحو البصرة لمقاومة الخارجين على السلطة .

ولما لم يكن الوزير على علم بالاتفاق الذي تم بين عثمان باشا ومتسلم البصرة فقد أصدر اليه أمراً بلزوم الاستعداد هو واتباعه للسفر بصحبته الى البصرة .

ثم وقعت بيده مراسلات بين عثمان باشا والحاج سليمان بيك ومعتمد احمد كهية سليمان اغا واتفاق وجهة نظرهم فيما يتعلق بميلهم نحو متسلم البصرة ، واطلع على ما يبيتونه ، ولكنه تجاهل تلك الامور ، وتريث في الاستعداد للسفر ، واوفد عبدالله بيك وهو أخو أحمد كهية الى عثمان باشا يدعوه برفق للحضور فحضر الى بغداد وكان الفصل شتاءً ، وقد استقبله الوزير بكل حفاوة واكرام ، وبعد مكوثه عدة أيام ولزيادة الاطمئنان أقام حفلة تزويج اخته من عبدالله بيك ، وبذلك ربط بينه وبين احمد كهية بصلة القرابة ، وبعد انتهاء الحفلة سمح له

بالعودة الى كردستان على ان يستعد ويسرع بجمع قواته والحضور بها الى بغداد في فصل الربيع .

وفي اليوم الحادي عشر من شهر جمادي الاولى من السنة المذكورة خرج الوزير على رأس قوة كبيرة متجهاً نحو البصرة .

أما مصطفى آغا فقد التف حوله شيخ ثويني وعشائره، واستعد لمقابلة قوات الحكومة الزاحفة نحوه ، ولما وصلت الحملة الى المحل المسمى بالعرجة تزعزعت عزيمة الآغا وانتابه الخور وزالت ثقته بنفسه ، ورأى الهزيمة والنجاة اولى من المقابلة والثبات ، وهكذا فر هو الى جهة البحر وفر رفيقه الشيخ ثويني الى الصحراء ، وتمزقت جموعها ، ودخل الوزير بقواته إلى البصرة فاستقبل استقبالاً حافلاً وجدد مشيخة المنتفك للشيخ حمود الثامر ، وأصدر أمراً بتعيين عيسى بك الماردبني متسلماً للبصرة ، وبعد تفقده لتلك الجهات والنواحي وتنظيم شؤونها واعادة الامور الى مجاريها قفل راجعاً الى بغداد .

وعند وصوله الى المسعودي عبر من هناك نحو الباب الشرقي من بغداد ، وأمر بالقاء القبض على عثمان باشا والقاه في السجن، وعين ابرهيم باشا بدلاً عنه لمتصرفية بابان ، وعين أيضاً محمود باشا آل نمر باشا متصرفاً على كوي وحرير ، أما أتباع عثمان باشا فلما بلغهم ما حل برئيسهم فر قسم منهم الى كردستان، وخضع القسم الباقي للامر الواقع .



وفاة عثمان باشا

سبق ان بينا ان الوزير قد أصدر أوامره بحبس عثمان باشا وعزله، ثم قدمت له النسخ الخطية لمراسلاته ليعلم ان حبسه وعزله لم يكن دون سبب ، فلما رآها لم يتمالك اعصابه من الانهيار، وعلى أثرها سقط مريضاً ولما اشتد عليه المرض نقل رأفة به من السجن الى دار الحاج محمد سعيد بيك الكائنة قرب كهية سراي ، واهتموا بمعالجته من قبل اطباء اخصائيين، الا ان مرضه كان يشتد عليه يوماً بعد يوم، واخيراً قضى نحبه واودع مرقده الأخير في الاعظمية بكل حفاوة واكرام وسار تحت نعشه معظم الوجوه والاعيان .

خبر انتقال السلطان عبد الحميد خان الى دار البقاء وتتويج السلطان سليم خان

نقلت الافواه نبأ انتقال السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان الى دار البقاء باجله المحتوم ، فكان لهذا الخبر رنة اسى واسف في جميع البلاد العثمانية ثم أعقبت ذلك موجة من الافراح بجلوس السلطان سليم خان ابن السلطان مصطفى خان وصدرت الأوامر للقيام باتخاذ التزيينات واقامة الولائم والاحتفالات في كل مكان على ما هو جار في مثل هذه المناسبات .

وفاة محمود باشا متصرف كوي وحرير

اصيب محمود باشا آل غر باشا بمرض لم يتمكن الاطباء من شفائه وانقاذه منه، وتوفى باجله الموعود ، وبذلك الحقت متصرفية كوى وحرير بعهدة ابرهيم باشا متصرف بابان .

ذكر وقائع سنة اربعة ومائة والف

توجه الوزير نحو مندلجين وعزل ابرهيم باشا وتوجيه مقاطعات بابان وكوى وحرير الى عبد الرحمن بيك

سبق ان بينّا ان الوزير بعد عودته من البصرة عزل عثمان باشا وحبسه وعين بدله ابرهيم باشا ، وعند ذهاب هذا الاخير لاستلام وظيفته الجديدة وجد أخاه عثمان باشا قد جمع اتباعه ومن التحق به من القوات التي كانت تحت قيادة أخيه وارتحل عن طريق «سنه» قاصداً كرمنشاه، وذلك على أثر ما بلغه ما حل في، وأقام في مكان يسمى سنقر . ومن هناك ارسل الى الوالي كتاباً يطلب فيه اعفاءه من الخدمة ، ويعلمه بأنه عزم على الهجرة الى الديار الايرانية والاقامة فيها ، ولقد تلقى الوزير هذا الكتاب عندما كان في ضواحي مندلجين لقضاء فترة من الراحة هناك بمناسبة هدوء الاحوال في البلاد . ومع ان الوزير لم يمانع في تخلي ابرهيم باشا عن المسؤولية الا انه لم يوافق على تركه البلاد ، لأن التجاء أحد حكام كردستان الى ايران قد يؤدي الى اثارة الفتن والقلاقل ، ولذلك كتب اليه يدعوه الى العودة وله الامان ، وأرسل الكتاب بيد شخص وجيه، فلما استلم الكتاب امتثل للأمر ، وبعد مرور بضعة أيام عاد بمن معه الى الوطن ثم قام فور عودته بترتيب اسكان أتباعه في بعض المقاطعات وتأمين امورهم المعاشية ، وتوجه مع بضعة أفراد من أتباعه نحو بغداد ، وقد استقبل من قبل الوزير بكل حفاوة وتجلة واكرام ، وبالنظر لقرابته مع أحمد كهية فقد قام هذا بالتوسط له لدى الوزير ، وصدر الامر بتعيينه متصرفاً على مقاطعات بابان وكوى وحرير مع لقب باشا ، وعزل ابرهيم باشا الذي استغرب ذلك كثيراً لانه لم تصدر منه أية مخالفة ولم يرتكب عملاً يستوجب عزله ، وبينما كان يدبر اموره لمعالجة هذه المصيبة سمع بمقدم عبد الرحمن باشا ، وعندها أسرع بارسال عياله صحبة احد اخوانه وهو عبد العزيز بيك مع مقدار من القوات التابعة له

وسيوم نحو قره داغ . وفي مكان يسمى كلهزر تصادم مع سليم بيك وسقطت بعبد العزيز بيك فرسه أثناء المقابلة فجرح وقبض عليه وفر أتباعه .

ولما رأى ابرهيم باشا عدم امكان مراصلة السفر عن هذا الطريق اتجه نحو «سنه» ومن هناك الى كرمنشاه، واقام في مكان يسمى برنه ، اما عبد الرحمن باشا فقد قبض على عبد العزيز بيك وسفّره الى بغداد برغم جروحه وامراضه . ولم يكن سفر ابرهيم باشا ومغادرته البلاد مما يبعث على الارتياح ، ولذلك استاء الوزير كثيراً ولم يعن باخيه الجريح عند مجيئه الى بغداد .

ذكر وقائع سنة خمسة ومائتين والف

عودة ابرهيم باشا والعفو عن الشيخ ثويني

قدمنا انفاً ان ابرهيم باشا بعد عزله ارتحل الى الديار الايرانية، وان أخاه أرسل الى بغداد ، ولقد استاء اخوه عبد العزيز بيك الجريح من هذا العمل ، غير ان الوزير رق قلبه ومال اليه وشمله أخيراً برعايته، والتمس منه ان يكتب الى ابرهيم باشا بأن يتقدم بطلب الى الوالي يرجوه العفو والصفح عن هذه الزلة ، فكان له ما اراد، وأوفد اليه الشيخ محمد بيك الشاوي ليسترضيه ويعود به الى الوطن ، وعند عودته أنعم عليه الوزير واكرمه ورحب به واسكنه بقربه في بغداد ، كما أسكن تابعيه في كركوك وضواحيها، واغدق عليه وعليهم، واقطعه قزلرباط وقولاي وخانقين وعلي اباد وقرى بشير وتازه خورماتو ليعتاش هو واتباعه من خيراتها .

وبعد حين اصدر الوزير عفوه عن الشيخ ثويني شيخ عشائر المنتفك وشمله بعطفه ، وسمح له بالعودة إلى الديار آمناً مطمئناً .

١٣

ارسال احمد كهية الى سليمان الشاوي ومحمد كهية

سبقت الاشارة الى فرار الحاج سليمان بيك الشاوي بعد تشتيت جموعه، ثم العفو عنه وردّ ممتلكاته اليه واقامته في قره اورمان .

وقد بقي ردحاً من الزمن هناك هادئاً ساكناً لم يصدر منه ما يريب ، وفي احد الأيام وعلى حين غرة قدم عليه الكتخدا السابق محمد كهية واقام معه ، وتناقلت الالسن اخبار عودته حتى بلغت مسامع الوزير ، فكتب الى الشاوي طالباً منه ان يلقي القبض على محمد كهية ويرسله مخفوراً الى بغداد ، إلا انه ماطل في تنفيذ هذا الامر مما حمل الوزير على ان يرسل اليه حملة عسكرية بقيادة احمد كهية ، وسيرها الى هناك بعدما زوده بالتعليمات القاضية بوجوب التنكيل بالحاج سليمان الشاوي وصاحبه اذا ما بدرت منهما بوادر المقاومة والممانعة .

ولما بلغت هذه الاخبار مسامع الشاوي ، ولعلمه بعجزه عن الدفاع او المقاومة فقد فر هو ورفيقه الى جهة مجهولة ، فتعقبهما احمد كهية بالرغم من شدة الحر ووعورة الطريق ، حتى اقترب منهما في مكان يسمى عين القير ، واحاطت بهما قواته من كل جانب ، الا ان الحاج سليمان تمكن من الافلات باعجوبة تاركاً خلفه عياله وامواله وما يقرب من الاربعين الف رأس من الغنم، فكانت غنيمة للحملة عدا الاطفال والعيال اذ لم يتعرض لهم أحد .

سفر سليمان باشا الى حمدون لتاديب ملّو تيمور بامر من البادشاه

كان قد جرى أسكان عشائر الملوّس ورئيسهم الملو تيمور في المقاطعات التابعة للرقة ، الا ان رئيسها ما لبث ان شق عصا الطاعة ، وراح بقطع الطرق وينهب القوافل حتى ضج الناس منه ووصلت الشكاوى الى الجهات العليا في الاستانة ، وصدرت الاوامر الى والي الرقة ووالي ديار بكر باتخاذ ما يلزم

لاخضاع هذه العشيرة ورئيسها وايقافه عند حده ، غير انهم لم يتمكنوا عليه ولم يظفروا منه بطائل. ولما بلغت اعماله حداً لم يعد بالامكان التساهل معه أصدرت الدولة العلية أمرها الى والي الزوراء سليمان باشا للقضاء عليه باية صورة كانت .

فقام الباشا باتخاذ التدابير الفورية وحشد قوة كبيرة جهزها بكل ما تحتاجه من سلاح وعتاد ولوازم ، وسافر على رأسها يحث الخطى حتى بلغ نصيبين ، ثم واصل سفره الى صحراء فوج حصار، وهناك علم ان الثائر قد حشد ما يقارب من الخمسة عشر الف مقاتل، واستعد للحرب والمقاومة، الا انه لما علم باقتراب الجيش تحت قيادة سليمان باشا ارتاع منه وأكثر من تحصيناته ، ولكن أتباعه أخذوا ينسلون هرباً وخشية على ارواحهم .

ولما وصل الوزير الى حمدون التي تبعد عن الرها حوالي الاثنتي‌عشرة ساعة اصطدم بقوات الملو تيمور ، وراح يذيقها من الموت الوناً ، وفي كل هجوم يكبدها خسائر فادحة ويعود ببعض المغانم ، ودامت الحرب أربعين يوماً تمكن خلالها من دحر العصاة وتشتيت جموعهم وملاحقتهم من مكان الى مكان. وبالنظر لعفونة المنطقة وثقل الهواء ومرض بعض الجنود ووفــاة البعض الآخر ، نقل الوزير معسكره الى سويركة القريبة من تحصينـات المتمردين ، وخصص قوة بقيادة لطف‌الله أفندي رئيس‌الديوان لمناوشة المتمردين واستمرار الاغارة عليهم.



ذكر وقائع سنة ستة ومـائتين والف
تتمـة اعمـال حملة حمدون

تحصن الملو تيمور وأتباعه قرب وحوالي بوجاق ودامت المنـاوشات مع بدون انقطاع، ولما ضاق ذرعاً قرر الالتجاء الى الجبال هو واتباعه واعتصم بها، فاقتص أثرهم لطف الله أفندي الذي حاز ثقة الوزير ببطولته واعماله، فاولاه هذه المهمة العسكرية ، وبالرغم من كونه من أرباب القـلم فقد استبسل وظهرت مواهبه في ادارة دفة الحرب، ولقد قـام بالتحرك نحو حصون الاعداء المنيعة واحـاط بهـا وشن عليها هجوماً عنيفاً دك به تلك الحصون والقلاع ، وشرد العصـاة ، واستولى على مغانم كثيرة لا يحصيها عد ، واسر شيوخهم وسبى نساءهم واطفالهم ، وعـاد بكل ذلك الى المعسكر ، وهناك ادركت الوزير الرحمة بهؤلاء الشيوخ والاطفال والنساء فاطلقهم واعـادهم الى ديارهم ، ثم طهّر تلك الانحاء من المتمردين والعصاة، ولم يعثر على أثر للملو تيمور .

وقد نصب مكانه ابرهيم محمود على تلك المنطقة ثم تحرك نحو مـاردين حيث اقام مدة بقربها في مكان يسمى حضرم تمكن خلالها من القاء القبض على حسن آغا وحسن آغا اللذين كانا على وفـاق مع الملو تيمور ، وأرسلهما مخفورين الى ماردين حيث اعدما هناك ، ثم انصرف نحو المتمردين من طائفة اليزيدية فقبض عليهم واتى بهم الى المعسكر حيث اعدمهم وحز رؤوسهم وارسلها الى الاستانة، وبعد ذلك لوى عنانه عائداً الى بغداد فوصلهـا في اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ستة ومائتين والف .

ذكر وقائع سنة سبعة ومـائتين والف
تمرد سليمان بيك الشاوي وتوجيه احمد كهية لمقاتلته

تدل حوادث سنة خمسة ومائتين والف على ان الحملة التي بقيادة احمد كهية

قد شتتت شمل سليمان بيك الشاوي واضطرته الى الفرار ، ثم اتضح ان محمد كهية كان قد فر نحو مصر حيث ادركته المنية. أما الحاج سليمان بيك الشاوي فقد ولى وجهه نحو الخابور وراح يحشد الحشود مرة اخرى حتى جمع عدداً كبيراً من الرجال والاتباع واندفع يصول بهم ويجول .

وقد صدرت الاوامر الى أحمد كهية بالتوجه اليه والقضاء على فتنته، فسافر حتى بلغ الكبيسة، ولكن الحاج سليمان علم بقدوم هذه الحملة وفر هارباً لا يلوي على شيء ، وعندئذ لم ير أحمد كهية فائدة من تعقبه ، فتركه وعاد الى بغداد وكانت عودته في اليوم الحادي عشر من شهر رجب .

ذكر وقائع سنة ثمانية ومائتين والف

سفر احمد كهية نحو الشيخ محسن المحمد شيخ الخزاعل

لما كان الشيخ محسن المحمد شيخ الخزاعل قد أخذ في الايام الاخيرة يماطل ويسوف في دفع ما عليه من رسوم وضرائب ، وظهور بوادر تدل على تمرده وعدم اطاعة أوامر الحكومة ، فقد تقرر ارسال حملة لمقاتلته بقيادة أحمد كهية .

وفي الحادي عشر من شهر ربيع الاول من هذه السنة تحرك من بغداد حتى وصل إلى مكان قريب من منازل الشيخ محسن ، ولما سمع هذا به ووجد نفسه غير قادر على المقاومة أوفد جمعاً من جوه القبيلة لعرض الطاعة ، متعهداً بأن يدفع كل ما عليه من ضرائب ورسوم، فتقبل منه ذلك وعفا عنه ، وبعد ان استوفى منه الضرائب والرسوم الاميرية لمدة سنة مع كفالة بدفع الرسوم في المستقبل دون مماطلة ، عاد إلى بغداد ، وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر جمادي الآخرة وكانت مدة السفرة ثلاثة اشهر .

ولكن الاوامر ما لبثت ان صدرت بعزل الشيخ محسن المحمد وتعيين حمد الحمود شيخاً على الخزاعل مكانه .

ذكر وقائع سنة تسعة ومائتين والف

قتل الحاج سليمان بيك الشاوي

كان الحاج سليمان قد فر نحو الخابور للمرة الاخيرة ، وكان كلما التف حوله جمع من العشائر ارهقهم بمطاليبه وترأس عليهم وعاملهم معاملة الخدم .

وفي هذه المرة التجأ الى عشيرة العبيد القاطنة في تلك الديار ، وعقد اواصر الصداقة مع رئيس العشيرة المدعو علي الحمد .

ولما كانت العادات قاهرات ، فقد تنافر مع الرئيس المذكور ولم يرع له حرمة لضيافته اياه ، ثم تطور التنافر الى شجار بين الاثنين ادى الى قيام يوسف الحربي احد ابناء عمومة علي الحمد بالهجوم عليه هو وابنائه وقتلوه على ما نقلته الاخبار .

مجيء ملو تيمور الى بغداد

كان هذا الشيخ قد تشتت جمعه كما ذكرنا قبلاً ، وراح يتنقل من مكان الى مكان حتى ضاقت به الدنيا ، وفكر في العودة نادماً ومتضرعاً الى الجهات المختصة للعفو عنه ، ونفذ هذه الفكرة بمراسلة حاكم ماردين صاري محمد آغا ليتوسط له لدى الوزير ، فتم له ما اراد ، وورد بحقه عفو الهمايون البادشاهي ، وحضر الى بغداد لعرض الطاعة على الوزير وتقديم شكره له ، فشمله برعايته وكرمه .

سفر الوزير الى الفلوجة

بالنظر لهدوء الاحوال وجريان الامور وفق المطلوب ، فقد رأى الوزير أن يخفف عنه بعض المتاعب وذلك بالتمتع بهواء الفلوجة ، وسافر نحوها مستصحباً معه آلات الصيد ومعداته ، وبعد مكوثه عدة ايام في تلك الجهات

سافر من هناك الى كربلاء لزيارة ضريح سيد الشهداء ، ثم عاد الى بغداد في اليوم العشرين من شهر جمادي الآخرة .

ذكر وقائع سنة عشرة ومائتين والف

سفر احمد كهية نحو الحسكة

أخذ شيخ الخزاعل الجديد حمد الحمود يماطل في دفع الرسوم الاميرية ، فأصدر الوزير أمره الى احمد كهية بوجوب السفر الى تلك الجهات لجباية ديون الحكومة وما استحق لها من ضرائب ورسوم . وسافر في اليوم العاشر من شهر ربيع الثاني وواصل سفره حتى وصل الحسكة ، وظل يتنقل في تلك الانحاء مدة شهرين ، وبعد اتمام المهمة التي جاء من أجلها عاد الى بغداد ، وكان ذلك في اليوم الخامس عشر من شهر رجب .

سفر الوزير لزيارة سامراء

انتهز الوزير فرصة حلول موسم الزيارات واعتدال الهواء وقرر السفر نحو سامراء ، وتحرك من بغداد في اليوم الحادي والعشرين من شهر شوال ، وظل يتنقل في تلك المناطق للاصطياف وتمضية الوقت ، ثم عاد الى بغداد .

قتل أحمد كهية من قبل الخزنيةدار علي آغا

بالرغم مما كان يتمتع به احمد كهية باشا من الصفات الطيبة والشهرة الواسعة والخدمات الجلى التي سجلت له في الجريدة الرسمية، فقد كانت له جوانب اخرى على نقيض هذه أدت الى قتله .

وكانت اسباب قتله تتلخص في ثلاثة امور : الامر الاول شموخه على غيره وتكبره واعجابه بنفسه، والتفاف السفلة من حوله مما أدى الى قالة السوء .

الامر الثاني : الخوض في مجلسه باغتيــــاب الآخرين ، وثلبهم والاستخفاف

بالوجوه والاعيان وهتك الحرمات ، الى درجة أدت الى تذمر الناس منه ومن اصحابه ، وانصراف ذوي المنزلة الاجتماعية عن لقائه او الاتصال به .

الامر الثالث : وهو يتولد عن الامرين السالفين ، اضمار العداوة له والحط من منزلته امـام المسؤولين والوزير على رأسهم ، وقد تألم منه الوزير بصورة خاصة حين رآه لا يمتثل للأوامر التي يصدرها اليه ، ولا يعيرها مـا تستحق من الاهتمام ، فأضمر له السوء وراح يفكر في تأديبه .

ومن جهة أخرى أخذ أحمد كهية يسرف ويبذل المبالغ الطائلة على اصحابه والملتفين حوله ، في الوقت الذي انقص رواتب الاغوات من ثلاثة الاف قرش الى خمسمائة قرش ، ومع كل ذلك فـان الوزير كان يغض النظر عن هذه التصرفات ، الى ان بلغ الحقد والغضب أشده بالخزينه دار علي آغا ، فاتفق مع بعض الاغوات الآخرين وقتله باذن من الوزير وبايعاز منه ، ولقد كافأه الوزير على انجاز هذه المهمة بتعيينه (كتخدا) وداماد .

ذكر وقائع سنة احدى عشرة ومائتين والف

اسناد مشيخة المنتفك الى الشيخ ثويني

كان الشيخ ثويني قد عزل عن المشيخة وأمر بالاقامة في بغداد ، ومع انه كان خلال مدة اقامته موضع الرعاية والعناية والاكرام ، إلا انه كان كثير الحنين الى دياره ، وأخيراً كسب عطف الوزير فعزل حمود الثامر ، واسند مشيخة المنتفك اليه ، وأعاده معززاً مكرماً .

ورود فرمان بترقية علي آغا الى ميرميران

كان علي آغا قد أسندت اليه وظيفة كتخدا ثم داماد ، واخيراً ورد فرمان من الدولة العلية بترقيته الى منصب ميرميران ، وذلك بناء على اقتراح الوزير وتوصيته ، وكان ورود الفرمان في اليوم الحادي عشر من شهر جمادي الآخرة من السنة المذكورة .



المئذنة الملوية بجامع الخليفة في سامراء

سفر علي باشا الكتخدا الى عفك لمحاربة الثوار

تمرد بعض العشائر من سكان عفك وما جاورها وأعلنوا الثورة ، وراحوا يزعجون الحكومة بأعمالهم واعتداءاتهم ، واتخذوا لهم مواقع في محل يسمى ابو حمار ، فأمر الوالي بتجريد حملة عليهم ، وسيرها بقيادة الكتخدا علي باشا ، فهجم عليهم وشتت جموعهم ، وغنم منهم اموالاً كثيرة منها اثنا عشر الف رأس من الغنم والفا رأس من البقر ، وعاد بعد ذلك الى بغداد ، وكان من الذين قتلوا في هذه المعركة نقشلي زاده عبد الفتاح غاكر كوكي .

ذكر وقائع سنة اثنتين ومائتين والف

وفاة اغا محمد خان حاكم ايران وتولي الحكم من قبل فتح علي خان

تولى الحكم في ايران بعد علي مراد خان اغا محمد خان، وبالنظر لسوء ادارته جلب على نفسه كره الايرانيين وتذمرهم منه ، مما أدى بهم إلى ان يحرضوا عليه بعض المقربين من خدمه ، فهجموا عليه ليلاً وقتلوه، ثم نصبوا مكانه أحد أبناء أخوته وهو المدعو فتح علي خان ، ولقد استقينا هذا الخبر من كتاب ورد بهذا الخصوص إلى حاكم «سينه» حسن علي خان .

ثورة حمد الحمود شيخ الخزاعل وخروج علي باشا لمقاتلته

وبالنظر لعودة هذا الشيخ إلى الثورة على الحكومة ، فقد سير الوزير حملة عسكرية بقيادة علي باشا ضده ، وتحرك هذا من بغداد في اليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الاول ، ولما وصل إلى الديوانية وعلم به الشيخ المذكور التجأ إلى مكان يسمى العادليات وتحصن بين الاهوار ، ولكي يبعد عنه الحملة العسكرية أرسل بعض النسوة يلتمسن له العفو ، إلا ان قائد الحملة لم يلتفت اليهن وراح يضيق عليه الحصار ، ثم هجم عليه من كل جانب ، ووقع بجماعته

ضرباً وقتلاً وشتتهم ، وكان الشيخ حمد الحمود على رأس الفارين . واستولت الحملة على غنائم كثيرة وأتلفت مزارعه ، ثم عادت الى مواقعها . وقد أحضر علي باشا شيخ الجزيرة سبتي المحسن وشيخ الشامية محسن الغانم ، وبعدما استوفى منهما ما بذمتهما من ديوان الخزينة نصب سبتي شيخاً على الخزاعل المقيمين في الجزيرة ومحسناً على المقيمين في الشامية ، ثم عاد الى بغداد، وكان ذلك في اليوم السادس والعشرين من شهر جمادي الآخرة ، وكنت (أي المؤلف) من ضمن أفراد هذه الحملة وقد نظمت قصيدة في مدحه وحصلت منه على جائزة لائقة .

عزل عبد الرحمن باشا ونصب ابرهيم باشا

لقد طال اعتزال ابرهيم باشا وانزواؤه وابتعاده عن الشؤون السياسية وعن الحكم ، فكان ذلك مدعاة للنظر في أمره بعين الرحمة والعطف من جانب الوزير ، فامر أولاً بجلب عبد الرحمن باشا الى بغداد وقد جاء على محفة بسبب اعتلال صحته ، وبعد مكوثه برهة من الزمن رأى الوزير ان الموما اليه لم يعد يتمكن من مزاولة الحكم بسبب مرضه ، فأصدر أمره بتعيين ابرهيم باشا حاكماً على بابان وترك كوي وحرير بعهدة عبد الرحمن باشا ، وعلى هذا فقد سافر ابرهيم باشا الى مقر وظيفته ورحل اخوان عبد الرحمن باشا وأتباعهم من السليمانية الى كويسنجق .

سفر علي باشا الكتخدا الى الجوازر

نظراً لهبوب ريح الخيانة والغدر من جانب فرقة السعيد التابعة لعشائر الزبير والجوازر فقد خرج الكتخدا علي باشا لتأديبهم على رأس حملة عسكرية ، وكان خروجه يوم الثامن من شهر ذي الحجة فوصل الى الموقع المسمى (الصلينة) ، ومن هناك هجم على المتمردين وشتتهم ، وغنم منهم ستين الف رأس من الضأن وكل ما لديهم من جاموس ، وجلبها معه الى بغداد ، وكانت عودته في اليوم الثالث عشر من شهر صفر .

ذكر وقائع سنة ثلاثة عشرة ومائتين والف
ثورة الوهابيين وخروج حملة عليهم

عند حلول سنة احدى عشرة ومائتين والف كان رئيس الوهابيين عبد العزيز قد هجم على الاحساء بكل ما معه من قوات واحتلها عنوة ، بعد ان قتل من أهلها أكثر من مائتي شخص، ثم الحق بها القطيف وعجيرة وما جاورهما واقطعها لاتباعه وعشائره .

وكانت هذه الحركة قد ازعجت الشيخ ثويني واغضبته ، فأستأذن للخروج واسترداد هذه المرفأ من أيدي الوهابيين .

وقد وافقت الحكومة على ذلك واوعزت إلى متسلم البصرة ان يسنده بما عنده من العساكر النظامية ومن الرماة الباوج والمدفعية ، وكذلك أرسل اليه أحد أغوات بيروت المسمى أحمد آغا حجازي زاده لمعاونته .

وعلى هذا تحرك الشيخ ثويني من البصرة ومعه جميع عشائر المنتفك ورئيس عشائر بني خالد ومحمد العريعر والبراك ، حتى بلغ موقعاً يسمى ستباك على بعد أثني عشر منزلاً من جنوبي البصرة فنصب خيامه للاستراحة .

وبينا كان جالساً في خيمته الكائنة قرب خيمة محمد العريعر ، دخل عليه رجل عربي اسود وبيده حربة حديدية وهتف «الله أكبر» ثم قذفه بها على صدره فسحقته وخرج رأسها من ظهره ومات على الاثر .

أما القاتل فقد تجمعوا عليه وقتلوه حالاً ، ولم يعرف هل هو من أتباع عبد العزيز الوهابي او انه من جماعة شيوخ بني خالد .

أما محمد العريعر والبراك فقد كان كل منهما يطمع بالاستيلاء على الاحساء وجعلها تحت حكمه .

وكان الشيخ ثويني يميل إلى محمد العريعر ويسانده ويعده باعطـاء حاكمية الاحساء اليه ، ولذلك اضمر البراك الغدر به ونفذ مـا أضمره ، هذا مـا اتجهت الظنون اليه في حينه .

ومهما قيل في هذه الحادثة فانها قلبت الخطة رأساً على عقب ، وسببت عودة هذه القوات من حيث اتت ، وفيما هم في طريق عودتهم هجم عليهم الوهـابيون واوقعوا بهم قتلاً وفتكاً ذريعاً. أما اخوان الشيخ ثويني وعشائر المنتفك فقد القوا ما بايديهم من المدافع ، واكتفوا بانقاذ عوائلهم وانفسهم وفروا إلى ديارهم . وأما العسكر البلوجي فقد وقع الوهابيون به ضرباً واسراً ، واستولوا على ما معه من مدافع وعتاد وغير ذلك وذهبوا بها غنيمة باردة إلى الدرعية .

لقد وصلت أخبـار هذه الحادثة إلى بغداد سنة اثنتي عشرة ومـائتين والف فكان وقعها شديداً .

وقد عهدت مشيخة المنتفك إلى حمود الثامر ، ولما سمع علي باشا وهو في طريق عودته من الجوازر بهذه الموقعة تألم كثيراً وعزم على السفر نحو الوهابيين . ولما وصل بغداد وعرض رغبته على اوليـاء الامور اذنوا له بتنفيذ مـا اعتزم عليه ، وجهزه الوزير بكل ما يحتاج اليه من أموال وعتاد وعساكر ولوازم ، وبعد اكمال استعداداته غادر بغداد بجيش لجب في اليوم الثـاني والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاثة عشرة ومائتين والف حتى بلـغ البصرة ، وعسكر في الرباط مدة وجيزة سافر بعدهـا نحو الزبير وقد جند في طريقه حوالي الخمسة الاف مقاتل من النجادة ، وسار :

في جحفل ستر العيون غباره فكـأنمـا يبصرن بالآذان

ولما كانت بلدة الاحساء اقرب اليه من الدرعية ذات الطرق الوعرة ، ونظراً لصعوبة نقل الانقـال والقوات والمعدات اليهـا ، فقد آثر الاتجاه عندئذ نحو الاحساء بكل ما معه ، حتى اذا ما تيسر له احتلالها اتخذها قاعدة لحركاته كي

يستطيع ان يجلب منها بسهولة ما يحتاجه بصورة تدريجية .

وهكذا تحرك بمن معه حتى وصل محلاً يقال له الروضتين لا يدل اسمه على مسماه اذ لا ماء فيه ولا رياض ، وعليه فقد جاوزه إلى الجهرة ونزل فيها ، ولكن ماءها كان مالحاً وغير صالح للشرب والطريق وعرة لا يمكن مواصلة السفر فيها، فظل حائراً في أمره ، وعندئذ انبرى شيخ الكويت لمساعدة الحملة بأن استأجر بعض السفن البحرية من مكان يسمى «عجير» نقلوا بها بعض المعدات والذخائر الثقيلة عن طريق البحر وواصلت الحملة سفرها بمشقة ، حتى بلغ افرادها أوّل قرية من قرى الاحساء وهي المسماة « نطاع » فأناخوا فيها مدة عشرة ايام ، ثم تحركوا حتى اقتربوا من مدينة الاحساء نفسها، وعندئذ ارسلوا كتباً إلى وجوه البلدة والمتنفذين فيها يستميلونهم إلى جانبهم ، الا ان أفراد عشيرتي المبرز والهفوف وعلى رأسهم سليمان بن ماجد وحاج ابرهيم بن عفيصان أجابوا بالرفض ، وأعلنوا العصيان ، وتحصنوا بقلاعهم ، ثم التحم الجيش معهم يرشقهم بمدافعه ويرشقونه ببنادقهم ، واستمرت المناوشات مدة عشرين يوماً .

ولما كانت قلاعهم عرض حيطانها اثنا عشر ذراعاً شاهانياً فلم تؤثر فيها طلقات المدافع . ورأى افراد الجيش العثماني ان لا فائدة من المدافع ، فتناولوا المعاول وهجموا عليها وراحوا يعملون على هدمها ولكن دون جدوى.

واخيراً وصلتهم المدافع الثقيلة التي كانت مرسلة بواسطة السفن فاستعملوها في هدم تلك القلاع ، وكادوا يهدمونها ويستولون عليها ، الا ان هذه المدافع عجزت عن تأدية مهمتها واعتراها الخلل ، وكانت تتمزق وتنفجر بعد الطلقة الرابعة ، واستعصى عليهم التقدم شبراً واحداً .

ولما رأى المتحصنون في القلاع عجز هذه المدافع، وهي السلاح الوحيد الذي يعتمد عليه الجيش العثماني ، قاموا فوراً باصلاح ما فسد من قلاعهم واعادوا تقويتها من جديد .

ولما كانت القوات الحكومية تعسكر في واد غير ذي زرع فلا كلأ ولا عشب، فقد نجم عن ذلك هزال الجمال وقعودها عن حمل الاثقال، وهلك منها ما يقرب من تسعة آلاف بعير ، وتناقصت الذخائر والمعدات يوماً بعد يوم، وراح الجنود يفكرون في مصيرهم، والهلاك الذي ينتظرهم فيما اذا بقوا على هذه الحالة، وذهبوا الى رؤسائهم يلحون عليهم بضرورة الاسراع في العودة لعدم وجود فائدة من بقائهم هناك . إلا ان هؤلاء الرؤساء اعترضتهم مشكلة في كيفية العودة بعد ان هزلت الحيوانات التي معهم وتعذر نقل الاثقال ، وأخيراً قرروا ان تسحب المدافع من قبل الجنود والمشاة ، واما الذخائر والمعدات الاخرى فبعضها دفن تحت الارض، وبعضها أتلف او احرق لئلا يستفيد منه العدو . وعلى هذه الحالة انسحبوا إلى الوراء بلا زاد ولا ذخائر ولا مؤن ، حتى وصلوا موقعاً يسمى « شباك » وهم في حالة يرثى لها . وقد وجدوا في هذا المكان عشباً وماء انقذهم وانقذ دوابهم من الهلاك ، ثم ادلهمت السماء وأرعدت وأمطرت عليهم مطراً غزيراً ، وهبت عليهم عواصف اطارت خيامهم وبعض امتعتهم وبقوا لا ملجأ لهم من الرياح والامطار ، ولقوا من العذاب ما لا يمكن وصفه حتى كادوا ييأسون من حياتهم ، واستمروا على هذه الحالة طول الليل حتى الصباح ، وعندئذ طلعت الشمس وتقشعت الغيوم ، وتنفسوا الصعداء وفتشوا عن خيامهم فعثروا عليها واتوا بها الى المعسكر ، ثم ادركتهم المؤن باقتراب السفن منهم ، ولكن هذه قليلة ولا تكفي هذا الجيش أكثر من يوم واحد ، ومع ذلك فقد تقاسموها، ومن أصاب رطلاً واحداً من الشعير فهو سعيد .

وبينما هم على هذه الحالة بلغهم ان ابن عفيصان كتب الى عبد العزيز آل سعود يخبره بما حل بالجيش العثماني، ويحرضه على انتهاز الفرصة للانقضاض عليه وسحقه، فقام هذا وحشد جمعاً كبيراً من عشائر الوهابيين وأهل اليمن وعارض وجبل شمر ، وأرسله بقيادة ابنه سعود [1] فاندفع يتعقب الجيش ويتلصص عليه .

---

[1]) هو أحد جدود الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية .

فلما بلغ ذلك علي باشا اخذته الحمية والغيرة، وقام باتخاذ الاستعدادت اللازمة لضرب هذه الحشود والانتقام منها .

أما سعود ومن معه فقد تقدم بتحريض ابن عفيصان حتى اقترب من مكان يسمى « نخبات » وهناك تحصن واستعد .

وأمــا علي باشا وجيشه فقــد اقترب منهم ، واتخذ مواقع في محل يسمى « التاج » ، ثم بدأت مناوشات بين الطرفين قتل فيها منهما بعض المحاربين ، وكان من جملة القتلى خالد الثامر وهو أخو شيخ المنتفك حمود ، ثم اشتد القتال شيئاً فشيئاً، وأيقن الوهابيون ان لا قبل لهم بمواصلة الحرب، فأعلنوا الرغبة في المصالحة وأرسل سعود كتاباً الى علي باشا هذا نصه :

« من سعود عبد العزيز الى علي ، أما بعدما عرفنا سبب مجيئكم الى الاحساء وعلى اي منوال جئتم ، أما أهل الاحساء فهم رفاض ملاعين ونحن جعلناهم مسلمين بالسيف وهي قريبة الان، وليس داخلة في حكم الروم[1] وبعيدة عنكم ولم يحصل منها شيء يسوى تعبكم ، ولو ان جميع الاحساء وما يليها تؤدي لكم دراهماً ما تعادل مصروفاتكم التي عملتموهــا في هذه السفرة ، ولا يوجد بيننا وبينكم من المضاغنة قبل ذلك الاثويني ، فهو كان المعتدي ولقي جزاءه ، فالآن مأمولنا المصالحة وهي خير لنا ولكم ، والصلح سيد الاحكام .

فلما رأى علي باشا ان الاستمرار في محاربتهم يتطلب الاحـاطة بهم من كل مكان، وتضيق الحصار عليهم الى ان يستسلموا، او استعمال المدافع لدك حصونهم والهجوم عليهم ، وكلتا الحالتين غير متيسرة ، وذلك بسبب ضعف الجيش وقلة المياه العذبة والكوارث التي اصـابته ، وبعد المداولة في هذه الامور مع ذوي الرأي من الرؤساء والشيوخ الذين معه قرروا قبول الصلح ، وهذا نص الكتاب الذي أرسله علي باشا الى سعود رداً على كتابه :

---

١) يعني الأتراك .

«من علي باشا الى سعود بن عبد العزيز ، أما بعد فقد أتانا كتابك وكل ما ذكرت من أمر المصالحة صار معلوماً لدينا، ولكن على شروط نذكرها لك، فان انت قبلتها وعملت بها فحسن، وإلا فما نحن بعاجزين عنك ولا عن طوائفك بعون الله وقوته. وعند الخبر الصحيح اذا اشتدت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك الضحاك والسيف المهند ، حيث لنـــا مقدار أربعة أشهر في بلادك نجوب الفلا ونستأمر أهل القرى ، مـــا قدرت تظهر من مكانك غير هذه الدفعة ، وبهذه الدفعة أيضاً اغتررت بقول ابن عفيصان . اما الشرط الاول فهو ان الاحساء لا تقربها بعد ذلك ، والثاني الاطواب التي اخذت من ثويني انك ترجعها، والشرط الثالث تعطينا جميع مـــا صرفناه على هذا السفر ، والرابع ان لا تتعرض للحاج التي تجيء اليك من طرق العراق ، ولا تتعرض لابناء السبيل ، وتكف غزوك عن العراق ، وتكون معنا كالاول .

فهذه الشروط التي اخبرناك بها والسلام على من اتبع الهدى » .

وقد قبل سعود بهذه الشروط على الوجه التالي وهذا جوابه بالنص :

« جاءنا كتابكم وفهمنا معناه ، أمـــا من حال الشروط المذكورة ، فاولاً الاحساء هي قرية بعيدة الى دياركم وخارجة عن حكم الروم وما تجازي التعب ولا فيها شيء يوجب الشقاق بيننا فهذه حالها ، وأما الاطواب فهي عند والدي بالدرعية فاذا صدرت اليه أعرض الحـــال بين يديه ، والوزير سليمان باشا أيضـاً يكتب اليه ، فان صحت المصالحة وارتفع الشقاق من الطرفين فهي لكم ، وانا كفيل بها ان اجيبها الى البصرة . وأما مصاريفكم فـــاني لم أملك من هذا الامر شيئاً ، والشور في يد والدي والذي هو يقرره يصل اليكم ، وأما ما ذكرتم من أمن الطريق وعدم التعرض للحـــاج والمترددين فحبـاً وكرامة ، وعليّ عهد الله وميثاقه انه ما يفقد لكم بعير واحد ، ولا يسري منا ضرر على المترددين ، وما لكم عندنا غير الكرامة والتسيار ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وقد انقضت الكلمة على قبول بعض الشروط وتأجل النظر في البعض الآخر،

وتمت المصالحة بين الطرفين ، وعندئذ واصل الجيش العثماني سفرته الى البصرة فاستراحوا فيها خمسة عشر يوماً ثم تحركوا الى بغداد ، وكانت عودة علي باشا في اليوم الرابع من شهر صفر سنة اربعة عشرة ومائتين والف ، ومدة هذه السفرة تسعة أشهر وخمسة وعشرون يوماً ، وقد لاقت هذه الحملة من الاهوال والمهالك ما لا يمكن وصفه ، وان ما جمعه الوالي سليمان باشا من الاموال وما ادخره من سنة أربعة وتسعين ومائة والف الى السنة الثالثة عشرة ومائتين والف قد صرف كله في سبيل هذه الحملة ، ومع كل هذا لم تأت بالثمرة المرجوة .

ذكر وقائع سنة اربعة عشرة ومائتين والف
خروج علي باشا لمقاتلة عشائر العنزة

ان هذه العشيرة كانت تقيم باطراف الشام ثم اخذت تنحدر نحو العراق للاكتيال من وقت لآخر .

وذات مرة وصلت الى الطهمازية التابعة للحلة وراحت تتعرض للعشائر العراقية القاطنة هناك ولا سيما عشائر الريم . فلما وصلت اعمالها الى مسامع الوزير جرد عليها حملة بقيادة علي باشا ، وقبل سفره قدم الى بغداد رئيس العشيرة المذكورة المدعو فاضل ، فاعتبر ضيفاً واكرم مثواه واستقبل بالترحاب ، ثم اوعز اليه بأن يكف عشيرته ، وألا يتعرض لعشائر الريم ، واعطيت له مهلة مدتها عشرة ايام لرد ما نهبته عشيرته فتعهد بذلك وعاد الى مقره .

ولما انتهت المدة المضروبة ولم يظهر ما يدل على قيامه بتنفيذ ما تعهد به ، بل ازداد ورود الشكاوى من سوء أعمال العشيرة المذكورة ، أصدر الوزير أمره الى الكتخدا علي باشا بالسفر حالاً لاخضاع العشيرة المذكورة ، وراح الباشا يطوي الطريق الى ان وصل جسر الهندية ليلاً ، وعندما علمت العشيرة بوصول هذه الحملة أرادت العبور من الجسر والفرار فلم يتيسر لهـا ، وعندئذ لجأت الى عشائر القشعم والاسلم والرفيع تستنجد بهم ، فقرر هؤلاء ان يحموها على حسب العادة

العربية . وفي الصباح خرج الشيوخ والرؤساء والوجوه لاستقبال الجيش العثماني بالترحيب وعرض الطاعة له ، والتضرع اليه ان لا يمس أفراد العشيرة المذكورة لانها التجأت اليهم واعطوهـا الامان ، وانهم فعلوا ذلك لانهم أيضاً من رعايا الدولة العثمانية، ولهم الحق في اجارة من يستجير بهم، ثم قدموا للحملة ثلاثة الاف بعير وخمسين فرساً وطلبوا العفو من عشيرة عنزة .

فما كان من علي باشا الا أن نزل على رغبتهم وعفا عنهم ، وبعد مكوث عشرة أيام في تلك الانحاء رجع وحملته الى الحلة بعدما سمح لتلك العشيرة بالعودة الى ديارها ، وفي الحلة تلقى شكوى من الاهلين ضد أحد الضباط المسمى علي جلبي فاستأذن الوالي وعزله بعدما استوفى منه ما في ذمته من اموال الدولة ، وعين مكانه السيد مراد جلـبي ثم فرض غرامة على شيخ القشعم ناصر الحبيب قدرها خمسمائة بعير والفا رأس غنم وعشرة افراس ، ولكنه نزل الى نصف هذا العدد وذلك رأفة بالعشيرة اذ كانت هذه الغرامة بسبب ما كان يبديه الشيخ المذكور من تمرد وعدم طاعة ، وبعد اتمام مهمته عاد الى بغداد .

خروج علي باشا على رأس حملة لمقاتلة عشيرتي قشعم والدليم

بناء على مقتضيات المصلحة عزلت الحكومة الشيخ عبد العزيز ، وبذلك انقسمت عشيرة قشعم الى فرقتين : فرقة بقيت توالي الشيخ المذكور والثانية التزمت اخاه شبيب الحبيب واستوطنت في مكان يسمى « الصخري » واعلنت العصيان فجردت عليها الحكومة حملة بقيادة علي باشا وسيرته نحوها .

وقد اتخذ الباشا طريقه الى المسيب، ومن هناك عبر نحو المتمردين ، ولما علموا باقترابه منهم تفرقوا ولاذوا بالفرار ، وظل الباشا يطاردهم حتى شفاثة ، ومن هنـاك اتجه نحو الدليم لمعاقبة العشائر التي امتنعت عن دفع مـا بذمتها من الضرائب والرسوم الاميرية ، وقبل وصوله اليها فرت الى «هيت» وهو في انزم

الى ان وصل الى «جبه» واستولى على مواشيهم التي تقدر بعشرين الف رأس ثم عاد الى الفلوجة ومنها الى بغداد .

وفي هذه الاثناء وردت الانبـــاء بهجوم الوهابيين على النجف الاشرف ، فتصدت لهم عشيرة الخزاعل وقتلت منهم حوالي الثلاثمائة قتيل، ولما كان تصرف الوهابيين هذا يتنافر مع شروط الصلح فقد استاء منه الوزير وفكر في ضربهم .

ذكر وقائـع سنة خمسة عشرة ومـائتين والف

حملة علي باشا على الخزاعل

اعلنت احدى فرق الخزاعل وهي السلمان التمرد والثورة على الحكومة ، وراحت تتعرض لابناء السبيل حتى ضج الناس بالشكوى من تعدياتها ، الامر الذي دعا الى ارسال قوة عسكرية لمعاقبتهـا واعادتها الى الطاعة . وكانت تلك القوة بقيادة علي باشا، وقد تحرك بها من بغداد في اليوم الحادي والعشرين من شهر جمادي الآخرة ، فوصل الى ديار العشيرة المذكورة ، ووجدها قد اتخذت لها حصوناً وقلاعاً ، وفتحت بعض الكسرات من الانهر لمنع اجتيـاز الجيش ، ولكن الجيش ذلل هذه العقبات والموانع وهجم على العصاة هجمة عنيفة جعلتهم يعتقدون بأن لا قبل لهم بالصمود امام هذه القوة، وولوا الادبار متجهين نحو لملوم ، فتعقبهم الجيش وظل يطـــاردهم ويسلط عليهم حممه ويضيق عليهم حتى شردهم ومزقهم واستولى على مـــا يملكون من اموال وذخائر وماشية ، وقد اشترك في نهب اموالهم العشائر التي كانت قد التحقت بالحملة. وقد وضعوا ما فاض من هذه الغنائم في سفن وارسلوها الى بغداد .

ولما لم يبق من سبيل لملاحقة الثوار بسبب هربهم نحو الاهواز ، قـــامت الحملة بقطع وتغيير مجرى نهر الفرات خلال شهر واحد ، ولما رأى الثوار ان الهلاك ينتظرهم وانهم موشكون على الفناء عن آخرهم، اعلنوا الاستسلام والخضوع والتمسوا العفو عما صدر عنهم ، فأجيبوا الى ما ارادوا ، ودفعوا كل ما بذمتهم

من الاموال الاميرية . وعندئذ عادت الحملة الى بغداد وقد استغرق سفرها وعودتها ثلاثة اشهر وسبعة وعشرين يوماً .

توجيه مقاطعة رها الى تيمور آغا ملّو

بعدما اعلن تيمور اغا ملو الخضوع للحكومة وكسب عطفها ، سعى له الوزير لدى الدولة العليـة فصفحت عن سوابقه وأصدرت فرماناً يقضي بتوليه مقاطعة الرقة مع رتبة وزير ، وبهذه المناسبة اقيمت له الاحتفالات ونصب له مرادق في باب المعظم بمناسبة سفره الى مقر وظيفته ، وقد وفد عليه الوالي والاعيان والوجوه لتوديعه والسلام عليه .

ذكر وقائع سنة ستة عشرة ومائتين والف
سفر الكتخدا علي باشا الى الهندية لحمايتها من غزوات الوهابيين

في اعقاب الحوادث التي وقعت سنة أربعة عشرة ومائتين والف بين الخزاعل والوهابيين في النجف الاشرف وقتلهم حوالي الثلاثمائة وهابي ، ووصول خبرهم الى عبد العزيز قام هذا فوراً بالكتابة الى الجهات المختصة محتجاً على هذه الحادثة، ومتخذاً منها ذريعة لالغاء الصلح ما لم تدفع اليه ديات القتلى ، ولاجل ايقاف تنفيذ ما قرره وابقاء المصالحة على حالتها ، اوعز الوالي الى عبد العزيز بيك أحد أبناء الشاويين ان يعرج على الشيخ الوهـابي بعد تأدية فريضة الحج ويحوله عن عزمه .

ولما قدم عليه وباحثه حول الموضوع اصر الشيخ على رأيه ، واخيراً طلب ان يسمح لعشائره بالرعي ما بين عنه والبصرة من جهة الشامية، وذلك عوضاً عن ديات القتلى، والا فلا مناص من نقض العهد . ولمـا يئس الشاوي من اقناعه بالعدول عن ذلك أرسل ساعياً الى الوالي يخبره بالامر ، ويضيف بان الوهابيين اتجهوا نحو العراق لينتقموا اقتلاهم .

وعندئذ أمر الوزير باتخاذ الاحتياطات الضرورية، وأرسل علي باشا على رأس قوة عسكرية لتحول دون تعرض الوهابيين للعراقيين ، وسافر نحو المندبة ونزل قرب نهر الشاهي ، واقام هناك بضعة ايام ثم رحل نحو شفاثة ، وقد التحقت به عشائر العبيد بقيـادة محمد بيك والتحق به أيضاً فارس الجربا والبيات والعساكر النظامية القادمة من أربيل وتقدر بالفي جندي .

فلما بلغوا تلك الانحـاء رأوا القوات الوهابية قد حطت رحالهـا هناك واستعدت اتم الاستعداد للقتال، ولكنها قبل التصادم انسحبت من امام الجيش، وبعد انسحابها قررت الحملة ان تميل نحو شفاثة لقلة الميـاه في المكان الذي عسكرت فيه .

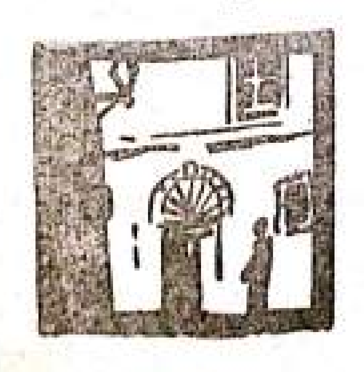
وفي هذه الاثناء وصل عبد العزيز الشاوي، واخبر علي باشا بتفاصيل مباحثاته مع شيخ الوهابيين وسوء مـا يضمره ، وعليه بقي الباشا هناك حوالي الثلاثة أشهر ثم عاد الى الحلة وأقام في قرية النبي ايوب عليه السلام . ولمـا يئس من عودة الوهابيين ترك قوة كافية في المكان المذكور بقيادة رئيس الاغوات لترصد الاخبار وتحافظ على الأمن ، وعاد ببقية أفراد الحملة إلى بغداد ، وكانت مدة هذه السفرة ثلاثة أشهر ويومين .



سفر الكتخدا علي باشا نحو عشائر عفك وجليحة

امتنعت هذه العشائر عن تأدية ما بذمتها من الاموال الاميرية وتمردت على الاوامر ، وعلى هذا صدرت التعليمات الى علي باشا بالذهاب لمعاقبة هذه العشائر وحملها على الطاعة والامتثال ، وارغامها على تأدية ما عليها من رسوم للحكومة. وقد سافر المشار اليه في اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادي الآخرة.

ولما بلغ نهر اليوسفية استقبله بعض الوجهاء والشيوخ ودفعوا له ما بذمتهم ، ثم واصل سفره حتى بلغ عفك وطالب تلك العشائر بدفع ما عليها ، ولما رآها ماطل عزم على الهجوم عليها ولكن كثرة الانهر والموانع والعقبات حالت دونه ، ورأى ان يتجه أولاً إلى جليحة حتى اذا ما فرغ منها عاد الى عفك ، ولكن هذه أيضاً استعصت عليه لكثرة الاهوار والمياه المتسربة إلى الطريق و كثرة القلاع التي اتخذوها داخل تلك الاهوار العميقة والتي تطفى فيها المياه في مثل ذلك الفصل ، ولكنه لم يرد ان يبقى مكتوف اليدين بل راح يبذل ما في امكانه لسد بعض الانهر وتحويل مجرى البعض الآخر ، ثم اندفع الى الامام وضيق الحصار على المتمردين ، وتصادما الى ان انكشف خذلانهم وضعفت مقاومتهم ، واستسلموا وبعثوا بساداتهم يطلبون العفو ويتعهدون بدفع كل ديون الحكومة ، وقد دفعوا فعلاً نصف ما بذمتهم على ان يدفعوا الباقي بأقرب وقت ، وعندئذ ارتحلت الحملة عنهم واتجهت نحو شط الحي لتأديب احدى فرق زبير ، ثم سارت نحو الكويت والعمارة ومن هناك عادت الى بغداد ، وكانت مدة هذه السفرة شهرين وستة عشر يوماً .



حبس عبد الرحمن باشا واخيه سليم بيك ونفيهما الى الحلة وتوجيه مقاطعتي كوى وحرير الى محمد بيك بن محمود باشا الكولي

بدأ عبد الرحمن باشا يتمرد على الاوامر الصادرة اليه من بغداد ، وكذلك فعل أخوه سليم بيك ، الامر الذي ادى الى نقمة الوزير وسخطه ، والقى القبض عليهما واودعا السجن ، وعهدت ادارة المقاطعات التي تحت نفوذهما الى محمد بيك ابن محمود باشا آل تيمور باشا مع الرتبة الباشوية ، ثم جيء بعبد الرحمن باشا وسليم بيك الى بغداد على ان يكون أتباعهما تحت رعاية ابرهيم باشا ، ومن بغداد أبعدا الى الحلة وبقيا هناك تحت المراقبة .

ظهور وباء الطاعون وخروج الوزير من بغداد وهجوم الوهابيين على كربلاء

في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ظهر وباء الطاعون في مدينة بغداد ، وبدأ ينتشر ويسري الى ضواحيها وأطرافها ، مما اضطر الوزير الى الهروب نحو مدينة الخالص والمكوث فيها ريثما ينجلي كابوس الطاعون عن بغداد ، وقد استصحب معه عياله وخدمه والمتعلقين به والمنتسبين له ، ونصب سرادقه هناك ، وكان الفصل ربيعاً فقرر امضاء هذا الفصل في تلك الربوع .

وفي هذه الاثناء ورد اليه كتاب من حمود الثامر شيخ عشائر المنتفك يخبره ان سعود بن عبد العزيز وجموعاً غفيرة من الوهابيين قد انحدروا نحو العراق ، فأصدر امره الى علي باشا بالسفر لصد غاراتهم ، ونزولاً على أمر الوزير تحرك الموما اليه الى الدورة ، وانتظر هناك ريثما التحقت به القوات المطلوبة كما التحقت به بعض العشائر .

وبينما كان يزمع مواصلة السفر ، وردت الانباء بأن الوهابيين هجموا على كربلاء واستولوا على مرافقها ونهبوها وقتلوا منهـا حوالي الالف نفس ، فأوفد علي باشا محمد بيك الشاوي الى الوزير ليخبره بهذه الحادثة ، ثم سافر مسرعاً نحو كربلاء على أمل ان يظفر بالوهابيين وينتقم منهم ، وينقذ البلدة من قبضتهم .

الا ان الاخبار وردته وهو حينئذ في الحلة بأن الوهابيين بعدما نهبوا وقتلوا خرجوا قبيل العصر نحو الاخيضر ، فتوقف علي باشا في الحلة لاسباب اضطرته الى هذا التوقف ، ولعدم بقاء ما يدعو للسفر الى كربلاء بعد هروب الوهابيين منها .

وفي هذه الاثناء وصل متصرف البصرة الدامـاد سليم بيك هو وعثمان آغا ، والتحقـا بالحملة التي اتجهت نحو الهندية وعسكرت فيها . وهنـا انتشرت شائعة مفادها ان الوزير الذي كان يشكو من مرض المفاصل ، قد اشتد عليه مرضه ولم يخرج من بغداد الا لاخفاء هذا المرض الذي اقعده عن الحركة تماماً ، ويوشك ان يقضي عليه وهو الآن في أشد حالات المرض .

ومن جهة اخرى وردت الاخبار بأن الطـاعون اخذ يفتك بسكان بغداد فتكاً ذريعاً ، ويحصد منهم ما يقرب من سبعين نفساً في اليوم، وهذه الاخبار المحزنة قد اقلقت الحملة وأقعدتها عن تنفيذ مهمتها ، فاكتفى علي باشا بارسال بعض القوات الى كربلاء من باب الاحتيـاط، وقد التحق بهذه القوات متصرف بابان ابرهيم باشا وأتباعه أيضاً .

هذا وقد نقلوا خزينة النجف الاشرف خوفاً عليها من غارات الوهـابيين ، وضموها الى خزينة موسى الكـاظم رضي الله عنه .

وقد انتدب لنقلها الدفتري الحـاج محمد سعيد بيك ، واخبروا الحكومـة الايرانية بما حدث وبما اتخذ من الاجراءات .

وبعد مكوث علي باشا في الهندية حوالي الشهرين ونصف الشهر، وردته التعليمات بوجوب تقسيم القوات التي تحت ادارته وقيادته الى عدة أقسام، يقيم قسم منها في

ذي الكفل ، وقسم في كربلاء ، وقسم في الحلة ، وان يتخذوا التحصينات في هذه الامكنة ثم يعود الى بغداد ، وقد فعل ما أمر به .

ذكر وقائع سنة سبعة عشرة ومـــائتين والف
انتقـــال سليمان باشا والي بغداد الى دار البقاء

بالنظر لاشتداد المرض على سليمان باشا فقد استدعى اليه رئيس الدامـــادية والكتخدائية علي باشا ، كما استدعى الخزنية دار داود اغا والداماد سليم اغا ، وبعد التشاور معهم عهد بولاية بغداد الى علي باشا واوصاهم باطـــاعته وامتثال اوامره ، وبذل لهم النصائح والارشادات والتوصيات . وبعد مرور يومين لفظ انفاسه الاخيرة وانتقل الى رحمة الله، وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر ربيع الثاني ، «واذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» . وكان حاضراً أثناء النزع الاخير كل من الخزينة دار داود اغا وسليم بيك ونصيف آغا ، وقد اختلفوا في مكان دفنه ، فقسم اراد ان يدفن في المدرسة السليمانية التي اسسها المومأ اليه ، وقسم اراد ان يدفن في الاعظمية، وأخيراً اقترح الداماد سليم بيك ان يحضر علي باشا، ويقرر هو مكان الدفن، ولكنه لم يحضر وفوض الامر اليهم، فاختاروا الاعظمية ودفن هناك .

وقد أسف الناس لوفاة هذا الوزير الجليل في وقت احوج ما يكونون اليه والى نصائحه وارشاداته وعدله وحنكته .

وكانت مدة وزارته في بغداد ثلاثاً وعشرين سنة ونصف السنة تقريباً، وبلغ من العمر ثمانين سنة ، وله من البنين ثلاثة ومن البنات اربع . أما الاولاد فهم سعيد بيك وصادق بيك وصـالح بيك . واحدى بنـاته تزوجهـا علي باشا ، والاخرى تزوجها سليم بيك وذلك في حياته ، ثم قبيل انتقاله الى دار البقـاء زوج الاخرى الى داود آغـا الخزنه‌دار ، والاخرى الى نصيف آغا . هذا ويقتضينا الانصاف ان نذكر اجمالاً بعض الاعمال التي قام بهـا ، والآثار التي

زكيا ، فقد رمم وعمّر الكثير من المحلات في بغداد وشيّد السراي ، وعمر اسوار الجانب الثاني ، وحفر الخنادق الضرورية ، وعمر السراي الخاص وجعله دائماً بالوزراء الذين يحلون فيه ، وبنى مدرسة قرب داره سماهـا باسمه ، وهي المدرسة السليمانية ، وأصلح مساجد القبلانية والفضل وجامع الخلفاء الكائن في الشورجة .

وأسس مدرستين في كل من جامع الفضل وجامع القبلانية ، وأصلح جامع الامام الاعظم ، وطلى منارته بالذهب من اعلاهـا . وعمر سوق السراجين قرب السراي ، وأنشأ خاناً هناك ، وبنى قصراً خارج باب المعظم على ضفة النهر من جهة بساتين العلوانية ، وعمر جسري « جمن » و « دلي عباس » ، ونصب جسراً على نهر « نارين » ، وبنى قلاعاً في الكوت والعمارة وبدرة ، ومحلات لحفظ الغلال ، وسوّر مدينة مندلجين ، كما رمم الاسوار في البصرة والحلة وبعض الامكنة ، وفي مدن الزبير رضي الله عنه وماردين ، وبنى قلعة في حكنة قرب الموصل القديمة لتكون مأوى للقوافل وابناء السبيل .

وقد اتفقت كلمة الرؤساء والاعيان والوجهاء من العثمانيين واهل الحل والعقد وعلى رأسهم رئيس الانكشارية احمد آغا ، على تنصيب علي باشا والياً مكان الراحل ، واعلنوا له الطاعة والامتثال ، وأجلسوه على كرسي الولاية ، وعرضوا الامر على الدولة العلية .

وقد شمّر المومـا اليه عن ساعد الجد ، وراح يدير دفة الحكم بكل لياقة ومقدرة ، وبينما هو بانتظار ورود الفرمان بتعيينه اذ بدرت بعض المخالفات من رئيس الانكشارية احمد آغـا ، ولم يرع العهد الذي قطعه على نفسه اهتماماً ، واتفق مع الداماد سليم بيك وراحـا يسعيان لخلق ثورة ضد الباشا المومـا اليه ، ولقد تمكنا فعلاً من جمع زمرة من المنافقين والمشاغبين واحتلا القلعة وقطعـا الجسور ، واعلناها ثورة مسلحة ، وسلطا المدافع على السراي ، وانتشرت الفوضى والمظـاهرات ، واتجهت جماعات نحو السراي للهجوم عليه ، وعندئذ ارسل علي

باشا وكيله خالد آغا يسأل الثوار عن الاسباب التي حملتهم على نقض العهد والميثاق، ولكن مسعاه لم يثمر الثمرة المرجوة، وعاد يائساً، وأقيمت الحواجز حول السراي . وأقام سليم بيك الداماد من جهته ايضاً التحصينات قرب بزار كنج عثمان وقرب جامع الوزير، يساعده في ذلك احمد آغا الذي اتخذ تحصينات أخرى قرب مرقد الشيخ أبي نجيب السهروردي رحمه الله ، ولم يكشف سليم بيك عن نواياه حتى تلك الساعة ، ثم تراشق الطرفان: الوالي وجماعته من السراي، واحمد آغا وسليم بيك وجماعتهما من الخارج ، واعلع ازيز الرصاص وهدير المدافع ، وظلوا يتبادلون القذائف والعيارات النارية من الضحى حتى العصر، ونهب الرعاع بعض الدور والمحلات التجارية ، وسفكت دماء بعض الناس ، وأخيراً ارسل علي باشا من يتصل بأحمد آغا وجماعته ويسأله اسباب هذه الثورة، واذا كان القصد منها تخليه عن المنصب فانه مستعد لذلك ، ولا لزوم لاراقة الدماء واحداث البلبلة في البلد ، وكان هذا الرسول أحد اغوات الانكشارية، ولقد وافق الثوار على القاء السلاح اذا تخلى عن منصب الولاية ، وأرسلوا موافقتهم بواسطة حسين آغا كوسه رئيس جماعة الثوار ، وأخبره بأنه في امان بعد تركه الوظيفة ، وعلى هذا ترك مقر وظيفته وذهب الى بيته .

وعندئذ قام الثوار وأجلسوا سعيد بيك احد ابناء سليمان باشا مكان الوالي، وكتبوا الى الحلة باطلاق سراح عبد الرحمن باشا وأخيه سليم بك ، وأحضروهما الى بغداد وضموهما الى صفوفهم . وبعد مجيئهما الى بغداد اتفقوا كلهم على عدم ابقاء علي باشا في داره، وارسلوا نصيف آغا يطلب اليه ان ينتقل إلى دار عبدالله باشا، فلم يمانع ولكنه لما لم يكن مطمئناً منهم فقد عبر مساء إلى الجانب الغربي وفر من قبضتهم ، وهناك اتصل ببعض الوجوه واخبرهم بدسائس الانكشارية وما فعلوه معه ، فكان الاستياء منهم عاماً ، وتجمعوا حوله هم والقوات الموجودة هناك، وقرروا مساندته والسعي لاطفاء هذه الثورة بكل ما وسعهم، ثم عبروا نحو هذه الجهة، اي جهة الرصافة بواسطة السفن والزوارق لانقطاع

الجسر ، وبعد أن تم عبورهم ، هجموا على محلة الميدان وفرقوا الثائرين وفي مقدمتهم الانكشارية وعبد الرحمن باشا وسليم بيك والداماد سليم بيك ، ولجأ هؤلاء الى القلعة فتعقبوهم وضيقوا عليهم الخناق حتى فر الانكشارية من القلعة أيضاً ، ولم يبق فيها سوى عبد الرحمن باشا وسليم بيك وبعض التابعين .

وفي صباح اليوم التالي كرروا هجومهم على القلعة واحتلوها ، وعندئذ فر عبد الرحمن باشا والداماد سليم بيك نحو الاعظمية واختفيا هناك ، أما سليم بيك الثاني فقد فر نحو الموصل ، وفر ايضاً رئيس الانكشارية .

وبعد اندحار الثوار وعودة الهدوء والسكينة ، رجع علي باشا الى مقر وظيفته ، وعين سعدالله آغا رئيساً للانكشارية ، وكلفه بتعقب المتمردين والضرب على أيديهم والقضاء عليهم .

أما عبد الرحمن باشا وسليم بيك فقد صدرت الاوامر المشددة بالقبض عليهما ، وقد قبض عليهما فعلاً ، وكان المقرر ان يعدم الاول ويسجن الثاني ، إلا أن وكيل الكتخدا خالد آغا ومحمد بيك الشاوي قد شفعا لهما ، وتمكنا من اقناع الوالي بالعفو عنهما .

وقد عين سليم بيك حاكماً على مقاطعة تكريت وسافر الى مقر وظيفته ، إلا انه ما عتم ان أعيد من هناك ونفي الى البصرة حيث أعدم .

وقد قبض على كل من رئيس الانكشارية المتمرد احمد آغا وكوسه حسين وباش اسكي ابرهيم ، وقيوبجي اوغلي صالح آغا ، وجاووش اوسته ، وابناء القصبجي ، وجيء بهم مقيدين مهانين ولاقوا مصيرهم المحتوم .

ثم نادى منادي الحكومة بالعفو العام عن الهاربين والمذنبين ، وعاد الامن والاطمئنان الى البلاد .

توجيه وزارة بغداد والبصرة وشهرزور الى علي باشا

بالنظر لأهمية العراق فقد كان المقرر ان تبادر الحكومة باسناد الوزارة فور

وفاة سليمان باشا الى علي باشا ، وعدم ترك هذه المنطقة بدون وال مسؤول ، إلا ان الحوادث التي وقعت في بغداد بعد وفاة واليها ، جعلت اولياء الامور يتربثون في اصدار الفرمان ، واكتفي باسناد الولاية وكالةً اليه من باب الاحتياط، ولما استتبت الاحوال صدر فرمان الدولة العلية باسناد منصب الوزارة الى المشار اليه .

وقد تلقى هذا الفرمان في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك بحملة المابين ابرهيم افندي ، وأقيمت بهذه المناسبة الاحتفالات المعتادة وعمت الافراح والبشائر .

وبعدما تقلد زمام الامور ولّى عنايته واهتمامه الى ما يقع بين الحدود من الحوادث المخلة بالامن، من قبل طوائف بلباس الكردية القاطنين في الجبال، وفي الامكنة الوعرة ، وقيامهم من هناك بغارات عدائية على صادق بولاق ومراغة وأرومية ، وكثرة وقوع الاضرار منهم على الآمنين، وقطعهم الطرق والاغارة على القوافل ، بما حمل الحكومة الايرانية على الكتابة الى الدولة العلية للضرب على ايديهم وتخليص الناس من شرورهم، وإلا فانها – اي الحكومة الايرانية – ستكون في حل من قطع العلاقات بين الدولتين واتخاذ الاجراءات القمعية بحق هؤلاء الاشقياء ، لهذا وبالنظر لما سردناه آنفاً ، وقيامهم بالتقدم والمجيء الى اطراف كويسنجق واربيل بقصد الرعي ، واعتدائهم على السكان في هذه الامكنة ، فقد كتب الوزير الى ابرهيم باشا يوجب عليه ان يتخذ اشد الاجراءات بحق هؤلاء المعتدين .

أما الذين نزلوا منهم في القرى المجاورة لأربيل ، فقد توجه الباشا بنفسه على رأس حملة عسكرية اضربهم والقضاء عليهم ، وكانت بداية سفره من بغداد في اليوم الثامن من شهر شوال .

ولما بلغ التون كوبري وسمع المتمردون ما عزم عليه ، فروا مسرعين نحو اماكنهم في اعالي الجبال، وقد تمكنت الحملة من الاستيلاء على مواشيهم واثقالهم،

كما تمكن ابرهيم باشا من الهجوم على عشائرهم وطردهم من نواحي كويسنجق ، واستولى أيضاً على ما في حوزتهم من أموال ومواشي، واستاقها أمامه حتى وصل هو وجيشه الى أربيل ، وتقدم بالسلام على الوزير ، وهناك جمعوا كل ما غنموه وكان عبـــارة عن ستين الف رأس من الضأن والماعز والفي رأس من البقر واكثر من الف برذون وبغل عدا ما هلك منها في الطريق . وقد ارسل الوزير بتوزيع هذه الغنائم والبهائم على سكان أربيل وكوبري وكركوك وسكان القرى المجاورة لهذه المدن تعويضاً عما أصابهم من اضرار .

وبعد مكوث الوالي في أربيل حوالي الشهر ، وعلى أثر استعداده للعودة تلقى شكوى من سكان سنجار ومــــا جاورهـا ضد اليزيدية الذين لا يتقيدون بنظام او قانون ، فاضطر ان يتجه نحو سنجار لمعاقبتهم ، وفعلاً تحرك حتى بلغ قرب حمام علي ونصب خيامه للاستراحة هنــــاك ، وحضر والي الموصل للسلام عليه ، وبعد يومين تحرك الى الموصل ، ومن هناك أردف بقواته ما يقرب من الخمسمائة جندي ، وسار على رأسهم حتى وصلوا قرب سنجار ، فعسكر هناك ، وضرب نطاقاً على المتمردين وراح يصليهم ناراً حامية ، ممــــا اضطرهم الى ترك بيوتهم وزواياهم وفروا بانفسهم الى قلل الجبال ، وقد استولت الحملة على بيوتهم وقراهم ، وما فيها من أموال وذخائر ، ودمرت بساتينهم ومزارعهم ، وخلال هذه العمليات مرض ابرهيم باشا متصرف بابان مرضـــاً شديداً أرسل بسببه الى الموصل على محفة ، وبقي مع الحملة اخوه خالد بيك ، وقبل وصوله الى الموصل بساعة ونصف ساعة وافاه الاجل المحتوم ودفن بجوار النبي يونس عليه السلام .

ولما بلغ خبره مسامع الوزير حزن عليه وعهد بمقاطعة بابان الى عبد الرحمن باشا ، ثم ضيقت الحملة على اليزيدية وأحـــاطت بهم من كل مكان ، وأصبح أكثرهم هدفاً للرماة فوقعوا قتلى وجرحى ، وسمح للعشائر التابعة للحملة بالهجوم عليهم وهم العبيد والجربا وغيرهمـا ، فراحوا يطـــاردونهم ويتصيدونهم وكادوا يفنونهم عن بكرة أبيهم لولا ان استسلم الذين بقوا منهم على قيد الحياة ، معلنين

الخضوع والاستسلام ، ومتعهدين بعدم الخروج بعد ذلك على القانون والنظام ، فعفا عنهم وعاد بالحملة الى بغداد .

ذكر وقائع سنة ثمانية عشرة ومائتين والف
عزل مراد خان باشا حاكم العمادية وتعيين قباد باشا مكانه وقتل الشاوي محمد بيك وأخيه عبد العزيز بيك

كان الوزير عند سفره الى سنجار قد كتب الى حاكم العمادية مراد خان باشا ان يلتحق به هو والقوات التي تحت ادارته ، أو ان يرسل تلك القوات لتشترك بالعمليات تحت قيادته ، إلا ان الموما اليه اعتذر ولم يلب طلب الوالي بل اكتفى بأن ارسل اليه حوالي الثلاثمائة جندي . ومنذ ذلك الحين قرر الوزير ان يعزله بعد الانتهاء من أمر اليزيدية ، فلما فرغ منهم أصدر امره بذلك وعين بدله قباد باشا . ثم تحرك نحو تلعفر وعسكر بالقرب منها .

أما ما يتعلق بالاعمال التي ارتكبها القتيل احمد آغا ، فان الاوراق التحقيقية بصدده تقول انه لم يكن وحده في تلك الاعمال وانما كان يشترك معه طي الخفاء بعض المتمردين ومنهم أحد الشاويين الذي استمر على اظهار التمرد حتى بعد سفر الوزير ، ولذلك ومن المكان الذي عسكر فيه أصدر أمره بالقاء القبض على محمد بيك الشاوي والحاج عبد العزيز بيك الشاوي واعدمها فوراً ، أما ابناؤهما الذين كانوا يرافقونهما وكذلك سليمان بيك ابن الحاج أحمد بيك فقد سجنهم ثم اتى بهم الى بغداد .

وكانت عودته في اليوم الثاني والعشرين من شهر صفر . وهذه السفرة استغرقت أربعة أشهر واثني عشر يوماً .

سفر علي باشا نحو الخابور لمقاتلة عشائر العبيد

ان الحوادث التي وقعت بعد حادثة سنجار وقتل كل من محمد بيك الشاوي

والحاج عبد العزيز بيك الشاوي ، دفعت بأكبر أبناء محمد بيك وهو جاسم بيك للالتجاء الى عشائر العبيد بعد فراره نحو الخابور، ولما كان فراره هذا قد أغضب الوزير فقد جرد عليه حملة سافر على رأسها ، ولما كان على يقين من وجود عداء بين عشائر العبيد ووالي الرقة تيمور باشا ملو، فقد استعان به على ضرب العشيرة المذكورة، ولكنه لما اقترب منها وهجم عليها أظهر تيمور باشا ملو ما يدل على الخيانة بفراره أمام هذه العشيرة المتمردة ، وكانت نتيجة ذلك ان انكسرت الحملة شر انكسار ، وغنمت عشيرة العبيد معداتها وتجهيزاتها، واستولت على ما مع الوزير من أموال ، وعادت الى مواقعها في الخابور .

ولكي ينتقم الوزير من هذه العشيرة فقد استعد لها ثانية وسافر نحوها على رأس قوة عسكرية كبيرة تحرك بها من بغداد في اليوم السادس من شهر رجب، فلما بلغ الدجيل أحست به العشيرة المذكورة وعبرت نحو ضفة الشامية، الامر الذي اضطر الوزير الى تغيير اتجاهه والانحراف نحو الفلوجة . وخلال ذلك قدم عليه أحد الذين غضب عليهم البادشاه وهو عبد الله باشا آل عاصم والي الشام السابق ، ونظراً لمنزلته فقد اكرم مثواه وراح يتشفع له، واستصحبه معه ضيفاً عزيزاً . وبعد مكوثه عدة أيام حوالي الفلوجة تواردت عليه الاخبار من بغداد بأن احد المتمردين المدعو خليل قام على رأس جماعة من أمثاله وأعلن العصيان ، وعلى هذا فقد قام وكيل الوالي درويش آغا وقبض على بعض أفراد العصابة وزجهم في السجون ، وعرض الامر على الوالي يستأذنه في قتل الذين يستحقون القتل منهم ونفي الآخرين الى خارج بغداد ، فوافق على ذلك ، وعندئذ أصدر امره باعدام ملا خليل وموسى البيرقدار والحاج خليل البيرقدار ، والحاج حسين حبه، والبقال خلف، وجواد بن حمزه والقانلي حسين وغيرهم ونفي الآخرين .

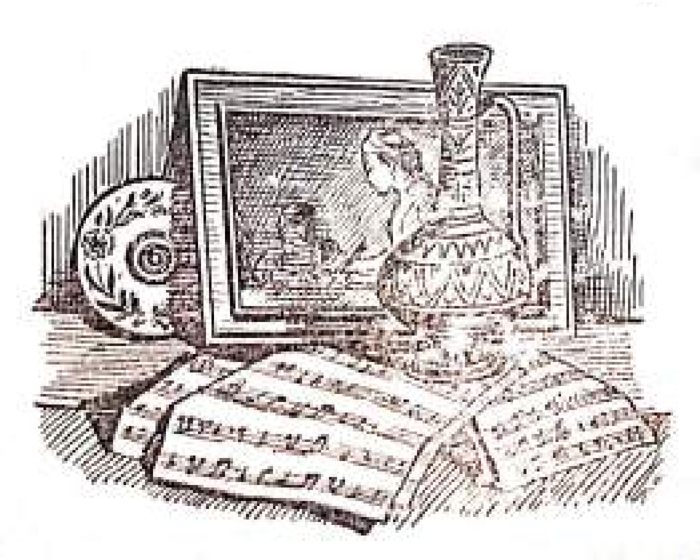
أما الوالي فبعد مكوثه حول الفلوجة بعض الوقت عبر نهر الفرات نحو جهة الشامية ، وواصل سفره حتى بلغ المشهد وعسكر هناك، ثم قسم الحملة الى

عدة فرق بما فيهم الكرد والعرب والعثمانيين وجماعة فارس الجربا ، وسيّرها نحو جبل شمّر لانه علم بتجمع الوهابيين هناك ، وبأنهم يحاولون الاغارة على العراق، ولما بلغوا قلعة الأخيضر أقاموا بالقرب منها وبثوا العيون والارصاد ، ثم بلغهم ان الوهابيين وصلوا موقعاً من الجهة الغربية من المشهد يسمى الطفطفانة، فنهضوا نحوهم، ولما وصلوا الموقع المذكور لم يجدوا فيه اثراً للوهابيين، فعادوا من حيث اتوا ، وعند وصولهم الى الحلة أمر الوالي بانتخاب محل مناسب لاقامة عبد الله باشا فيه وخصص له راتباً شهرياً وعين لخدمته بعض الافراد ، ثم عاد الوزير وحملته الى بغداد ، وكانت مدة هذه السفرة شهرين وواحداً وعشرين يوماً .

ذكر وقائع سنة تسعة عشرة ومائتين والف

غزوة ابي عوسج

وردت الاخبـــار بأن الوهابيين قد اتجهوا نحو العراق بقوات كبيرة ، فأرسلت اليهم حملة عسكرية كبيرة تحت قيادة الوزير ، وسار لملاقاتهم دون امهال . ولمــا بلغ الموقع المسمى أبا عوسج وردته أخبار اخرى تقول بأن الوهابيين بعد ان اقتربوا من البصرة لم يجسروا على الهجوم عليها، وبعد محاصرتهم لمدينة الزبير مدة تسعة أيام عــادوا من حيث اتوا ، ولم ير الوزير فائدة من مطاردتهم فعاد الى بغداد .



قتل عبد العزيز الوهابي

كان يقيم في بغداد شخص افغـاني الاصل يقـال له ملا عثمان، قد نذر نفسه للدفـاع عن الدين الحنيف وعن المسلمين ، وكان قد عزم على ان يقتل رئيس الوهابيين عبد العزيز ، وعليه فقد سافر نحو الدرعية متستراً بزي الوهابيين .

ولمـا وصل الى هنـاك اختلط بهم وراح يعمل عملهم حتى اطمأنوا اليـه وصادقوه ، وذات يوم جمعة وعندما حضر عبد العزيز الى المسجد لاقامة الصلاة تصدى له الملا عثمان وضربه ضربة قضى بهـا عليه ، ولم يتمكن ملاعثمان من الافلات لان الحراس والخدم تجمهروا عليه وقتلوه فوراً .

ورود تعليمات من الدولة العلية الى علي باشا بوجوب السفر نحو الدرعيـة

بالنظر لتمادي الوهابيين بالاعتداءات واثارتهم الاضطرابات في أنحاء البلاد ، فقد أوعزت الدولة العلية الى علي باشا بلزوم الضرب على أيديهم بشدة .

ولمـا كان المشار اليه على علم تام بحركات الوهابيين لاشتراكه بحربهم في الاحساء عندمـا كان بوظيفته كتخدا ، فقد تأهب لمقـاتلتهم ، وبعد اكمال الاستعدادات اللازمة غـادر بغداد في اليوم التاسع من شهر شعبان عن طريق الحلة .

وعند بلوغه قرية النبي أيوب عليه السلام شكل فرقة من العساكر النظـامية وسيّرها الى جبل شمر بقيادة أحد أبناء اخته وهو أمير لواء أربيل سليمان بيك. فاصطدم هذا بجموع الوهابيين وشردهم واستولى على مغانم كثيرة منهم وكر راجعاً ، وفي رجوعه اصابته وحملته عدة كوارث بسبب العطش وحرارة الهواء ومشقة السفر ، وأصبحوا بحالة يرثى لها، وقد فقد بعض أفراد الحملة بصره وبعضهم اختل عقله .

وخلال هذه الفترة ثار شيخ الشامية وأعان التمرد ، مما حمل الوزير على السفر نحوه. ولما بلغ مرور شلال فر الشيخ المذكور هو واتباعه تاركين أموالهم ومزارعهم غنيمة باردة للجيش ، فأتلف بعضها واستولى على البعض الآخر وعاد الى بغداد .

وقد أمر الوزير كلاً من خالد كهية ورئيس الاغوات وعبد الرحمن باشا ومتصرف كوي محمد باشا ، بالبقاء في الحلة مع قواتهم للمحافظة ، وكانت مدة هذه السفرة اربعة أشهر واحد عشر يوماً .

ذكر وقائع سنة عشرين ومائتين والف

عبد الرحمن باشا يقتل محمد باشا

قلنا ان الوزير قبل عودته الى بغداد كان قد امر كلاً من عبد الرحمن باشا ومحمد باشا بالبقاء في الحلة ، فبعد مرور شهر ونصف الشهر على ذلك اعيد خالد كهية فقط الى بغداد ، وبقي في الحلة كل من عبد الرحمن باشا ومحمد باشا ورئيس الاغوات ، ثم بعد مرور ثمانية أيام أذن لعبد الرحمن باشا ومحمد باشا بالعودة أيضاً .

وبعد مرور اربعة أيام تواردت الاخبار عن تحركات جاسم بيك الشاوي ابن القتيل محمد بيك وعشائر العبيد وعبورهم نحو الخابور ، وعلى هذا فقد اوعز الى عبد الرحمن باشا بالتريث والانتظار في كركوك على ان يتخذ ما يقتضي لجمع قواته واتباعه وجعلهم في حالة استعداد ، كما اوعز الى محمد باشا الذي وصل كويسنجق للقيام بالعمل نفسه، وان يلتحق بعبد الرحمن باشا ويتوجها بجيشيهما نحو الخابور ، فامتثلا للأوامر الصادرة اليهما . ولكن بالنظر للعداء القديم بين هذين الاثنين فان كلاً منهما كان يتحين الفرصة للانقضاض على خصمه والقضاء عليه .

ومن جهة اخرى كان الوزير يضمر حقداً على الاثنين معاً ، لان الاول

لم يترك وسيلة للحط من منزلة الوزير وتمجيد أسلافه ، ولان الثاني خرج عن حدوده المرسومة له وراح يتحدى الوزير ، ولهذا كان الوزير قد صمم على ازاحتهما من طريقه بأية صورة كانت .

وعندما وصلوا المنزل المسمى «طه» هجم عبد الرحمن باشا على محمد باشا وقتله وامر أتباعه ، واخبر الوزير بما فعل وتوجه عائداً الى كركوك ، ولما كان الوضع لا يساعد على القيام باتخاذ الاجراءات القانونية بحق القاتل فقد تغاضى الوزير عن الحادثة ، الا انه كتب اليه يعاتبه على فعلته وينصحه بالا يعود لمثلها، ولكي يطمئنه أكثر اناط به مقاطعتي كوي وحرير. ولما وصل الباشا الموما اليه الى كركوك أباح لعساكره نهب القرى المحيطة بكركوك ، فهجموا عليها ونهبوا وقتلوا واتلفوا المزارع ، مما حمل متسلم كركوك على تقديم شكوى الى الوزير ، ولدى التحقيق اتضح للوزير ان كلاً من الكتخدا خالد كهية وصديقه متسلم البصرة السابق الحاج عبدالله آغا كانا على اتفاق مع عبد الرحمن باشا ، وكانا يمدانه بالمعلومات ، فقبض عليهما فوراً والقى بهما في سجن القلعة ، وعين احد أبناء اخوته وهو المسمى سليمان بك كهية بدلاً عن الكتخدا خالد كهية وعزل عبد الرحمن باشا وعين بدله سليمان بك آل احمد باشا ، ثم نهض على رأس حملة واتجه بها نحو كردستان . وقبل سفره رأى ان بقاء خالد كهية قد يشكل خطراً فأعدمه ونفي صاحبه الحاج عبد الله آغا الى البصرة .

أما عبد الرحمن باشا فانه كان قد ارسل رسله الى الوزير يعرض عليه ندمه على ما فرط منه ويؤكد بقاءه على الطاعة ، ولما لم يكن واثقاً من الحصول على العفو فقد اتفق مع شيخ العبيد ضامن الحمد وشيخ الزبير حمد الحسن ، واستدعاهما اليه ، وانزلهما في قره حسن ، كما ارسل اخاه سليمان بك على رأس قوة تقدر بخمسمائة فارس للاستيلاء على مقاطعات درنه وباجلان وزهاو، وقد فر امامه حاكم زهاو عبد الفتاح باشا فعين مكانه خالد باشا، وعاد فاستقر في اربيل، وبث العيون والارصاد لمعرفة وقت وموعد مجيء الحملة .

ثم جمع قوات كبيرة من اهالي اربيل والموصل واتجه بهم نحو التون كوبري. وهناك علم أن خالد باشـــا تقدم نحو التون كوبري على رأس قوة تقدر بثلاثة آلاف مقاتل ، فمـــا كان من سليمان بيك إلا ان خرج مع قوة تقدر باربعمائة مقاتل وعسكر بعيداً عن البلدة بمسافة نصف ساعة للاشتباك مع القوة القادمة ، ولما علم عبد الرحمن باشا بذلك اتجه بكل قواته نحو خالد باشـــا ، فثبت هذا بوجهه إلا ان قلة المؤن وتعب القوات التي تحت قيادته اديا به الى الفرار نحو اربيل ، وقد القى بعض رجاله بأنفسهم الى النهر اثناء هربهم فغرقوا .

وفي هذه الاثناء قدم علي باشا وحملته الى كركوك ، ولم يكن عبد الرحمن باشا قد علم بقدمه ، فلم ير إلا والحملة تقترب منه ، بمـا اضطره الى الفرار على عجل وعبر الدربند . أما اتباعه وأفراد عشيرتي العبيد والغرير فقد افترقوا عنه واتجهوا نحو الخابور عن طريق سنجار .

ولما كان الوزير خبيراً بتلك الجهات فقد اوعز إلى عشائر شمر وفارس الجربا والعقيل ، بوجوب منع الهاربين من الفرار ، وعدم فسح المجـــال لعبورهم نحو الخابور .

أما مـــا يتعلق بقوات اربيل وبيكات الكرويين المنشقين فقد أرسل قوة لمحاصرتهم ، كما أحاطت تلك القوات بالهـــاربين من كل جانب ، وحالت بينهم وبين الفرار ، وأوقعت بهم ضرباً موجعـــاً . وقد كان من جملة القتلى في تلك الحركات شيخ العبيد ضامن المحمد ، واستولت الجيوش العثمانية على مغانم كثيرة ثم عادت الى كركوك .

ومن كركوك سارت قوة اخرى بقيادة خالد باشا لتعقب عبد الرحمن باشا حتى وصلت الوادي المسمى قزل دره وعسكرت هناك للراحة. أما عبد الرحمن باشا فقد قطع الطريق وسد نهر الدربند وأقام التحصينات اللازمة ، وفي الوقت نفسه، أرسل رسله الى حاكم ايران يرجوه التوسط لانقاذه والسماح بالالتجاء اليه. وقد أرسل حاكم ايران سفيره إلى الوزير يلتمس منه العفو عن عبد الرحمن

باشا ، ومع ان الوزير قد استقبل السفير بالترحـــاب إلا انه اعتذر عن قبول وساطته . وبعد مرور خمسة ايام سار على رأس الحملة متجهـاً نحو دربند ، وسد الطرق عليها من كل صوب ، ووضع حوالي الالف مقاتل على كل قلعة او جبل يحيط بدربند التي تحصن بهـــا عبد الرحمن باشا ، ثم ضيّق عليه الخنـاق وهجم بعساكره فاحتل تلك الحصون ودمرها، ودخل البلدة وأوقع بقوات عبد الرحمن باشا ضرباً وقتلاً فشتتها وسحقها ، واستولى على معدانهـا وأسلحتها وذخائرهـا ، ولكنه لم يظفر بعبد الرحمن باشا لأنه استطاع الافلات والهروب .

وبعد تصفية الحالة سجد الوزير شكراً لله على هذا النصر المبين، وبعد استراحة قصيرة عاد واتجه بقواته نحو الخابور لضرب عشائر العبيد ، وأثناء مروره بقرية ازناور ، علم ان هناك متمرداً اسمه خلف آغا دأبه قطع الطرق والاعتـداء على القوافل والسابلة ، فظفر به ونكل بأتباعه ، واستولى الجيش على مـا لديه من عتاد واموال ، ثم واصل سفره نحو الخابور .

ولما اقترب من تلك الجهات وعلمت به عشائر العبيد فرت من هنـا وهنـاك وتفرقت ، ولم يعد ما يدعو إلى ملاحقتهـا ، وعليه فقد رجعت الحملة الى بغداد وقد استغرقت هذه السفرة اربعة اشهر وعشرين يوماً .



سفر علي باشا الى الحلة وارسال الكتخدا
سليمان بيك الى عشائر بني لام

نظراً لكثرة تحرشات الوهابيين وهجومهم على اطراف المدن ، فقد رأى الوزير ان يجرد حملة ويسير بها ، ليكون قريباً من الجهات التي يكثر تردد الوهابيين عليها .

وقد خرج بهذه القوة فعلاً ووصل الى الحلة حيث عسكر في جانب الوردية، وكان يقضي اوقاته بالتجول في البلدة ليلاً والعمل في المعسكر نهاراً . وقد بث العيون والارصاد في تلك الجهات لاتيانه بالاخبار في اوقاتها .

ومن هناك اصدر امره إلى الكتخدا سليمان بيك للسفر الى عشائر بني لام وربيعة على رأس قوة عسكرية ، وذلك لجباية الرسوم والضرائب التي تهاونت في دفعها ، فامتثل الكتخدا للأمر وسار نحو ديار بني لام ، ولكن هؤلاء علموا بقدومه فتركوا ماشيتهم وفروا الى جهات متفرقة ، فاستولى عليها وكانت سبعمائة جاموسة وعدداً من البقر والضأن ، وأصدر امره بعزل شيخ بني لام الشيخ حامي ونصب بدله مهنا الجساس ، وبناء على فرار شيخ عرار فقد عزله ايضاً ونصب مكانه عباس الفارس . ثم علم بتجمع بعض العربان خلف شواطىء دجلة، فسار اليهم ليلاً واحاط بهم، ثم هجم عليهم ونكل بهم وغنم منهم حوالي الاثني عشر الف رأس من الضأن والماعز . وهجم ايضاً على العربان القاطنة في تلك الجهات ، ومنهم عشيرة المقاصيص وغنم منهم بقدر ذلك العدد من الماشية ، وسار نحو جصان ومن هناك رجع إلى بغداد ، وكان الوزير ما يزال في الحلة ، وخلال بقائه هناك أصدر أمراً بعزل شيخ زبير خطاب الشاول لسوء اعماله ، وعين مكانه ابن عمه حسين البندري ، ثم عاد الى بغداد .


قاعة
على الطراز العربي

ذكر وقائع سنة احدى وعشرين ومائتين والف

سفر علي باشا نحو ايران

بعد ان انخذل عبدالرحمن باشا في موقعة دربند، هرب هو ومن تبعه الى ايران عن طريق سنه ، ولما بلغها تنفس الصعداء وعادت اليه طمأنينته، وقد شمله حاكم سنه الايراني برعايته وكان اسمه امان الله خان ، وكتب الى حكومته يخبرها بالتجاء الباشا الموما اليه ، ولما كانت الحكومة الايرانية ترحب بالتجاء مثل هؤلاء الاشخاص اليها لكي تستعين بهم في مد نفوذها وسلطانها الى المناطق المجاورة لها، فقد وافقت على قبوله وخصصت لاقامته مكاناً بالقرب من كرمنشاه يسمى سنقر وأكرمت مثواه ، ثم اوفدت سفيرها مزوداً بكتاب الى الوزير علي باشا تلتمس منه العفو عن الموما اليه واعادة المقاطعات التي كانت تحت امرته اليه . ولكن الوزير اجابها بتعداد المخالفات التي صدرت منه ، مع الاعتذار بعدم امكان النظر في العفو عنه، وارسل جوابه هذا صحبة السفير الايراني، ثم اردف جوابه برسول الى ايران وهو السيد سلمان بيك فخري زاده لشرح وجهة نظر الوزير بصورة مفصلة إلى السلطات الايرانية المختصة .

فلما وصل سلمان بيك الى طهران رحبت بقدمه الحكومة المركزية ، واستقبلته استقبالاً حسناً ، وأظهرت له ميلها الى دوام العلاقات الطيبة بين الدولتين ، ثم انها في الوقت نفسه جلبت عبد الرحمن باشا وأطلعته على المخابرات الجارية بصدده ، ثم اتفقت معه سراً وأعلمته بأن حكومة بغداد لا توجد لديها قوات كافية ، واذا وجدت فانها لا تكاد تكفي لرد غارات الوهابيين ، وهذه احسن فرصة للوقوف بوجه الوزير والهجوم على كردستان واحتلالها ، سواء أكان ذلك بالقوة أم بالرضا، وعليه فقد قرّ رأيها على الكتابة الى الوزير تبدي اصرارها على اصدار العفو عن عبد الرحمن باشا مع تعيينه حاكماً على كردستان. ثم اعلمت حكومة ايران سلمان بك بما تم القرار عليه، ولم تكتف بهذا، بل

اخذت تواصل ارســال الكتب الى الوزير، وتلح عليه في ضرورة النزول عند رغبتها.

وذات يوم حضر لمقابلة الوزير احـد التجـار الايرانيين المقيمين في الكاظمية يؤكد طلب الحكومة الايرانية، ويعلمه بأنهـا حولت لحساب عبد الرحمن باشا مبلغاً قدره خمسون الف تومن عدا الهدايا التي ارسلتهـــا اليه. وقد اضاف هذا التاجر الى قوله بأن احد اقرباء عبد الرحمن باشا صرح في طهران بأن الباشا المومأ اليه، قد اتفق مع حاكم «سنة» على الهجوم على كردستان بكل ما لديها من قوات، وقد يهدد ايضاً بغداد.

ولما كانت الاخبار تحتمل الصدق والكذب، وسواء أكان هذا الخبر صادقاً أم كاذباً، فان الحكمة تقضي بوجوب اتخاذ الاحتياطات الضرورية بوجه العدوان قبل حدوثه، وبمـا ان قطع العلاقات مع الحكومة الايرانية وفتح باب الجدل والقتـال بين الطرفين يستوجب الحصول على موافقـة الدولة العلية وطلب تجهيز الجيوش الكافية للاستعانة بها، فقد كتب الوزير الى الجهات المختصة في استانبول بجميع التفصيلات، وطلب اليها ان تمده بكل مــا يحتاج اليه من مال وعتاد وعساكر، وبعدئذ قـام الوزير باعداد العدة لمقـابلة الشر بالشر، وعقد لواء رئيس الاغوات محمد امين آغا وسيّره امامه، وكتب الى متصرف بابان خالد باشا يعلمه بالحـــالة ويطلب مساعدته، وبعد اكمال التجهيزات الضرورية تحرك الوزير عن طريق ديالي وشهربان، وهناك التحق به كل من متصرف بابان خالد باشا ومتصرف درنة وباجلان عبد الفتـــاح باشا ورئيس القبلية حسن خـان، وعقدوا مجلساً استعرضوا فيـه الوضع وتذاكروا فيما يقدمون عليه، وكان معظمهم يرى التريث وانتظار تعليمات الدولة العلية، ولكنهم اتفقوا على مـا قرره الوزير لعدم تجاسرهم على مناقشته، وأعلموا الدولة العلية بقرارهم النهائي وهو الهجوم على ايران.

ثم واصلوا سفرهم الى قزلرباط، وبعـــد استراحة قصيرة التحق بهم بعض

العشائر وبقايا الجنود وواصلوا تقدمهم حتى زهاو حيث عسكروا فيها بانتظار جواب الدولة العلية ، ولما كان المؤمل ان موافقتها وتعليماتها لا تتعارض مع وجهة نظر الوزير ، فقد تحركوا ايضاً من هناك ، وبعد تمهيد الطرق الوعرة تقدم امام الجيش رئيس الاغوات بعساكره الخيالة تتبعه عشائر العقيل باتجاه الطاق ، وخلال تسلقهم الجبال والمرتفعات اقبل عليهم تاتار الدولة (التاتار هنا يعني ناقل البريد) حاملاً معه جوابها الى الوزير بعدم الموافقة على نقض معاهدة الصلح بين الدولتين ، وتأمره ان لا يتحرك ضد ايران ، واذا كان قد تحرك فعلاً فعليه ان يعود بجيوشه من المكان الذي وصل اليه ! فلم ير بداً من الامتثال وارسل الى القوات التي تقدمته بأن تعود فوراً .

خالد باشا يطلب العون والمدد

بعد ورود الاوامر القاضية بوجوب عودة الوزير والقوات التي معه وانسحابها فعلاً إلى الوراء ، بقيت قرب الطاق بعض القوات العشائرية التي سارت الى الامام في مقدمة الجيش وتخطت الحدود وبلغت ناحية مايدشت ، وقد أغارت القوات على تلك الناحية ونهبتها وارهبت سكان كرمنشاه ففر معظمهم نحو همدان حيث قام السكان باتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع . ووصلت اخبار هذه الحوادث الى الحكومة المركزية فأرسلت محمد علي ميرزا على رأس قوة كبيرة نحو جهة كرمنشاه لصد الهجوم ان كان هجوماً حقيقياً ، وإلا فالوقوف على الحدود للمحافظة عليها . كما اصدرت اوامرها الى حاكم « سنة » ان ينهض على رأس قوة عسكرية لا تقل عن ستة آلاف مقاتل والوقوف على اهبة الاستعداد، واقد تحرك في هذه الاثناء عبد الرحمن باشا من سنتو على رأس قواته نحو السليمانية حيث عسكر بالقرب منها بانتظار النتائج التي يأمل ان تكون بجانبه وقد تبعه كل من فرج الله خان وأمان الله خان .

ولما علم خالد باشا باقترابهم منه كتب الى الوزير يخبره بذلك ويستنجد به ،

ويطلب اليه ان يمده بمقدار من القوات النظامية ، وقد ورد كتابه الى الوزير بينما كان بالقرب من الطـــاق على أهبة العودة ، فأصدر اوامره الى متصرف كوي وحرير سليمان باشا والى سليمان كهية ان ينجدا خـالد باشا بقواتهما وما في كركوك من قوات نظامية واحتياطية تقدر بأربعة آلاف جندي . ثم عاد الوزير ببقية القوات عن طريق شروانة ومكث فيها يتسقط الاخبار .

أما سليمان كهية فقد حث الخطى للظفر بعبد الرحمن باشا ومن يتبعه قبل فراره ، وراح يقطع المراحل والطرق الوعرة ويصعد جبلاً ويهبط آخر، وطوى مسيرة خمسة أيام في يومين الى ان وصل شهرزور ، وتلاقى هنـاك بخالد باشا وقواته الزاحفة ، وقد التمس منه خالد باشا التوقف هناك ريثما تصلهم المعلومات الصحيحة عن حركات عبد الرحمن باشا ومقره ، الا ان سليمان كهية لم يذعن لهذا الرأي ، ولم يراع الشروط الحربية التي تتطلب من القـائد ان يتخذ الحزم والحيطة قبل الاقدام ، بل اراد ان يكون له قصب السبق ، فتحرك من هناك واجتاز الحدود وبلغ مكاناً يسمى مريوان من أعمال «سنة»، ووقف هناك ينتظر مجيء قواته التي بقيت خلفه ولم تلحق به الا بعـــد مرور ساعتين ، عدا الذين انقطعوا والذين يمشون الهوينا لما أصابهم من تعب وآلام ، ومع كل ذلك فقد التحم بقوات العدو وكان هو أمام الصفوف ، الا ان قواته بالنظر لما اصابها من تعب اخذت تتراجع مندحرة ، واحاطت بها قوات عبد الرحمن باشا فوقعت في الاسر هي وقائدها سليمان كهية ، وبعثوا بهم الى طهران .

وقد ورد هذا الخبر المحزن على الوزير اثناء وصوله شيروانة ، كذلك علم بهذه المرقعة محـافظ الحدود في كرمنشاه محمد علي ميرزا الذي كانت واجباته مقتصرة على محافظة الحدود، ولكنه لما بلغه انكسار قوات الدولة العثمانية تخطى هذه الحدود واتجه نحو زهاو ، وظل يتقدم حتى وصلت قواته حوالي قزلرباط واغارت على القرى ونهبتها .

ولما علم الوزير انتقل بقواته من شروانة الى كفرى ، وهنـاك وردت عليه

بعض الرسل الذين اوفدهم عبد الرحمن باشا للتوسط في طلب العفو ، فرحب بهم واجابهم الى ما يطلبون، ثم عاد الى بغداد وقد استغرقت سفرته هذه ثلاثة اشهر وثلاثة وعشرين يوماً .

سفر علي باشا الى الحلة وعودة سليمان كهية من طهران

بالنظر لما أصاب الوزير من غم وكمد بسبب اضطراره الى العودة بموجب الاوامر الواردة اليه من الدولة العلية فقد مرض بعد عودته من شيروانة، ونصحه الاطباء بوجوب تبديل الهواء ، في الوقت الذي وردت الاخبار بحركة الوهابيين نحو العراق ، فأراد أن يعالج الامرين ويضرب بحجر عصفورين ، وقرر السفر الى الحلة والسعي من هناك لانقاذ سليمان كهية من أيدي الايرانيين ، وكانت حركته من بغداد في اليوم الخامس من شهر شوال ، وعند وصوله الحلة بث العيون والارصاد ، وشكل الدوريات للمحافظة على الأمن في المدن والقرى ، مما جلب الهدوء الى النفوس . كما أثرت مساعيه لدى الدولة الايرانية اذ وافقت على اطلاق سراح سليمان كهية بعد ستة اشهر من أسره ، وحال وصول سليمان الى بغداد تحرك الى الحلة ليقدم شكره الى الوزير ، ثم عادوا جميعاً الى بغداد في اليوم الثاني والعشرين من شهر محرم الحرام .

ذكر وقائع سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف

لقد انعمت الدولة العلية على سليمان كهية بترفيعه الى رتبة مير ميران وتبديل لقبه من بيك الى باشا وذلك تقديراً لخدماته واخلاصه للدولة .



انتقال السلطان سليم خان الى دار البقاء
وجلوس السلطان مصطفى خان مكانه

لقد انتشر في الاقطار خبر انتقال السلطان سليم خان الى رحمة الله ، وجرت مراسيم اجلاس السلطان ابن السلطان مصطفى خان بن السلطان عبد الحميد خان مكانه، وصدرت التعليمات باقامة المهرجانات والزينات التي تقام عادة في مثل هذه المناسبات .

قتل علي باشا وقيـــام سليمان باشا بالوكالة

كان قد نزح من باطوم قبل ثلاث سنوات مدد بيـك احد وجهـــاء البلد المذكور ، فشمله الوزير برعـايته وغمره بفضله وأغدق عليه وجعله من المقربين اليه ، إلا ان هذا الشخص كان يحمل بين جنبيه نفساً خبيثة ، والنفوس الخبيثة تأبى إلا ان تسيء إلى من أحسن اليها ، فقد أكل الحسد والحقد قلبه ، وأضمر للوزير شراً ، واتفق مع مصطفى آغا وتسعة انفار آخرين استمالهم الى جانبه على اغتيال الوزير في اول فرصة .

وذات يوم خرج الوزير كعادته لتأدية فريضة الصبح، فسار مدد بيك خلفه الى المسجد، واخذ مكانه في الصف الاول قرب الوزير، ولما هوى للسجود وقال: « سبحـان ربي الاعلى وبحمده » هجم عليه مدد بيك وأغمد خنجره في صدره ، وعندئذ حدث هرج ومرج وانطفأت السرج وهرب أكثر المصلين وعلى رأسهم رئيس الخدم نصيف آغا ، وظل الوزير يعاني سكرات الموت حوالي ساعة ثم فاضت روحه .

ولما علم سليمان باشا الكتخدا أقبل الى محل الحادث وقـــام باجراء مراسيم غسل وتكفين الوزير ، ثم دفن في المدرسة التي شيدها بالقرب من السراي .

وكان عمره حوالي الخامسة والاربعين، ومدة وزارته خمس سنوات وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوماً بما فيها أيام وكالته. وهو من مماليك سالفه المرحوم سليمان باشا. وكان يحفظ كلام الله، ويلتزم الاوامر والنواهي الشرعية، متديناً ومبالاً للخير، مقرباً للعلماء وعفيف النفس، ذا طبع سخي، وشجاعاً غير هيّاب، وكانت فيه حدة.

أمـا القاتل وجماعته فقد هرعوا الى بيت نصيف آغا، ومن هناك نظموا مظاهرة وتقدموا بها نحو السراي وكان الغرض منها تنصيب نصيف آغا وكيلاً للوالي، الا ان الوجهاء والاعيان والعلماء أسرعوا وبايعوا الكتخدا سليمان باشا وأجلسوه مكان الوالي الراحل.

ونظراً لما يتمتع به المشار اليه من سمعة طيبة بين النـاس فقد مالوا اليه على اختلاف طبقاتهم، وارتضوه لهذا المنصب، ولما اقتربت مظاهرة نصيف آغا من السراي خرج عليها الجند والاهلون وفرقوها وظلوا يطاردون افرادها، فهرب بعضهم الى جهة النهر حيث عبروا الى الجـانب الثـاني بواسطة القفف، ثم قبض الجند على مدد بيك ومصطفى آغا وجماعتهما، الا ان الاخير فر جريحاً، ولقي مدد بيك ومن بقي من أتباعه مصيرهم المحتوم.

وقام العلمـاء والوجوه بعدئذ بتنظيم قرار باختيار سليمان باشا لولاية بغداد بالاجماع، وأرسلوه الى ذوي الشأن في الاستانة.

وعند انتشار خبر مقتل الوزير ووصوله الى اسماع عبد الرحمن باشا متصرف بابان، نهض حالاً واتخذ طريقه لاحتلال كويسنجق، ولكن متصرفها سليمان بيك كان قد استعد لمقابلته، ولما لم يتمكن من احتلالها عاد أدراجه.

أما متصرف بابان السابق خالد باشا الذي كان متوارياً عن الانظار ومقيماً في كركوك، فانه لما علم بالحادث ركب على رأس خمسمائة فارس وتوجه الى بغداد لاداء فروض التعزية، ونصب خيامه في محلة الميدان، وقد استقبله سليمان باشا خير استقبال، وشمله بلطفه وكرمه.

وعند عودة عبد الرحمن باشا يائساً من كويسنحق ، قام ببعض الاعمال التي تدل على تمرده ، واتجه بقواته نحو بغداد ، وبعد اجتيازه كفرى ووصوله قرب الخالص علمت الحكومة المركزية بحركته فسيرت نحوه حملة بقيادة الباش آغا ، والتحقت بها بعض العشائر المجاورة ، كما التحق به عبد العزيز بيك وهو أخو خالد باشا ومعه بعض أتباعه ، وهم حوالي الثلاثمائة مقاتل. فلما رأى عبد الرحمن باشا تقدم هذه القوات نحوه نكص على عقبيه وعاد من حيث اتى .

وقد تبين ان محمد افندي ابن لطف الله افندي كاتب الديوان كان يخون الدولة بتوجيه الكتب الثقيلة اللهجة الى متسلم البصرة سليم آغا لتنفيره وازاحته عن طريقه . كما اكتشفت مراسلة المومـا اليـه مع عبد الرحمن باشا واغرائه في الهجوم على البصرة لاحتلالها ، وقد القي القبض عليه وسجن في القلعة وعين بدله ولي افندي .

وخلال هذه الفترة وقعت أيضاً بعض الاضطرابات والحوادث والفتن في ماردين وضواحيها ، أوجبت اسناد ولايات بغداد والبصرة وشهرزور الى الصدر السابق يوسف باشا الذي بادر بارسال حملة بقيادة اخيه في الرضاعة احمد بيك الى تلك الجهات لتهدئة الاوضاع ، وكان اسناد هذا المنصب الى المشار اليه نتيجة لسوء تصرفات محمد افندي وتلاعبه بالمخابرات.

ذكر وقائع سنة ثلاثة وعشرين ومائتين والف
توجيه ولاية بغداد والبصرة وشهرزور الى سليمان باشا

سبق ان بينا ان الدولة العلية اسندت ولاية بغداد والبصرة وشهرزور الى يوسف باشا نتيجة للتزوير الذي ارتكبه كاتب الديوان محمد افندي ، ولما اتضح لذوي الحل والربط والمقامات العليا خيانة هذا الكاتب وورود مضابط العلماء والوجوه بترشيح سليمان باشا، عدا تلك التي قدموها قبلاً ، فقد عرض الامر على سرير الخلافة وصدر الفرمـان باجابة طلبهم ، وذلك بتعيين سليمان باشا لهـذا

المنصب بعد مرور حوالي الاربعة أشهر على اشغاله من قبل يوسف باشا .

وقد وصل هذا الفرمان بيد معتمد المابين محمد أفندي وكان ذلك في اليوم الرابع من شهر محرم الحرام .

وفاة السلطان مصطفى خان وتنصيب السلطان محمود خان

في هذه السنة ورد خبر وفاة السلطان مصطفى خـان الى رحمة الله واجلاس السلطان محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان مكانه ،
وقد اقيمت الافراح والمهرجانات كالعادة في مثل هذه المناسبات .

خروج سليمان باشا لقتـال عبد الرحمن باشا

استقر الوزير الجديد في وظيفته واستقام له الوضع ، واعلن الجميع اخلاصهم واطاعتهم له ، الا عبد الرحمن باشا الذي تمرد ولم يمتثل للاوامر التي يتلقاهـا من الوزير ، ولذلك قرر الوزير ابعاده عن البلاد وتعيين متصرف آخر بدلاً عنه .

ولاجل تنفيذ هذا القرار جهز عليه حملة وسار على رأسها نحو الجهة الشمالية، حتى بلغ محلاً يبعد نصف ساعة عن دربند وعسكر هناك . ولما كان عبد الرحمن باشا قد سد الطريق من هناك ، ولم يترك سوى ممر ضيق لا يتسع لمرور اكثر من شخصين ، وحصنه تحصيناً محكماً بحيث كان يعتقد ان قوة تقدر باكثر من خمسة آلاف مقـاتل لا تستطيـع اقتحام هذا السد ، فانه كان آمنـاً من هذه الناحية ، ولما علم بمجيء هذه الحملة واقترابها منه قـــام باتخاذ الترتيبات اللازمة لمقاومتها بما يملك من قوة .

إلا أن الوزير قد أحبط عمله اذ وجد طريقـاً من الجبل لمرور المشاة منه ، وقام ليلاً بتوجيه قسم من الجنود ومعهم حاميـات اربيل وكركوك وبعض الاكراد وعلى رأسهم محمد بيك آل خالد باشا والخزنـةدار محمد بيـك الموعود بمتصرفية كويسنجق ، وساروا على طريق الجبل، وسار من الجهة اليسرى سليمان

رأس قوة اخرى وتمكنوا من ارتقاء الجبل ايضـــا ، ثم توجه هو على باشا على رأس ما تبقى معه من قوات نحو دربند مباشرة ، وهجمت هــذه القوات مرة واحدة على المتمردين فزلزلت الارض تحت اقدامهم ، واندكت قلاعهـم ، وتهاوت حصونهم ، فتشردوا هنـا وهنا ، وظلت قوات خالد باشا وسليمان باشا تتعقبهم حتى قزلجة قرب الحدود الايرانية ، وقد استسلم اكثرهم . وبعد مرور بضعة ايام قضاها المشار اليهما في تعقب فلول العصـاة عادا الى المعسكر ، وهناك صدرت الاوامر بتعيين سليمان باشا متصرفاً على كوي وبابان ، وبتعيين محمد بك متصرفاً على كويسنجق ، وأذن لهما بالسفر الى مقر وظيفتهما ، وعاد الوزير الى دار السلام . وكانت مدة هذه السفرة شهراً واحداً وعشرين يوماً .

تحركات الوهابيين وخروج الوزير لمقاتلتهم

بالنظر لتوارد الاخبار عن تحرك عبدالله بن سعود الوهـــابي على رأس قوة كبيرة نحو العراق في وقت لم تكن لدى الحكومة أية قوة نظامية ، ولما كان جلب وتهيئة العساكر الكافية يتطلب وقتاً طويلاً ، فقد اتجه الوزير نحو الاهلين يذكي فيهم روح الحماسة ويدعوهم لنصرة الحكومة برد غارات الوهابيين عن البلاد، وجمع منهم قوة كبيرة جهزها بمـا تحتاج اليه من سلاح وغير ذلك ، وسار على رأسهم حتى وصل الحلة ، ومن هنـــاك ارسل عيونه وجواسيسه إلى كل جهة يستطلون اخبار الوهابيين وتحركاتهم ، ثم تبين ان اخبار مجيئهم الى العراق لم تكن صحيحة ، فعـــاد الوزير بمن معه إلى بغداد ، وكانت مدة هذه السفرة احد عشر يومـاً .

عزل سليمان باشا وتعيين عبد الرحمن باشا مكانه

لقد كان التجاء عبد الرحمن باشا على عادته الى حكومة ايران من التصرفات غير المرغوبة ، وكان الوزير يزمع ان يجرد عليه حملة عسكرية تعيده الى الطريق

المستقيم ، وذلك عندما تأكد من أن الحكومة الايرانية قد خصصت له عشرين الف تومن ، ودفعت اليه قسطاً من هذا المبلغ مقدماً ليستعين به على محاربة الحكومة المركزية، فلما وقعت حادثة دربند وهرب عبد الرحمن باشا الى دمنة، واتصل ثانية بحاكم ايران ليمده بمساعدته ويشمله برعايته ، لم ير بدأ من ارسال حملة اليه ، وقد سيرها فعلا بقيادة سليمان باشا . ومن جهة أخرى فان الوزير لم يبر بوعده لخالد باشا في تعيينه حاكماً على منطقة بابان وصرف نظره عنه ، بما آلمه واضطره الى الانزواء في كركوك ، ومن هناك أخذ يراسل عبد الرحمن باشا بصورة سرية ، ثم تحرك من كركوك على رأس قوة قوامها خمسمائة فارس متجهاً بها نحو كفرى وقرهتيه ، ومال من هناك الى زهاو والتحق بعبد الرحمن باشا . وعندئذ رأى الوزير من المصلحة اعادة النظر في امر عبد الرحمن باشا فأصدر أمره بتعيينه متصرفاً على مقاطعة بابان ، وعزل سليمان باشا وجلبه الى بغداد ، ثم جعله حاكماً على مقاطعات مندلجين وخانقين وعلي اباد .

اسناد ولاية الموصل الى احمد افندي الموصلي

لما كان احمد افندي من عائلة معروفة خدمت الدولة العلية مدة من الزمن، وتقلدت مختلف الوظائف من ولاية ومتصرفية وكتابة ديوان ، وتمرست بالأعمال ولها منزلة اجتماعية بين الناس ، وقد أبدى لباقة ومقدرة فائقتين في الاعمال التي أنيطت به سواء كان أكاتباً للديوان على عهد نعمان باشا الى عبد الجليل ، أم مرافقاً في الحملة التي هاجمت دربند ، فلهذه الاسباب كلها ولاصابة نعمان باشا بمرض الفالج الذي أقعده عن الحركة، فقد رشحه الوزير لمنصب ولاية الموصل وكتب بذلك الى الاستانة ، وقد وافقت الدولة العلية على ذلك ومنحته رتبة ميرميران وعينته والياً على الموصل ، وكان اول عمل له ان تحرك نحو ماردين لمقاتلة بعض العشائر المتمردة على رأس قوة من ضمنها قوات كويسنجق .

ذكر وقائع سنة اربعة وعشرين ومائتين والف

سفر سليمان باشا الى ديار بكر لمحاربة اليزيدية

لقد اتخذت عشائر الظفير واشقياء سنجار من اطراف اورفة مقراً لها ، وراحت تغير وتعتدي على النواحي المجاورة ، ثم اتسعت رقعة عدوانها حتى امتدت الى العراق . ولما كان فارس الجربا يحقد على هذه العشائر للأضرار التي اصابه منها ، فقد كتب الى الوزير يخبره بما تفعله هذه العشائر من اعمال مخلة بالأمن ومضرة بالبلاد، ويحرضه على الهجوم عليها وتأديبها، فكان لما كتبه فارس الجربا هوى في نفس الوزير ، وانه وان كان ذكياً ألمعياً وشجاعاً مقداماً إلا انه لم يزل في حاجة إلى خبرة في مثل هذه الامور ، وقد استجاب لهذه الدعوة وتحرك من بغداد على رأس قوة كبيرة ، وذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام ، فوصل الموصل ومنها اتجه نحو سنجار عن طريق تلعفر ، ووصل ليلاً الى اول قرية من قرى سنجار ، فهجم عليها ونهبها واستولى على ما فيها من ماشية وقتل رجالها وسبى نساءها ، ولما سمع اهل القرى المجاورة تولاهم الذعر وتجمعوا قرب الجبل ، فداهمهم الوزير بقواته وأخذ يشدد عليهم النكير ، ولكنهم ثبتوا في وجهه ولم يتزحزحوا عن أماكنهم ، ووقفوا وقفة المستميت ، ولما عجز عن دحرهم رأى ان يكتفي بما فعل ويتركهم ويتجه نحو عشائر الظفير عن طريق رأس العين ، ولما بلغها اتصل بالقوات التي تقدمته قبل شهر بقيادة متصرف الموصل احمد باشا ومتصرف كويسنجق محمد بيك ، وقد علم ان هذه القوات بما معها من قوات تيمور باشا ملتو وسليمان باشا وفارس الجربا كلها لم تفعل شيئاً ، ولم تحرز تقدماً على عشائر الظفير ، فساندهم بالقوات التي معه ، وتقدموا حتى بلغوا ناحية ديرك على حدود ديار بكر ، وضربوا خيامهم هناك ، ثم هجموا على المتمردين عدة مرات فلم يظفروا بطائل ، بل كانوا يعودون القهقرى ويفرون من الميدان مخذولين ، وقد حاول الوزير ان يضرب على

المتمردين نطاقاً يحاصرهم به فلم يتمكن ، واخيراً تركهم وعاد الى ماردين ، وأبقى هناك قوة كبيرة بقيادة اخيه من الرضاعة احمد بيك لمواصلة ضرب الاعداء وتشتيتهم .

ولما بلغ الوزير محلاً يسمى سلطان بابل أقام هناك بانتظار نتيجة عمليات الجيش مع المتمردين ، وبسبب رعونة احمد بيك وطيشه وغروره وهجومه على العشائر هجمة جنونية ، فقد قابلته جموعهم وفتكت بقواته فتكاً ذريعاً ، وفر قسم منها نحو ديار بكر وقسم نحو اورفه وقسم وعلى رأسه احمد بيك وسليمان باشا فروا هاربين نحو معسكر الوزير وهم بحالة يرثى لها، ولما رآهم الوزير انزعج كثيراً وقرر العودة ، ولما بلغوا نصيبين عسكروا بالقرب من نهر جغجغ على أمل ان يعود الوزير بقواته لتأديب عشائر الظفير والانتقام منهم ، الا ان الذين في معيته صارحوه بعدم امكان العودة للقتال ، واعتذروا بقولهم اذا اردت ان لا تطاع فأمر بما لا يستطاع ، وعندئذ اضطر الوزير الى العودة الى الموصل .

وعند وصوله حدثت فتنة بين أهل الموصل وبين الوالي احمد باشا ادت الى هرب الوالي المذكور ، فنصّبوا بدله اسعد بيك، واهين الوزير على تعيينه الوالي الهارب ، وعاد الوزير الى بغداد حزيناً وكانت عودته في اليوم الرابع من شهر جمادى الاخرة واستغرقت هذه السفرة خمسة اشهر ويومين .

نفي عبد الله افندي الخزنةدار وطاهر آغا الجوقدار

بالنظر لما كان يقوم به عبد الله افندي الخزنة دار وطاهر اغا الجوقدار من اعمال تدعو الى اثارة الاضطرابات ، فقد القي القبض عليهما ونفيا الى البصرة حيث اودعا السجن هناك .

ثورة امراء الموصل على احمد باشا وقتله

سبق ان بينا ما حدث في الموصل من الفتنة التي أطاحت بالوالي احمد باشا

بسبب سوء ادارته وتجاوزه حدود صلاحياته ، وبعد هربه من الموصل امره الوزير ان يعسكر هو والقوة التي تحت ادارته في المكان المسمى كشاف ريثما يفكر في امره ويحقق في القضية ، وقد ألحق به سليمان بيك فخري زاده ، الا ان هذا الاخير عاد الى بغداد من تلقائه . ولم يبق مع الوالي سوى مقدار من عشيرة شمامك ، وظاهر الحسن المفصول عن مشيخة طي ، وشيخ الغرير محمود الخليفة ، ومقدار من حامية اربيل ، ثم التحقت به حامية العمادية ، فاتجه بهذه القوات نحو الموصل وحاصرها وشدد حصارها واعتدى على القرى المجاورة لها ، وقد اضطر الموصليون الى الدفاع عن انفسهم وقابلوه وعلى رأسهم آل عبد الجليل ، وحشدوا ضد الوالي قوة كبيرة ، فلما رأى نفسه ضعيفاً استنجد بمتصرف العمادية زبير باشا ، فأنجده بمقدار من عشائر العمادية يبلغ عددهم الثلاثة الاف مقاتل فرساناً ومشاة ، وارسل على رأسهم اخاه موسى بيك ، واخيراً تقابل الجيشان ، جيش امراء الموصل وجيش احمد باشا ، فانكسر الموصليون ووقع عثمان بيك احد ابناء امرائهم اسيراً بيد قوات احمد باشا ، غير أن احمد باشا هذا قد اصيب بطلقة طائشة في اعقاب المعركة قضت عليه حالاً .

وقد استاءت الدولة العلية من تصرفات امراء الموصل ولا سيما اسعد بيك ، وامرت بارسال قوة لاخضاعهم ، وفعلاً ارسلت هذه القوة من بغداد بقيادة الاخ من الرضاعة ووصلت اربيل ، ومن هناك اتجهت نحو الموصل واشتبكت مع أهلها في حرب لم تثمر الثمرة المرجوة ، وأخيراً عينت الدولة العلية محمود بيك آل محمد باشا والياً عليها ، فهدأت الثورة وعادت الامور الى مجاريها .



ذكر وقائع سنة خمسة وعشرين ومائتين والف

قدوم محمد سعيد افندي حالت بمهمة خاصة

لقد وصل بغداد من الاستانة رسول الدولة محمد سعيد افندى حالت آل رئيس الكتاب السابق وذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادي الاول ، وقابل الوزير وسلمه رسالة خاصة والتمس منه الاجابة عليها باقرب وقت لكي يعود بالجواب إلى الاستانة ، وقد استقبله الوزير وأقامه في دار الضيافة ريثما ينتهي من تقديم الجواب .

إلا أن الوزير لم يبد منه ما يدل على اهتمامه في تنفيذ ما أمر به في الرسالة بالرغم من مرور مدة غير قليلة ، وأخذ يسوف ويعتذر ، ولما رأى محمد سعيد افندي تلكؤ الوزير في الجواب أخذ يحثه على الاسراع تلميحاً وتصريحاً ، وأخيراً راح يهدده بالنتائج الخطيرة التي تترتب على تأخير الاجابة ، مما أغضب الوزير وقابله بخشونة ثم طلب اليه العودة الى الاستانة على ان يرسل الجواب خلفه ، وحمله على العودة بصورة شبه قسرية .

تمرد سليم آغا متسلم البصرة

لقد كان متصرف البصرة سليم آغا مرتاباً من نوايا الوزير تجاهه منذ مقتل محمد افندي رئيس الديوان ، وكان يخشى بطشه ويضمر التمرد عند سنوح الفرصة . فلما قدم محمد سعيد بن حالت أفندي الى بغداد وعلم بمقابلة الوزير له بخشونة ثم ارجاعه بشكل غير لائق ، اتخذها ذريعة للتدليل على سوء تصرفات الوزير وأعلن العصيان عليه .

ولما علم الوزير بما فعله متسلم البصرة بادر الى عزله ، وأرسل اليه حملة بقيادة الاخ من الرضاعة أحمد بيك، لتاديبه وطرده وليقوم هو بوظيفة متسلم البصرة.

وبينما كان الموما اليه في الطريق بين الكوت والعمارة ، علم متسلم البصرة بالامر ففر هارباً نحو بندر ابو شهر ، وعندئذ لم ير أحمد بيك مـا يدعو الى الحملة العسكرية فأعادها الى بغداد ، مكتفياً ببعض القوات التي اختارها للذهاب معه الى البصرة وسار عن طريق النهر .

عودة محمد سعيد افندي حالت حاملاً فرماناً بعزل سليمان باشا

سبق ان بينا عودة محمد سعيد أفندي منزعجاً من أعمال الوزير الذي امتنع عن تنفيذ الاوامر الصادرة اليه من الدولة العلية .

ولما وصل الموما اليه الى الموصل قدم تقريراً مفصلاً عن الوزير وتصرفاته وتلكئه في تنفيذ أوامر المقام العالي ، وبقي في الموصل بانتظار الجواب .

أمـا الوزير ، فبالنظر لتصرفاته أثناء حملته على الظفير وسماحه لعساكره بالتعدي على السكان وأهل القرى الواقعة بالقرب من ديار بكر أثناء ذهابه ، والقرى الواقعة حول الموصل عند عودته ، ومضايقته لسكان الموصل انتصاراً لمحبوبه احمد باشا ، كل ذلك قد حمـل السكان والوجهاء والاعيـان على تقديم الشكاوى الى الاستانة في الوقت الذي وصل فيـه تقريـر محمد سعيد أفندي ، فكان ذلك مدعـاة لسخط اوليـاء الامور عليه ، وأصدروا قراراً بعزله فوراً وتعيين من يقوم بالوكالة . وقد أرسل القرار المذكور الى محمد سعيد أفندي للقيام بتنفيذ مـا ورد فيه على الوجه الذي يراه ، فاتصل الموما اليه بمتصرف الموصل محمود باشا ومتصرف بابان عبد الرحمن باشا، وبعد المذاكرة جمعوا قوة من عشائر طي وعلى رأسها الشيخ فـارس المحمدي ، وكذلك عشائر شمالك برئاسة أحد البيكات ، والتحق بهذه القوة عبد الرحمن باشا على رأس قواته من كركوك ، ثم التحقت بهم بعض عشائر العبيد والعزة والبيـات واتجهوا نحو بغداد .

فلما علم سليمان باشا بالامر بادر بالاستعداد للمقاومة ، وصمم على صد القوات وعدم الاذعان . وقد جمع ما لديه من القوات وسيرها امامه بقيادة فيض الله كهية .

وقد عسكرت هذه القوة في ناحية خرنابات ، واتخذت التحصينات والمواقع الحربية والاستحكامات وتهيأت للقتال .

ولما تقابل الجيشان لم يجسر احدهما على الهجوم ، وخلال هذا التردد ارسل محمد سعيد افندي من يخبر الفريق الآخر بصدور فرمان الدولة العلية بعزل سليمان باشا ووجوب تنفيذه ، كما ارسل من يخبر اهالي بغداد والاغوات الانكشارية عبد الرحمن آغا واسماعيل آغا بوجوب الثورة على الوزير المتمرد ، وقد امتثل هؤلاء الاغوات وانفصلوا عنه حالاً واعتصموا بالقلعة ، ولكن الوزير تمكن بمن معه من دحر المنشقين وتفريقهم ، ثم التحمت القوات وهرب فيض الله كهية بمن معه نحو بغداد ، الا ان القوات القادمة طاردته حتى وصلت الاعظمية فخرج الوزير شخصياً للاشتراك في محاربتهم ، واشتد القتال بين الطرفين ، وقتل في هذه المعركة عبد العزيز بيك احمد باشا زاده ابن عم عبد الرحمن باشا ، وقتل حوالي الثمانين محارباً واصيب حوالي المائة وخمسين جريحاً ، وعاد عبد الرحمن باشا مخذولاً . ولما اقبل الليل عاد الوزير ومن معه الى بغداد ، وارسل من يتعقب الفارين ، وعند وصوله الى الجانب الثاني من نهر ديالي غدرت به فرقة الدفاعي واغتالته ، ثم قطعت عنقه واتت الى عبد الرحمن باشا .

وقد كانت مدة وزارته ثلاث سنوات وشهرين وخمسة وعشرين يوماً ، ويبلغ من العمر عند قتله الخامسة والعشرين سنة ، وكان شجاعاً مقداماً بشوشاً متواضعاً حليماً وذكياً ، وان ما صدر عنه من الاعمال الطائشة كان وليد جهله وعدم خبرته بالامور .

تعيين عبد الله آغا الخزنةدار السابق والياً على بغداد

بينما ان الوزير سليمان باشا بعد عودته من حرب الظفير نفى كلاً من الجوقدار السابق طاهر آغا والخزنةدار السابق عبد الله آغا الى البصرة ، وقد عفا عنهما بعد بضعة اشهر وسمح لهما بالعودة الى بغداد .

غير انهما عند وصولهما الى القرنة بدا لهما ألا يعودا الى بغداد خوفاً من بطش الوزير ، وفرا من هناك نحو الحويزة ومنها الى جبال كردستان ، والقيا عصا الترحال عند عبد الرحمن باشا لمعرفتهما به وصداقتهما السابقة معه ، فرحب بهما وكانا بصحبته عند ذهابه الى بغداد لتنفيذ مهمة سعيد افندي .

وبعد الحوادث التي ادت الى مقتل سليمان باشا ، اتفقت كلمة عبد الرحمن باشا ومحمد سعيد أفندي على تنصيب عبد الله آغا وكيلاً للوزير ، ثم قبض على الخزنةدار اسماعيل آغا وكان اذ ذاك في خرنابات ، وصدرت الاوامر بعزل احمد كهية والحاج عبد الله بيك الكتخدا ، وعين الدفتري السابق داود أفندي الدفتردار والجوقدار السابق طاهر آغا خزنةدار ، ورئيس الانكشارية طاهر آغا الى وظيفته السابقة ، وقد حضرت الحشود كلها الى بغداد ، وجلس عبد الله آغا في كرسي الوزارة وكالة ، وبعد مرور شهر واحد حدثت فتنة كان المراد منها ازاحة عبد الله آغا وتنصيب ابن الوزير السابق سعيد بيك ، إلا انهـا فشلت وتشتت شمل القائمين بها وعلى رأسهم رئيس الانكشارية عبد الرحمن آغا ، وقد عين مكانه قاسم آغا أحد أعيان كركوك . ثم استقرت الاحوال ، وورد فرمان الدولة العلية بتعيين عبد الله اغا وزيراً ، واقيمت الاحتفالات الاعتيادية في مثل هذه الاحوال .

وفـاة محمود باشا متصرف الموصل

بعد مجيء الموما اليه الى بغداد مع الحملة اختل مزاجه واعتلت صحته ، واخيراً قضى نحبه ، وانتخب أحد أبنـاء عبد الجليل للقيام بوكالة الوالي في

الموصل، إلا ان مساعي محمد سعيد افندي لدى عودته الى الاستانة حالت دون تثبيته ، وصدرت الاوامر بتعيين سعد الله بيك آل حسين باشا اولاية الموصل.

ذكر وقائع سنة ستة وعشرين ومائتين والف

بناء على اتفاق عبد الرحمن باشا مع محمد سعيد أفندي فقد استصحب معه عند سفرتـه الى بغداد متصرف درنة وباجلان بطريقة شبه قسرية ، فكان بطبيعته الحال فاتر الهمة والرغبة في مشاركتهم بالحرب، وبعدمـا استقر الوضع اصدر عبد الرحمن باشا امراً بدون مشاورة الوزير عبد الله باشـــا يقضي بعزل المومأ اليه عن درنة وباجلان ، وبتعيين ابن عمه متصرف بابان السابق خالد باشا مكانه ، وقد أيد الوزير هذا الاجراء ارضاءً لعبد الرحمن باشا. إلا ان تصرفات عبد الرحمن باشا وأعماله لم تنل رضاء الايرانيين ، وجلبت استياءهم منه وغضبهم عليه ، وجهزوا حملة للهجوم على درنة وباجلان .

ولمـا علم عبد الرحمن باشا استأذن من الوزير – وكان اذ ذاك في بغداد – في العودة الى كردستان فاذن له ، وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر صفر .

وبعد عزل عبد الفتاح باشا قام ابنه الموجود في زهاو بجمع أتبـاعه والهجرة بهم الى محمد علي ميرزا الذي كتب الى الوزير يلتمس منه ان يشمله برعايته ويعيد اليه حقوقه واراضيه المسلوبة ، ولكن الوزير رعايةً لحقوق عبد الرحمن باشا لم يلتفت الى هذا الالتماس .

فلما عاد عبد الرحمن باشا الى كردستان كرر محمد علي ميرزا التماسه من الوزير بصدد قضية عبد الفتاح باشا وابنه، فكتب الوزير بذلك الى عبد الرحمن باشا يستشيره في الأمر ، الا ان هذا لم يعر القضية اهتماماً .

وظل محمد علي ميرزا يلح على الوزير بكتبه ، وأخيراً فترت العلاقات بين الوزير وعبد الرحمن باشـــا ، ثم انقلب الفتور الى نفور بسبب عدم اكتراث

باشا بالاوامر التي يصدرها اليه ، وقابله الوزير باهمال كل طلب يرد عبد الرحمن باشا خلافاً لرغبة عبد الرحمن باشا ان أبدل رئيس ، ومن جملة ما فعله الوزير خلافاً لرغبة عبد الرحمن باشا ان أبدل رئيس الانكشارية قاسم آغا ، وعين بدلاً عنه امير شط العرب سيد علي آغا، ثم عزل الحاج عبدالله بيك الكتخدا وعين بدلاً عنه الدفتري السابق الحاج محمد سعيد بيك، وهكذا اشتدت الحالة بين الاثنين ، وانقلبت الصداقة الى عداوة .

عزل عبد الرحمن باشا

بينا آنفاً ما حدث بين الوزير عبدالله باشا وعبد الرحمن باشا من فتور ، وقد استجدت امور اخرى باعدت بين الاثنين ، وذلك أن محمد علي ميرزا اخذ يلح بوجوب اعادة عبد الفتاح باشا الى وظيفته واراضيه ، خلافاً لرغبة عبد الرحمن باشا الذي جلب بكبريائه وغطرسته استياء الايرانيين وغضب الوزير في آن واحد ، الى درجة أن اتفق كل من الوزير وحاكم ايران على اجلاء المومأ اليه من الاراضي المجاورة لسنة وعزله . وقد جهزت الحكومة الايرانية قوة تقدر بستين الف مقاتل للهجوم على عبد الرحمن باشا واتباعه ، فما كان من عبد الرحمن باشا إلا أن قام بالمثل ، وجهز قوة بقيادة سليمان بيك ابن خالد باشا لمقاومة الايرانيين ، وتحرك هو من السليمانية على رأس قوة اخرى نحو زهاو .

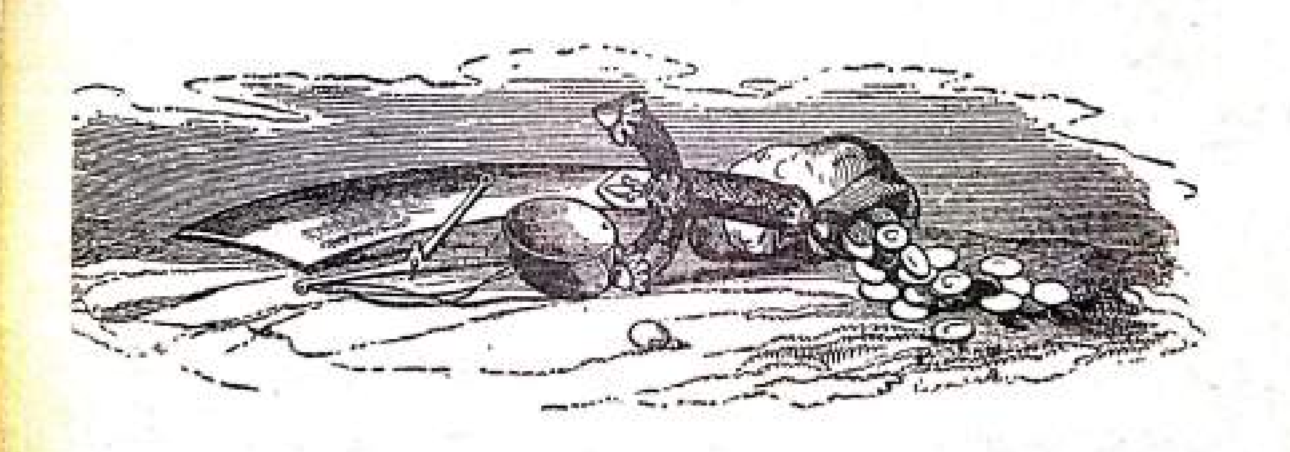
وبما ان الاتفاق كان قد تم بين الوزير والجهات الايرانية على نصب خالد باشا على كردستان بجملتها ، فان ابن الباشا المومأ اليه لما وصل الى مكان قريب من زهاو ، استقبله محمد علي ميرزا ورحب به وبالجيش الذي بمعيته ، فلما بلغ الخبر مسامع عبد الرحمن باشا صعق لهذه المفاجأة ، ولم ير بداً من الانسحاب والعودة فوراً الى كريسنجق هو وأتباعه ، واستقر فيها بعدما اتخذ التحصينات اللازمة حواليها .

ولما بلغت الوزير هذه المعلومات اصدر امره باسناد بابان وكوي وحرير الى خالد باشا ، وارسل هذه الاوامر بيد احمد جلبي .

وقد تقدم محمد علي ميرزا بقواته حتى اقترب من كويسنجق وحاصرها .

ولما كان تسلط محمد علي ميرزا وجنوده على هذا الجزء من البلاد يشجعه على الاستيلاء شيئاً فشيئاً على اقسام أخرى بصورة عامة وكركوك بصورة خاصة، فقد تقدم بعضهم الى عبدالله باشا وكاشفه بهذه النتائج التي تترتب على تقدم القوات الايرانية ، وعند ذلك ندم الباشا على ما فرط منه من التساهل تجاه الايرانيين ، وأصدر بياناً الى عشائر كردستان بوجوب الالتفاف حول عبد الرحمن باشا ، ومعاونته في انقاذ البلاد وايقاف الايرانيين عن التقدم واعادتهم الى ما وراء الحدود .

ولقد استغل عبد الرحمن باشا هذا البيان واطلع محمد علي ميرزا على مضمونه ، وعندئذ تصالح معه ووافق على اعهاد متصرفية بابان الى خالد باشا ، وكوي وحرير الى عبد الرحمن باشا ، وانسحب هو وقواته الى كرمنشاه ، وكانت مدة محاصرته لكويسنجق خمسة عشر يوماً .



ذكر وقائع سنة سبعة وعشرين ومائتين والف

فرار خالد باشا من السليمانية

سبق ان بينا ان احد ابناء حاكم ايران المقيم في كرمنشاه المدعو محمد علي ميرزا بعد حصاره مدينة كويسنجق مدة خمسة عشر يوماً تصالح مع عبد الرحمن باشا وسمح له بالعودة الى حاكمية كوي وحرير ، ووافق على اعهاد مقاطعة بابان لخالد باشا ، وعاد على هذا الاساس الى كرمنشاه ، ولما كان عبد الرحمن باشا قد وافق على ذلك مضطراً فقد بقي يرنو بعينيه نحو مقاطعة بابان ، وبعد مرور ثلاثة اشهر تحرك من كويسنجق بايعاز من بعض المقربين لمحمد علي ميرزا ، واتجه نحو السليمانية بحجة النزهة وتبديل الهواء ، ثم اخذ يدنو منها شيئاً فشيئاً ، فلما رأى خالد باشا هذا الزحف البطيء ، وعلم بما يبيته له عبد الرحمن باشا بمساعدة محمد علي ميرزا في الاستيلاء على السليمانية ، ولضعف القوة التي تحت يده وخشيته من الهجوم عليه بصورة مفاجئة ، فقد خرج من السليمانية وذهب الى زهاو ومنها الى مندلجين ، ومن هناك كتب الى الوزير يعلمه بتحركات عبد الرحمن باشا ، فقرر الوزير ان يسافر الى كردستان على رأس حملة عسكرية ليعيد الامور الى نصابها .

أما عبد الرحمن باشا فانه وان لم يدخل السليمانية فقد عسكر بالقرب منها في مكان يسمى سرخبار ، وكتب الى عبدالله باشا بعد فرار خالد باشا يعرض طاعته له وامتثاله لما يأمره به . وعندئذ هدأت ثائرة الوزير وأصدر أمراً بضم السليمانية اليه .

اما خالد باشا فقد استدعي للاقامة في بغداد وعهدت اليه ادارة مندلجين .

سفر عبدالله باشا لايقاف عبد الرحمن باشا

بما ان عبد الرحمن باشا كان من اوائل الذين سعوا لتعيين عبدالله باشا والياً على بغداد ، فان هذه الدالة عليه جعلته يعتقد بنفسه كأنه هو الوالي ، وركبه الغرور ولم يعد يأبه لما يتلقاه من الوالي من اوامر وتعليمات ، وراح يعمل كأنما هو الآمر الناهي ، وسمح لأتباعه ان يفعلوا ما يشاؤون ، فأخذوا يعتدون على القرويين في اطراف اربيل وكركوك يسلبون ويقتلون ، وتشجع رئيسهم فراح يحاول الهجوم على اربيل وضمها إلى الاراضي التابعة له .

وقد اوغرت هذه الاعمال صدر الوزير فلم يعد يطيق التغاضي عنها، وأصدر أمراً بعزله وتعيين خالد باشا متصرفاً على بابان ، وسليمان باشا متصرفاً على كوي وحرير ، ثم جرد حملة وسار على رأسها لتأديب عبد الرحمن باشا ، وخرج من بغداد في اليوم الحادي والعشرين من شهر جمادي الاولى ، ولما علم عبد الرحمن باشا قام هو ايضاً بالاستعداد لمواجهة الموقف، وخرج من السليمانية والغرور والجبروت ملء أهابه ، وظل يتقدم حتى وصل قرب كفري حيث التقى بحملة الوزير ، والتحما في حرب ضروس ابدى فيها دفتري بغداد داود افندي من الحمية والشجاعة والبسالة مـــا قوّى به قلوب افراد الحملة ، واخيراً انتصر الوزير ، وأوقع بقوات عبد الرحمن باشا ضرباً وقتلاً، وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، وقد فر عبد الرحمن باشا الى جهة كرمنشاه مع حوالي عشرين شخصاً تمكنوا من الافلات من الموت بأعجوبة بعد ان تركوا وراءهم كل ما كان في حوزتهم من سلاح وأموال وخيام .

وقد بقيت الحملة في مكانها بعد فرار الاعداء ثلاثة ايام ثم تحركت نحو كركوك . ولما كان كل من متسلم كركوك صاري مصطفى آغا زاده خليل آغا ، والقاضي عبد الفتاح أفندي ، والالاي بيكي محمود بيك ، وآغا بغداد

السابق قاسم آغا ، من الذين يمالئون عبد الرحمن باشا ويشدون ازره في الخفاء، وعمهم شيخ شمر ايضاً المسمى شاطي ، فقد قبض عليهم وعلى ثلاثة آخرين من عشيرة شمر وزجوا في السجن ريثما ينظر في امرهم . ثم سار متجهاً نحو اربيل ، ومن هناك حاول أن يواصل سفره الى الموصل ، ولكن سعدالله باشا حضر في هذه الاثناء والقى بنفسه عليه ، وطلب الصفح والعفو عما بدر منه ، فقبل معذرته وشمله بعفوه ، وسمح له بالعودة الى الموصل ، وعاد هو الى بغداد .

أما عبد الرحمن باشا فقد التجأ ايضاً الى الشاهزادة محمد علي ميرزا ، واستعاد ما كان بينهما من صداقة سابقة ، وارسل الى الوزير كتاباً يرجوه فيه ان يعفو عنه ، ولكن الوزير أعاد الرسول مع الاعتذار بعدم امكان النظر في أمر العفو عن عبد الرحمن باشا .

وقبل وصوله الى بغداد علم بفرار سعيد بيك احد اولاد المرحوم سليمان باشا نحو المنتفك بعد ان أعلم الناس بأنه خارج لاستقبال الوزير .

وقد استغرقت سفرة الوزير شهرين وعشرة أيام .

تحركات الشاه زادة محمد علي ميرزا

نظراً لالتجاء عبد الرحمن باشا الى الشاه زادة محمد علي ميرزا فقد قام هذا بعدة محاولات لارجاعه الى اراضيه والعفو عنه ، إلا أن الوزير لم يلتفت الى ذلك مما أدى الى استياء المومـا اليه ودفعه الى الحركة للهجوم على بغداد ، وقد تحرك فعلاً من كرمنشاه على رأس قوة كبيرة ، وظـل يتقدم حتى وصل قزلرباط ، وسمح لأتباعه بنهب القرى التي يمر بهـا والاعتداء على سكانها ، ولمـا وصلت اخباره الى الوالي استعد لمقـابلته ورده ، ولكن خروج سعيد بيك آل سليمان باشا قد شغل باله ، بالاضافة الى وجود مواقع اخرى تحول دون مغادرته بغداد ، واضطر الى الموافقة على طلب الشاه زادة بالعفو عن عبد الرحمن باشا ، وأعاد اليه مقاطعات كوي وحرير وبابان بعد ان نحى عنهـا خالد باشا وسليمان

باشا ، ودفع نصف التعويضات التي طالبه بها محمد علي ميرزا وتعهد بدفع النصف الباقي في اقرب فرصة ، وعندئذ عادت القوات الايرانية الى بلادها .

وبعد عودة القوات الايرانية استدعى اليه كلاً من خالد باشا وسليمان باشا واعتذر لهما للظروف القاسية التي اضطرته الى اتخاذ تلك الاجراءات ، وخصص لهما مقاطعات مندلجين وخانقين وعلي آباد مضافاً اليها مقاطعات شهربان وبلاد روزين .

سفر علي باشا الى المنتفك لضرب حمود الثامر

سبق ان بينا ان سعيد بيك احد ابناء سليمان باشا قد خرج من بغداد متجهاً الى المنتفك ، وقد أشيع انه انما خرج من بغداد خوفاً من بطش الوزير علي باشا . ولكن الوزير اعتبر خروجه من بغداد والتجاءه الى شيخ المنتفك خيانة وغدراً ، فقرر السفر على رأس حملة الى تلك الجهات ، وتحرك من بغداد في اليوم السابع والعشرين من شهر شوال مبتدئاً سفرته بالفلوجة لاستيفاء بعض الضرائب المستحقة على شيوخ الدليم ، وقد تمكن من استيفاء بعض هذه الضرائب والرسوم خلال بضعة ايام ، ثم واصل سفره الى الحلة ومنها الى الحسكة وعسكر هناك مدة لاكمال استعداداته وانتظار الذخائر الضرورية للحملة ، ولوصول اخبار اليه بخطورة مواصلة السفر في ذلك الوقت .

ولما أعياه الانتظار قرر التقدم مهما كانت الموانع والاسباب .



ذكر وقائع سنة ثمانية وعشرين ومائتين والف
مقتل علي باشا وطاهر كهية

قلنا ان الوزير قرر مواصلة السفر من الحسكة ، وقد ظل يسير بقواته حتى اقترب من ديار حمود الثامر . ولما علم هذا بدنو حملة الوزير استعد لها وجمع الجنود والعشائر الموالية ، وخرج من المنتفك على رأس قوة تبلغ العشرين الفاً من المحاربين المشاة والفرسان، وأقام في مكان يبعد ساعتين عن سوق الشيوخ ، ومن هناك اخذ في مراسلة الوزير طالبـــاً منه ان يعفو عنه ويغفر له . وكان الغرض من ذلك اخفاء مـا يضمره من نية الهجوم على الوزير وقواته ، ولكن الوزير لم يجبه على مراسلته ، وظل يتقـدم حتى وصل موقعـاً يسمى غليوبن ، وهناك تصادمت القوتان وراح بعضهم يرشق بعضاً بالمدافع والبنادق من الصباح الباكر حتى الظهر ، وقد ابدت الحملة من الشجاعة والبسالة مـا جعلها تتفوق على العشائر ، فأخذت تفر من هنـا ومن هناك ولم يبق في الميدان سوى سعيد بيك آل سليمان باشا على رأس قوة تقدر بثلاثين فارساً .

فلما رآه الجنود الذين كانوا بمعية والده عرفوه وتذكروا نعمته عليهم ومالوا نحوه والتحقو به لنصرته ومعاونته ، ممـــا شجع بعض العشائر على الالتحاق به ايضاً ، واغاروا على الوزير وحملته ، واوقعوا بهم وغنموا اثقـالهم ومعداتهم ، فاضطر الوزير الى الفرار هو والكتخدا طاهر كهية وحوالي المائتين من أتباعهم نحو بغداد . وفيا هم في طريق عودتهم ظفرت بهم العشائر التي كانت قد فرت من المعركة في بداية الامر ، واحاطت بهم من كل جانب ، وحالت بينهم وبين مواصلة السفر . وفي هذه الاثناء حضر أخو حمود الثامر وهو محمد السعدون على رأس مائة فـــارس ، ونادى على الوالي وجماعته ، ثم دنوا منه ومن جماعته ، وانزلوهم تلك الليلة في مخيماتهم ، وساقوهم صبـاحـــاً نحو سوق الشيوخ مقيدين مخفورين، وبعد مرور يومين قبضوا أيضاً على سليمان آغا الذي كان قد قتل احد

ابناء حمود الثامر وضموه الى الوالي ورفيقه طاهر كهية ، ثم قتلوا الثلاثة وقطعوا اعناقهم وأرسلوها الى رئيس القبيلة .

والوزير علي باشا هو من مماليك المرحوم سليمان باشا وكان يبلغ من العمر حوالي الخمسين عامـــاً، ومدة تقلده الحكم مع مدة الوكالة سنتان وخمسة اشهر وثمانية عشر يوماً .

وزارة سعيد بيك ابن سليمان باشا

كان سعيد بيك في الثانية عشرة من العمر عندما قتل المرحوم والده سليمان باشا ، وكان برغم حداثته يزاول بعض الوظائف التي ينيطها به ابوه، وكان بعد مقتل أبيـه قد انزوى في بيته وأهمل امره من قبل علي باشا الذي لم يرع لابيـه حرمة باسناد بعض الوظـائف له ، كما انه لم يطلب عملاً من اعمال الحكومة . واخيراً تقدم بعض الوجوه الى الوالي يلتمسون منه ايجاد وظيفة له رعاية لحرمة والده ، فوافق على ذلك وعينه وكيلاً له عند تغيبـه لمدة يوم أو يومين ، ثم تركه في زوايا النسيان مرة اخرى فكان يقضي أوقاته في بيته شبه سجين .

ومع انه لم يكن ليطمح الى ارتقاء منصب والده ، الا ان بعض وجوه البلد وعلى رأسهم فيض الله كهية حببوا له العدول عن هذه العزلة، ووسوسوا له ان الوالي عبد الله باشا يضمر له السوء ، ويحاول ان يزيحه عن طريقه لئلا يغالبه في ارتقاء منصب الولاية مكان ابيه . وحملوه بهذه الوساوس على مغادرة البـلد واللجوء الى شيخ عشائر المنتفك كما تقدم ذكره .

ولما انتهت موقعة علي باشا تقلد سعيد بيك قيادة الحملة وعاد بهـــا الى بغداد مستصحباً معه شيخ المنتفك حمود الثامر . وكانت عودته الى بغـداد في اوائل شهر ربيع الاول. وبمـا ان رئيس الانكشارية في بغداد سعيد عليوي آغا كان من اتباع عبدالله باشا والمحسوبين عليه ، فقد توجس خيفة من قدوم سعيد بيك على هذه الصورة ، وكاد يقوم باثارة فتنة قبل مجيئه، إلا أن الوكيل درويش

بيد آغا حال دون ذلك وطمأنه وهدأ من روعه .

وحين بلغ سعيد بيك ناحية الدورة القريبة من بغداد ، اسرع لاستقباله الوجوه والاعيان والرؤساء والعلماء ، ودخل بغداد باحتفال مهيب برهنوا به على حبهم لأبيه الراحل وطاعتهم له ، وأدخل الى السراي الخاص بالوزير ، وأقاموه هناك وكيلاً للوالي ، وكتبوا بذلك الى الجهات المختصة في الاستانة . وبالنظر لرغبة اهل الحل والعقد في بغداد، ولخدمات ابيه الجليلة للدولة العلية، فقد صدر الفرمان بتعيينه والياً على بغداد والبصرة وشهرزور برتبة وزير ، ووصل هذا الفرمان بيد رئيس المابين الحاج حسين آغا يرافقه محمد آغا معتمد سعيد افندي. وكان وصولها الى بغداد يوم الخامس عشر من شهر شوال .

وكان مما فعله الوزير الجديد ان اقر كل موظف بوظيفته ، وأبقى كل شيء على ما كان في بداية الامر ، ثم بدا له ان يجري بعض التبديلات التي رآها ضرورية ، فعين داود افندي دفتري بغداد وكيلاً للكتخدا مكان طاهر كهية ، وعين ملتو عمر آغا رئيس الاغوات السابق بوظيفة كهية ، وعزل متسلم البصرة رستم آغا ونصب بدلاً عنه السيد سليمان بيك فخري زادة.

وبما ان داود افندي من الموظفين البارزين ومن الرجال الذين يتفانون في تأدية الواجبات ، فقد كسب رضاء الوزير وجعله موضع ثقته واعتماده ، وأناط به كثيراً من الاعمال الهامة. ثم عزل الخزنه دار خليل آغا وعين بدلاً عنه لطف الله آغا ، ولكنه عاد وعين خليل آغا متسلماً لكركوك، وجلب آغا القرنة السابق المقيم في المنتفك سيد خضر آغا وعينه آغا لبغداد لما سبق من خدماته واخلاصه، وذلك بعدما عزل سعيد عليوي آغا بسبب صدور بعض المخالفات منه ونفاه الى البصرة .

وفاة عبد الرحمن باشا وتعيين ولده خلفاً له

كان عبد الرحمن باشا قد اشتد عليه المرض ، واخيراً ورد خبر وفاته ،

وقد تقدم امراء كردستان واعيانهـا ومشايخها ورؤساء قبائلها باقتراح الى الوالي لتعيين اكبر اولاده محمود بيك مكانه ، فوافق الوالي على طلبهم وأصـدر أمراً بتعيينه حاكماً على بابان و كوي وحرير مع لقب باشا خلفاً لأبيه .

سفر سعيد باشا لمقاتلة عشيرة الخزاعل

نظراً لما كان يقوم به شيخ الخزاعل من اعمال ثورية ، فقد قرر الوزير ان يقصد تلك الجهات لاعادة الامن الى ربوعها ، والضرب على أيدي هذا الشيخ .

وقد تحرك من بغداد على رأس حملة عسكرية في اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة ، ولما بلغ الحلة نصب خيـامه وأقام هناك لاكمال الاستعدادات الضرورية لهذه الحملة قبل مواصلة سفرها الى الجهة المقصودة .

ذكر وقائع سنة تسعة وعشرين ومائتين والف

بينّا آنفاً ان الوزير قد أقام في الحلة لاكمال الاستعدادات ، إلا انه بالنظر لبعض الموانع ظل مقيمـاً في الحـلة ، ثم عدل عن السفر الى الخزاعل واكتفى بارسال كتاب إلى الشيخ يدعوه فيه الى الطاعة ، وبعد التهديد والوعيد اذعن الشيخ المذكور وتعهد بدفع مـــا عليه من الاموال الامـيرية ، وعلى قاعدة (قد رضينا من وصالك بالوعود) فان الوزير وثق به وعاد الى بغداد بعدما أقام في الحلة مدة شهرين .

وقد سعى لديه بعض الذين تقربوا من الوزير بطرق ملتوية ضد داود افندي، وحملوه على عزله من الدفتردارية ، واقامة الدفتري السابق الحاج محمد سعيد بيك مكانه .

ولقد بينّا في مكان سابق ان عبد الرحمن باشا عندما تسلط على بغداد هرب منها كل من محمد آغـا والاخ في الرضاعة احمد بيك خلال تلك الحوادث . ولكنهما بعدما علما بمقتل عبدالله باشا ، عادا الى بغداد ولقيا من لدن الوزير كل

وأعادهما الى وظيفتيهما السابقتين . وكان محمد اغا قد نفي من قبل علي باشا الى البصرة ، وفر من هناك واختار الاقامة في ابو شهر كل هذه المدة . ولما علم بعودة الامور الى مجاريها على عهد سعيد باشا دفعه الحنين الى الوطن فعاد بعد الاستئذان . أما اخوان عبد الرحمن باشا وهم عبدالله بيك وأحمد بيك وعمر بيك فقد فارقوا محمود باشا ابن اخيهم ورحلوا الى بغداد وارسلوا أتباعهم للاقامة في كركوك وضواحيها .

تعين داود افندي قائداً على الحلة والحسكة

لقد كانت عودة الوزير من الحلة ، وانصراف رغبته عن مواصلة السفر الى الخزاعل ، مدعاة للقال والقيل وباعثاً على الاعتقاد بضعف الحكومة وخوفها من العشائر ، مما شجع عشائر الجزيرة والشامية على الثورة ضد الحكومة سالكين سبيل الخزاعل والزبير ، وتبعتهم العشائر النجدية : الجربا والظفير والرولة ، واقتربت هذه العشائر شيئاً فشيئاً من المدن العراقية كالعتبات المقدسة والحلة .

ولم تتخذ الحكومة أي اجراء لأعادة الامن الى نصابه ، فزاد سكوتها المتمردين تجامراً واقتربوا من مدينة الكاظمية والجانب الغربي من بغداد .

ومن غريب الاتفاق مجيء ما يقرب من الاربعين الف زائر من الديار الايرانية في تلك الظروف المحفوفة بالمخاطر لزيارة العتبات المقدسة ، وتحرش الزوار بهم مما اضطرهم الى التكتل والمكوث في العتبات المقدسة في شبه حصار ، لعدم تمكنهم من التنقل من بلد الى بلد .

وكان بين هؤلاء الزوار حرم حاكم ايران وعياله مع جماعة من رؤساء الحكومة الايرانية وخوانينها ووجوهها .

ولما ضاق عليهم الامر اتصلوا بالحكومة المحلية وبالوزير مباشرة لايجاد مخرج لهم ، ولتأمين نقلهم وعودتهم بعد اداء الزيارة . وعندئذ فقط تحرك الوزير ورأى من الضروري اتخاذ اجراء فوري لضبط النظام واعادة الامن الى هذه

الامكنة التي يرتادها الاجانب من كل مكان للزيارة ، وقرر بعد التداول مع جماعته ان يعهد بمعالجة هذه الاوضاع الى داود افندي الدفتري السابق ، وعينه قائداً على حملة عسكرية قوية .

وقد امتثل المومأ اليه وخرج من بغداد في اليوم الرابع عشر من شهر ذي القعدة متجهاً نحو الحلة ، ولما انتشر خبر قدومه بين الناس تهيب الثوار وفروا نحو البوادي من غير قتال ، وبذلك عاد الامن الى المسالك والمدن ، وتنفس الناس الصعداء ، ثم ارسل عدداً من قواته الى كربلاء لتأمين جلب الزوار من هناك ومرافقتهم الى النجف الاشرف واعادتهم ثانية الى الحلة ، مع تأمين وصولهم الى بغداد في طريق عودتهم الى ديارهم سالمين آمنين .

وبعد اكمال هذه المهمة سافر الى الحسكة ، وعرج في طريقه على عشيرة زبير وعزل شيخها لاخلاله بالامن ، وعين بدله شيخ شفلح الشلال ، وأخذ عليه عهداً بوجوب المحافظة على الطرق ونشر الامن في كل مكان ، ثم هجم على عشيرة الواوي وأوقع بها لاعتدائها على الآمنين ، والقى القبض على شيخها وفر افرادها بأرواحهم الى الادغال والانهار ، واستولت الحملة على اغنامهم ومواشيهم واموالهم وارسلتها الى بغداد ، ثم ضربت الحملة خيامها بالقرب من الديوانية .



ذكر وقائع سنة ثلاثين ومائتين والف

سبق ان ذكرنا ان داود افندي قد عسكر في ضواحي الديوانية ، وقد كان مكوثه هناك بقصد الراحة والاستعداد لمواصلة سفره نحو عشائر الخزاعل الذين عادوا الى التمرد بعدما امنوا من وصول الحملات اليهم منذ وزارة علي باشا ، وامتنعوا عن دفع الضرائب المستحقة عليهم ، الا ان ما ابداه داود افندي من الشدة قد بعث في قلوبهم الرعب والرهبة ، وخافوا مغبة اعمالهم فانكمشوا في ديارهم ، ثم راح شيوخهم يتسللون لواذاً نحو المعسكر لاعلان الطاعة ، ويتعهدون بدفع ما عليهم من رسوم واموال اميرية ، وقد دفعوا فعلاً قسطاً منها مقدماً .

وقد رأى القائد داود أفندي ان الاحوال الحاضرة تستوجب الرأفة بهم فأجابهم الى مبتغاهم وصفح عنهم ثم نظم امورهم ، وبعد ان كان عازماً على الهجوم على افخاذ ملوم من عشائر الخزاعل ، انصرف عن ذلك وقرر العودة بجيوشه الى بغداد .

غير انه رأى ان يستأذن من الوالي في امر العودة ، وعلى هذا بقي هناك بانتظار التعليمات ، فأثار مكوثه في تلك الانحاء عشيرة ملوم خوفاً من هجومه عليها ، ودفعت بأكابرها ومن جملتهم محسن الغانم الى عرض خضوعهم، فعفا عنهم ، وبعد تنظيم امورهم عاد بجملته الى بغداد ، وكانت عودته في نهاية شهر صفر الخير، واستغرقت سفرته ثلاثة اشهر وستة عشر يوماً ، وكانت نتائج هذه الحملة على جانب عظيم من الاهمية لأنها وطدت اركان الحكم ، ونشرت الامن في البلاد ، وأعادت الطمأنينة الى الناس ، وقد توثقت اواصر الصداقة بينه وبين الوزير الى درجة ان عهد اليه بأكثر أمور الدولة. وكان الوزير قبل عودة داود افندي قد عزل وكيل الكتخدا درويش آغا ، ونصب متسلم البصرة السابق الحاج عبدالله آغا مكانه .

وقد كان لما ابداه خالد باشا متصرف بابان سابقاً من فتور في سفره الى الحلة بمعية سعيد باشا في اواخر سنة ثمانية وعشرين ومائتين والف وقع غير طيب في قلب الوزير ، أما عبدالله بيك اخو عبد الرحمن باشا الذي ابدى من الحماس والاستعداد ما لا مزيد عليه اثناء مرافقته لداود افندي في حملته على الخزاعل ، فقد توثقت بينه وبين داود افندي عرى الصداقة وصار موضع الثقة لدى الجميع.

أما خالد باشا فقد كفت يده واخذت منه مقاطعات مندلجين وخانقين وعلي اباد ، وأسندت الى عبدالله بيك ، ومع ان العفو قد صدر عنه بعدئذ إلا أن تلك المقاطعات لم تعد اليه .

وفي اواسط عهد وزارة المرحوم علي باشا ، كانت الدولة العلية قد أصدرت أوامرها الى بعض القطعات العسكرية للتوجه الى العراق لرد غارات الايرانيين على البلاد العثمانية ، فكان من نتيجة ذلك ان استولى الرعب على الحكومة الايرانية ، وأسرعت في الانسحاب من اطراف كوى وحرير ودرنة وباجلان، وعهدت بأمر معالجة الاوضاع الى سعيد باشا .

وقد عين سليمان باشا متصرف بابان السابق حاكماً على كوى وحرير ، ومحمد جواد باشا على درنة وباجلان . وبقي الحاج عبدالله آغا خمسة اشهر بوكالة الكتخدا ، ثم نحي عنها وأعيد درويش محمد آغا الى الوظيفة المذكورة .

ووقع خلال هذا الوقت اعتداء على المزارع وبعض المقاطعات التابعة للحلة من قبل بعض الاشقياء، فأوعز الى خالد باشا ان يرسل عدداً من اتباعه لتأديبهم، فارسل ولده محمد بيك على رأس خمسمائة مقاتل الى بغداد ومنها الى نهر الشاهي لاعادة الامن والنظام الى تلك الانحاء .

سفر سعيد باشا نحو الخزاعل

كان جاسم بيك الشاوي الذي نفي في عهد عبدالله باشا ، قد عاد فالتجأ الى شيخ عشائر الخزاعل ، ولما لم يجد الترحيب اللازم من جانب الشيخ سلمان

اضمر له الشر وراح يتحين الفرص للانتقام منه ، الى ان ورده كتاب من المحن الشيخ عباس الفارس أحد شيوخ الخزاعل ، يشكو فيه الشيخ سلمان المحسن ويعدد مثالبه وسوء اعماله ، فما كان من الشاوي الا ان قدم هذا الكتاب الى الوزير ، وراح يحرضه على الشيخ المذكور ويحثه على السفر لتأديبه واعادته الى جادة الصواب . وعلى الرغم من انه لم يبدر منه ولا من عشيرته بصورة رسمية اي تمرد او مخالفة تستوجب تجهيز حملة ضده ، فقد اخذ الوزير بكلام جاسم بك ، وجهز حملة قوية ترأسها وسار بها متجهاً نحو ديار الخزاعل ، وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر شوال .

وعند وصوله الى الحسكة اضطرب من قدومه شيخ الشامية مغامس الشلال ، فترك دياره وفر الى جهة مجهولة . ثم تقدم من الحملة احد شيوخ الخزاعل عباس الصقر ، وعرض خدماته على الوزير . أما الشيخ سلمان المحسن فقد تحصن وسط عشائر للوم ، ثم فر من هناك الى المدينة وسط الاهوار ، فوقعت عشيرة للوم تحت طائلة العقاب ، ودمرت الحملة كل مـــا يعود لسلمان المحسن من زروع وحاصلات ، وضربت خيامهـا في مكان يبعد نصف ساعة عن المحل الذي تحصن به سلمـــان المحسن ، وراحت تضيق عليه وتحاصره من كل جانب ، واخيراً اضطرته الى الفرار وتشتت جمعه في الاهوار ، وكان من المتعذر مواصلة تعقبه ، فعادت الحملة نحو جليحة لاستيفاء ما بذمتها من رسوم ، ولما تعذر عليهـا ذلك عاد الوزير بحملته عن طريق النجف الاشرف ، وبعد زيارة علي المرتضى الخليفة الرابع وزيارة سيد الشهداء الحسين المجتبى ، وصل بغداد وكانت مدة هذه الحملة شهرين وستة وعشرين يوماً .



ذكر وقائع سنة احدى وثلاثين ومائتين والف

اتفاق فارس الجربا مع الخزاعل

لقد أهمل شأن فارس الجربا وأتباعه من البدو والزقاريط والبعيج من جانب الوزير سعيد باشا مدة طويلة ، وحرموا من الرعاية التي كانوا يتمتعون بها من قبل اسلافه ، الامر الذي دفعهم الى ان يقفوا مع الشيخ سلمان المحسن شيخ الخزاعل بوجه الحملة ، واتفقوا فيما بينهم على ان يسرع كل منهم الى نجدة الآخر عند الحاجة .

فلما كان الوزير في طريق عودته الى بغداد حاولوا التصدي له ، إلا ان الشجاعة خانتهم فلم يفعلوا شيئاً ، وعادوا فتجمعوا ثانية في ديار الخزاعل ، والتحق بهم كثير من العشائر المجاورة ، فاتجهوا نحو الحلة بكل هذه الجموع ، واعلنوا الثورة على الحكومة ، وأغاروا على القرى وقطعوا الطرق ، ونشروا الفوضى والاضطرابات ، واعتدوا على المزارع المجاورة للحلة واستعدوا لاحتلالها.

فلما بلغت اخبار هذه الاعمال مسامع الوزير ، وذلك بعد وصوله الى بغداد ببضعة ايام ، ورأى ان عودته اليهم بعد تلك السفرة المضنية مما لا قبل له بها ، كتب الى شيخ المنتفك حمود الثامر ان يرد هذه العشائر ، فما كان منه الا ان اسرع بعشائره نحو بغداد والتمس من الوزير ان يمده بقوة رمزية من عساكر الحكومة فكان له ما اراد ، وأردف هذه القوة بقوة أخرى من عشائر العبيد والدريعي والظفير بقيادة جاسم بيك الشاوي ، واتجهوا نحو العشائر الثائرة فتلاقوا معها في أراضي لملوم والتحموا فيما بينهم ، فكانت الدائرة على العشائر الثائرة ، وكان من جملة القتلى ابن اخ فارس الجربا المسمى بنيان ، وانهزم الباقون الى الاهوار .

وكانت الحكومة قد عهدت امر المحافظة على الحلة واطرافها بمحمد بيك ابن

خالد باشا ، وأبدى الموما اليه من الخدمة والاخلاص مـا حببه الى الوزير ، ومن أجل ذلك عهدت مقاطعة اربيل الى أبيه ثم التحق به ابنه .

ونظراً لما أبداه متصرف كوى وحرير سليمان باشا من فتور وبرود في تلبية طلبات الحكومة ، فقد تم عزله وأعطيت المقاطعتـان الى محمد بيك ابن خالد باشا بالوكالة مع لقب باشا . فلما بلغ سليمان باشا ذلك جمع اتباعه وسافر بهم الى جهة كرمنشاه ملتجئاً الى الميرزا محمد علي .

وقد سافر محمد باشا وخالد باشا كل الى مقر وظيفته .

هيام سعيد باشا باحد الشبان

بالاضافة الى ان الوزير كان حديث السن والعهد وقلة الخبرة في تصريف الامور وتركه الحبل على الغارب ، فقد وقع في هوى احد الشبان وهو يدعى حمادى ويلقب بابن أبي عقلين العلوجي ، وزاد اهماله بسببه لشؤون البـلاد ، وصار الوزير تابعـاً وحمادى متبوعاً ، وبسط هذا يده في كل امر من امور الدولة الى ان دب الوهن الى جميع مرافقها ، ثم انتشرت الفوضى والاضطرابات هنا وهناك ، وكلما نبه الوزير الى ضرورة معـالجة الاوضاع وعرض عليه مـا وصلت اليه الحالة اعرض عن الناصحين ، واستمر سادراً في طيشه واهماله وسوء اعماله الى ان عمت الفوضى سائر الارجاء ، ففي النجف الاشرف اشتعلت شرارة العداوة بين الطائفتين الشمرت والزكرت ، وراحت احداهما تقاتل الاخرى داخل المدينة ، وامتد لهيب العصبية القبلية الى كربلاء وثارت الحزازات بين اهليها فحارب بعضهم بعضاً ، وكذلك الحال في مندلجين اذ فصموا عرى الطاعة وتمردوا على الحكومة وطردوا الضـابط الذي يتولى امورهم فيها . ثم أعقبتها كركوك وراح أهلوهـا هم الآخرون يحارب بعضهم بعضاً . واتسعت الفتنة ، وانتشرت الثورات في ارجاء البلاد ، وسارت الاحوال من سيء الى أسوأ مدة ثلاث سنوات .

ومما زاد الحالة حرجاً اصدار الوزير امراً عزل به محمود باشا متصرف بابان ، وعين مكانه احد اخوان عبد الرحمن باشـــا المقيمين في بغداد وهو عبدالله باشا بحجة انه أقدر على ضبط كردستان ، وسيّره الى كركوك مزوداً بسرية من القوات النظامية وعلى رأسها قائدها عبد الفتاح آغا .

ولما وصل المومأ اليه الى قرب كركوك نصب خيامه في محل قريب يسمى قزل دكرمان . فلما سمع محمود باشا بالأمر امتنع عن التخلي عن منصبه ، وجهز قوة كبيرة تحت قيادة احد اخوانه وهو عثمان بيك ، واتجه بهـا نحو دربند . وقد اتصلت اخبـار هذه الحركات بمسامع حاكم ايران فجهز جيشاً قوامه عشرة آلاف جندي وارسله من طهران لمعاونة محمود باشا الذي التحق هو ايضاً بالقوات التي تقدمته ، ونصب خيامه في دربند متحدياً عبدالله باشا ومتوعداً إياه في حالة محاولته الاقتراب منه .

أما عبدالله باشا ورئيس السرية التي برفقته فقد رأيا ان قواتهما ليست سوى شرذمة صغيرة امام هذه الجيوش الجرارة ، فانكمشا وظلا في حيرة من أمرهما .

وأما الوزير فبالنظر لسوء اعماله وتكاثر الشكاوى ضده الى الدولة العلية ، فقد قررت عزله وعينت مكان اقامته في محلة الشيخ بكر من محلات حلب .

ولكن الوزير ما زال في غفلة عن كل هذا ، وظل على غوايته وتهاونه في الامور ، وعاد عبدالله باشا الى كركوك وقبع فيها ، كما عاد محمود باشا بجيوشه الى مقر حكمه كأن الاوامر لم تصدر بعزله .

خروج داود افندي من بغداد غاضباً

ان هذا الرجل الشهم الغيور والذي تربى تربية عالية ، ودرس مختلف العلوم والفنون على ايدي العلمـاء ذوي الاختصاص ، قد تعرض لغضب الوزير بوشاية من صاحبه الشاب السفيه ، ونحـاه عن وظيفة الدفتردار ، فلم يتأثر لعلمه ان

الوزير مغلوب على امره ، ثم نحاه عن بقية الاعمال والوظائف التي كانت تحت ادارته ، كما اوغر حمادي صدره على متسلم كركوك السابق خليل آغا فنفاه بلا ذنب الى البصرة ، فاضطر الى الهرب من هناك والتجأ الى ايران ، كما اضطر متسلم البصرة السابق رستم آغا الى سلوك هذا الطريق بالالتجاء الى ايران ، وبالاضافة الى هؤلاء ضيق على رفيق صباه ومعتمده الخزنه‌دار لطف‌الله آغا فأحال نفسه على التقاعد ولزم داره ، وكثيرون غير هؤلاء قد نكل بهم بتحريض ذلك الشاب ، وترك بقية الموظفين في حيرة من أمرهم الى ان انتشرت اشاعة عزله. فكانت هذه الاشاعة بلسماً للقلوب المكلومة من الوزير ومن اعماله وتصرفاته ، وراح المخلصون والحريصون على المصلحة يترددون خفية على دار داود أفندي ويعرضون عليه أن يتولى الامر هو ، وقالوا له اننا نعلم بأنك لا تريد ان تخون احد ابناء سليمان باشا ، وقد كنت حتى الآن عند ارادتك هذه ولم يبدر منك ما يخالف ذلك ، ولكن الدولة العلية قد عزلته وأصبح في حكم العدم ، وانت تعلم ان الدولة لا ترسل والياً من العثمانيين لحكم هذه البلاد ، وانما ترجح ان يتولى العراق احد ابنائه الذين ولدوا فيه ، وليس فيهم من هو اقدر منك وأجدر على القيام بهذه المهمة ، ولا يوجد من يزاحمك عليها ، ولما كان أمر عزل سعيد باشا ما زال مجهولاً لدى العشائر ولدى اغلب السكان فعما قريب سينتشر ، وبانتشاره تعم الفوضى ولا يعلم الا الله نتائجها وستكون انت المسؤول ان لم تتداركها من الآن ، فكان المومأ اليه متردداً بين الاقدام والاحجام ، وفي هذه الاثناء اشتدت أعمال الوزير التعسفية وأوشكت البلاد على الانفجار ، وعندئذ نزل داود افندي على رأي الاكثرية ، ورفعت العرائض والمضابط الى الدولة العلية من الوجوه والاعيان والرؤساء مقترحين تعيينه والياً على العراق بدل سعيد باشا . ولكي يكون في أمن من غدر الوالي خرج من بغداد في اليوم الثاني عشر من شهر شوال ، وكان يصحبه حوالي المائة وخمسين شخصاً بينهم الاغوات محمد آغا وأخو سليمان باشا من الرضاعة احمد بيك وعبد القادر آغا ،

والضابط المفصول عنه رستم آغـا ، وكثير من الاغوات البارزين ، وكذلك عمر آغا ملّو زادة وجاسم بيك الشاوي . غير ان عمر آغا وجاسم بيك قد نقضا العهد لسوء طالعهما وخانا الجماعة فيما حصل الاتفاق عليه ، فكان عملهما هذا مدعاة لتخوف الآخرين وفتورهم وانكماشهم .

أما داود افندي فقد اعتزم تنفيذ الخطة متوكلاً على الله ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، واتجه نحو كركوك ، ولما بلغ ناحية زنكباد استقبله الناس بوجوه مستبشرة للأخبار التي وصلتهم عن عزل الوالي السادر في غيه وغوايته ، وأعربوا لداود أفندي عن حبهم إياه وشوقهم اليه، واستقبله الكثير من العشائر والطوائف ورحبوا به خير ترحيب وأعلنوا ولاءهم له، وقد تأخر في تلك الناحية بضعة ايام ثم واصل سفره الى كركوك ، وهناك تلقى كتاباً من محمود باشا آل عبد الرحمن باشا يقول له فيه انه يضع جميع قوات كردستان تحت امرته وقيادته ، ويرجوه ان يتفضل عليه بزيارة المنطقة الشمالية ليطلع بنفسه على مدى تعلق الاكراد بشخصه وبحكومة الدولة العلية . وبعد انعام النظر فيما يترتب على تلبية هذه الدعوة من النتائج الطيبة للبلاد وسكانها ، فقد مال الى قبولها وكتب له جواباً بذلك وسار نحو كردستان ، وخرج محمود باشا وأمراء كردستان ورؤساؤها ومعظم سكانها لاستقباله من مسافة ساعتين ، وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً ، وعينوا له ولحاشيته وأتباعه اماكن خاصة في دور الحكومة وفي دور السكن ، وراح الجميع يتبارون ويتسابقون الى خدمته والترحيب به .

أما الوالي سعيد باشا فان خروج داود افندي ومن معه من بغداد على تلك الصورة ، قد أقض مضجعه وأعاد اليه صحوه وصوابه ، واخذ يسترد بعض حريته من ربقة صاحبه حمادى ، اذ نحاه عن بعض المناصب التي منحها إياه ، وأعاد وكيل الكتخدا السابق درويش محمد آغا الى وظيفته، كما أعاد الخزنه‌دار يحيى آغا ويوسف آغا وعبدالله آغا كلاً الى عمله ، وأجرى بعض الترتيبات

لاسترداد ثقة الناس به. ولكن أعماله هذه جاءت بعد فوات الاوان والتغيرات لم تزدهم الا نفوراً منه ، فصار لا يثق بأحد ، وعين حرساً على أبواب المدينة لمنع الخروج منها الا باذن. ثم كتب الى شيخ المنتفك حمود الثامر يستدعيه اليه لينقذه من هذه الورطـة . وخلال هذه المدة كان داود أفندي قد استقر في السليمانية ، وكان موضع حفاوة واكرام من قبل العشائر والاهلين وعلى رأسهم محمود باشا الذي لم يدخر وسعاً في خدمته وكسب مرضاته وتأمين راحته ، كما توارد على السليمانية كل من متصرف كوي وحرير سليمان باشـــا ، ومتسلمي كركوك والبصرة السابقين خليل آغـا ورستم آغـا ، ومن اغوات بغداد سيد علي آغـا وجميع الاكراد الذين كانوا قد نزحوا الى ايران ، واعلن الجميع اخلاصهم وامتثالهم لكل مـا يأمرهم به ، ثم اعلن الكركوكيون والقوات الموجودة في كركوك اخلاصهم له ، ومن هنـاك اتفق ذوو الرأي على تقديم عريضة أيضاً الى الدولة العلية يرشحونه فيها لولاية بغداد وارسلوهـا صحبة ساع خاص .

وبعد ان قضى في السليمانية أربعين يومـاً تحرك الى كركوك يصحبه محمود باشا وسليمان باشا وما يتبعهما من قوات ورؤساء ، وقبل الوصول الى كركوك بثلاث ساعات استقبله دفتري بغداد عمر بيك آل الحـاج محمد سعيد بيك مع جماعته وأتباعه ، وعرضوا عليه خدمـاتهم وطاعتهم . وعند وصوله الى ضواحي كركوك خرج لاستقبـاله متسلم كركوك الحاج معروف آغا ، والقـاضي والمفتي ونقيب الاشراف وجميع العلماء والفضلاء والاعيـــان والوجهاء ورئيس الانكشارية والآلاي بيكي والمتطوعون وغيرهم ، وتسارعوا في الترحيب بـه وعرض ولائهم عليه . وبالنظر لهذه الحشود العظيمـة والعساكر والعشائر ، فقد ضرب خيامه في مكان يسمى قزل دكرمن ، وهناك توافد الناس على اختلاف طبقاتهم للتحية عليه واعلان الولاء له .

١٨

عزل خالد باشا

أثناء مكوث داود أفندي في قزل دكرمان قرب كركوك كتب بعض الذوات الى عبدالله باشا يرغبونه في الالتحاق بالجماعة ، ولكنه أظهر الاعراض والتردد ، ثم ذهب هو وأتباعه الى بغداد ، وفي طريقه نهب أتباعه بعض قرى الاوقاف في ناحية خرنابات ، ثم وصل بغداد والتحق بسعيد باشا . وبعد وصوله بغداد حدثت فتنة كبيرة على أثر ورود فرمان بتنصيب الاخ في الرضاعة أحمد بيك وكيلاً للوالي ، وقد ادت هذه الفتنة الى تفكك بعض القوى من حول داود افندي ، فكانت مصادمات وحروب موضعية ادت الى اندحار القوات المنشقة ، واعتذار اهل كركوك لداود أفندي ، وان الاوامر التي صدرت بعزل خالد باشا لم تلاق قبولاً من وجهاء المنطقة ، مما اضطر عثمان بيك الى العودة على أعقابه لعدم تمكنه من الاستيلاء على كوي وحرير وتنحية خالد باشا عنها .

مجيء حمود الثامر شيخ المنتفك الى بغداد

بينا آنفاً ان عبدالله باشا كان قد واصل سفره الى بغداد ونصب خيامه في باب المعظم ، يرافقه حوالي الخمسمائة مقاتل ، وقد وصل بعد ذلك شيخ المنتفك حمود الثامر بناء على طلب سعيد باشا ونصب خيامه في الجانب الغربي من بغداد، وقد اعادت هاتان القوتان شيئاً من الروح المعنوية لسعيد باشا ، وراح يغدق من خزينة الدولة بغير حساب ، ودفع لكل منهما اكثر من اثنى عشر الف قرش ، وتكلف بالانفاق على أتباعهما أيضاً ، مما اثقل كاهل الخزينة وادى الى تذمر المسؤولين وبعث اليأس الى قلوب العساكر العثمانية ، ففروا تدريجياً نحو معسكر داود أفندي ، وكان من جملة الفارين أخو سعيد باشا صادق بيك .

ذكر وقائع سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف

ورود الفرمان بتوجيه الولاية الى داود باشا

لقد اثرت المساعي التي بذلها الاهلون والعشائر والرؤساء ، ولا سيما امراء الاكراد الذين قدموا العرائض والالتماسات الى المقامات العليا بيد ساع خاص الى الاستانة ، وصدر الفرمان البادشاهي بتعيين داود أفندي والياً على بغداد والبصرة وشهرزور مع رتبة وزير ، فكان لتعيينه رنة استحسان في سائر انحاء العراق ، واستبشر الناس به خيراً ، وعمت الافراح في كل مكان ، وتنفسوا الصعداء بزوال كابوس الوالي السابق الذي انغمر في لجة العتو والفساد والسفاهات وركب رأسه وسلم قياده الى غلام فاسد .

وقد ورد هذا الفرمان بيد محمد آغا معتمد سعيد أفندي مستشار الدولة والساعي الخاص محمد سعيد آغا ، فردد الناس :

الحمد لله على فضله   قد وصل الحق الى اهله

أما سعيد باشا فانه أعلن العصيان ، ورفض الانقياد والتنحي عن مقامه ، وراح هو والقوات التي استنجد بها وهي قوات عبد الله باشا وقوات شيخ المنتفك يتخذ التحصينات والمواقع الحربية لمقاومة قوات داود باشا ، ولكن داود باشا آثر الصبر والهدوء وعدم التسرع والاندفاع لئلا تكون هناك حرب أهلية ، وترك الامور المعقدة تنحل من تلقائها ، وفعلاً ضاق السكان ذرعاً من الوالي وبدأت هتافاتهم تتعالى بسقوطه وبحياة داود باشا ، وخرجت بعض المظاهرات من باب الشيخ وأمامها حملة الدفوف والاعلام يستغيثون من سوء الحالة وضيق اسباب المعيشة وارتفاع الاسعار وانقطاع الطرق ، ثم عمت الفوضى ، وكثر السلب والنهب ، وراح المتنفذون يفعلون ما يشاؤون دون

رقيب أو حسيب ، ثم اضطروا الوالي الى ان يلجأ هو وأتباعه الى القلعة للتخلص من أيدي الثائرين ، ومن هناك شرع يدافع عن نفسه .

أما داود باشا فبعد ان تجول في ربوع كردستان كلها متفقداً ومنظماً لامورها ، حزم امره وقرر المجيء الى بغداد بناء على تردي الحالة هناك ، والتجأ اكثر الناس اليه حتى اخوان الوالي سعيد باشا ، والتمسوا منه ان يسرع لانقاذ بغداد وأهليها من المصائب التي حلت بهـــا ، وقبل قدومه اتخذ محمد آغا معتمد سعيد أفندي الاجراءات الضرورية للمحافظة على الامن ، وهجم على القلعة بما معه من قوات ، وقبضوا على سعيد باشا وغلامـه حمادي ، وقتلوهمـا تنفيذاً لاوامر الدولة العلية بسبب هذا التمرد على اوامرهـا ، وحزوا رأسيهما وارسلوهمـا الى الاستانة .

وكان عمر سعيد باشا خمساً وعشرين سنة وبضعة أشهر وبقي في الحكم أربع سنوات منها مدة عصيانه .

وقد دخل داود باشا بغداد باحتفال مهيب يوم الجمعة الموافق لليوم الخامس من شهر ربيع الآخر ، وبدخوله عمت الافراح واندفع الناس ينشدون :

هذا الذي كانت الامال تنتظر فليوفِ لله اقوام بما نـذروا

وما كاد يتولى الحكم حتى اخذ ينظم الامور ويؤسسهـا على قواعد جديدة حسبما تقتضيه مصالح البلاد والعباد .

واخذت تفد على الوالي الجديد جموع الوسطـاء لطلب العفو عن الذين زلت اقدامهم وبدرت منهم بعض المخالفـات من أهالي كركوك ، معلنين اسفهم على مـــا فرط منهم ، فنالوا من لدنه الصفح والتجـاوز عن سيئاتهم ، ومنهم الاخ بالرضـاعة أحمد بيك وخالد باشا وعبدالله باشا ، وهذان الاخيران القيا بنفسيهما على داود باشا فشملها بلطفه وآواهما في ضيافته ورعايته ، وخصص لكل واحد منهما مرتباً شهرياً قدره اربعة الاف قرش .

أمـــا الذين كانوا قد التفوا حول الوالي السابق وناصروه ، فقد استوجبوا

العقاب لانهم السبب في الاضطرابات التي حدثت والخسائر التي وقعت في الارواح والاموال ، ومن هؤلاء الكتخدا السابق درويش محمد آغا والحاج عبد الله آغا ودفتري بغداد الحاج محمد سعيد بيك ورئيس الكهية ملو عمر آغا والشاوي جاسم بيك ومن التجار نعمان جلبي الباجه جي ، ومن لف لفهم ممن سخطت عليهم الدولة لسوء تصرفاتهم وانقيادهم الى الفتنة ، وقد قبض على هؤلاء الا جاسم بيك الذي فر نحو عربستان ، واعدم منهم فوراً الحاج محمد سعيد بيك وملو عمر آغا وأرسل رأساهما الى الاستانة ، أمـا درويش محمد آغا وحاج عبدالله آغا فلما كان عمرهـا قد تجاوز السبعين ، وان انحيازهما الى جانب الوالي المعزول كان جبراً واكراهاً فقد عفا عنهما ، وكذلك عفا عن الحاج نعمان جلبي الباجه جي ، وصدرت الاوامر بالافراج عنهم واطلاق سبيلهم .

وبالنظر لسوء سلوك رئيس الانكشارية سعيد عليوي آغا ، وعدم انقياده وركونه الى السكينة والهدوء ، بالرغم من النصائح والارشادات ، واستمراره في مراسلاته للايرانيين وعلى الاخص الشاهزاده محمد علي ميرزا ، فقد القي القبض عليه ولقي حتفه ، وعين بدلاً عنه كاتب الانكشارية عبد الرحمن أفندي بالوكالة.

وخلال الفوضى التي كانت ضاربة اطنابهـا في البلاد ، كان أكثر العشائر قد خرج عن الطاعة ، فلما تولى داود باشا مقاليد الحكم اذعن معظمهم من تلقاء انفسهم الا عشيرة بني تميم وشمر البادي والرفـاعي والنجادة وبني عمير ، فأن هؤلاء قد اتفقوا فيم بينهم وتجمعوا بمكان قرب المحمودية وراحوا يشنون هجماتهم على ابنـاء السبيل يقتلون ويسلبون بالرغم من قربهم لمركز الحكومة .

وقد جرد داود باشا حملة وأرسلها الى بني تميم بقيادة عبد الفتاح آغا البلوك باشي ، وحملة اخرى بقيادة يوسف آغا وأرسلها الى عشائر شمر البادي والرفاعي والنجادة والبحر موسى ، وجهز ايضاً حملة اخرى بقيادة الباشي آغا السابق عبد الله آغا ، ورئيس الاسلحة مظفر آغـا نحو عشائر بني عمير ، وأوعز الى عبد الله بيك الشاوي ومتسلم كركوك السابق خليل آغا ان يلتحقا بالحملات المذكورة ويتوجها الى المحمودية .

فقامت هذه الحملات بواجباتهـــا خير قيـــام ، ومزقت جموع المتمردين ، واستولت على أموالهم وماشيتهم واتت بها الى بغداد بعد ان اعادت الامن الى تلك الربوع .

تمتع البلاد بالامن والاطمئنان في عهد داود باشا

لقد كانت الاحوال السياسيـة والاجتماعية تتردى يومـــاً بعد يوم على عهد الوزراء المغفور لهم علي باشا وسليمان باشا وعبد الله باشا ، وخاصة على عهد سعيد باشا الذي ذكرنا كيف ان نجمه آذن بالافول لانصرافـه الى اللهو والملذات ، وكل ذلك اما لقلة الخبرة وضعف القابلية وأما لجهلهم بكيفية ادارة البلاد، وقد اخذت الامور تفلت من أيديهم الى أيدي الانتهازيين الذين يتصيدون في المياه العكرة، ويتقربون الى الحكام والولاة بمجاراتهم في ميولهم مسايرتهم في اندفاعاتهم والتقرب اليهم بأية وسيلة كانت للتواصل الى أشباع اطماعهم ونزواتهم، ولا يهمهم ان يكيد بعضهم لبعض في سبيل الغلبة والسيطرة ، وبهذه الافعال والنزعات وصلوا بالبلاد الى حالة من التردي والفوضى تبعث على الاسى والاسف وتحز في قلوب الغيارى من أبنائها الذين كان لا يسمع لهم كلام ولا يؤبه لهم برأي ، ولم يجدوا أمـامهم سوى الهجرة عن الاوطـان او القبوع من زوايا دورهم لا يرون أحداً ولا أحد يراهم ، كما كثر الظلم والاعتداء على الابرياء ، وضـاقت سبل العيش ، واتسعت رقعة الفوضى والاضطرابات حتى شملت سائر الانحاء .

ولما كان لكل عسر يسر ، وان العناية الربانية لا تترك العباد والبلاد بلا تدبير ورعاية ، وان الله سبحـانه وتعـالى يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، فقد هيأ الاسباب لداود باشا ، وسهل له ان يتولى زمام الامور ويعيدها الى الطريق المستقيمة ، ويعالج عللها وأسبابها ، ويزيل ما يدعو الى تذمر الرعية وشكواها ، وكان لجهوده المشكورة كل الفضل في اقالة البلاد من عثرتها ، والضرب بيد من حديد على أيدي المشاغبين والمتزلفين، وبذلك هدأت الفتن على

عهده، وتقدمت البلاد وعمها الرخاء والامن وراحة البال، واستقامت الاحوال، وانتشر العدل، واخذ العلماء من جانبهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤدون واجباتهم بفخر واعتزاز وحمية، وكثر منهم الوعاظ ينصحون ويرشدون ويرغّبون ويرهّبون، ويوجهون عباد الله الى الجادة المستقيمة والى التمسك بالاخلاق وتقوى الله والتحلي بالاداب ومحاسن السلوك والعادات، وقد انطلقت السن الشعراء بمدح الوزير والثناء على أعماله بمختلف اللغات، وقد جمعت هذه القصائد والمدائح في مجموعة سأبرزها للناس في كتاب على حدة. ولقد كان لشيقي خضر أفندي والاربللي عبد الله أفندي القدح المعلى في هذا الباب، ونالا من لدن الوزير ما يليق بهما من الاكرام لشعورهما الفياض، وخصص للاول راتباً شهرياً قدره ثلاثة الاف قرش، وعين الثاني حاكماً على أربيل وهو كل ما كان يصبو اليه ويتمناه.

خروج وكيل الكتخدا لمقاتلة عشائر الدليم

سبق ان ذكرنا ما وصلت اليه الحالة من الفوضى والانحلال في البلاد، وقيام العشائر باعمال التمرد، وكان من بين تلك العشائر عشائر الدليم التي ركبت رأسها وظلت سادرة في غيها وغوايتها، ولم تذعن للاوامر الرسمية، وتمنعت من دفع ما عليها من رسوم اميرية على عادتها من حين لآخر. فأصدر الوزير امراً بارسال حملة عليها بقيادة محمد آغا، وكان سفر الحملة من بغداد في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة، ولما علمت بذلك العشائر المقصودة استعدت وتحصنت، وعزمت على المقاومة ومقابلة القوة بالقوة.

ذكر وقائع سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين والف

ذكرنا فيما تقدم خبر خروج الحملة التأديبية الى عشائر والدليم، وقيام هذه العشائر بالتحصينات والاستعدادات واتخاذ المواقع الحربية لمجابهة هذه الحملة، وقد اتخذت مواقعها في أمكنة يصعب الوصول اليها لوعورة الطرق ولكثرة الموانع

الطبيعية ، وبالرغم من كل ذلك فقد تقدمت الحملة المذكورة حتى اقتربت منها، وعند ذلك بدى للعشائر ان مقابلتها لهذه الحملة يعرضها الى الهلاك اذ لا قبل لها بمقاومتها ، فركنت الى الاستسلام والخضوع ، وأرسلت كلاً من الشاوي عبد الله بيك ورئيس الفرسان عبد الفتاح اغا ليتوسطا في طلب العفو بعد التعهد بدفع كل ما كان عليها للحكومة ، وتمت الموافقة على ذلك .

وبعد مكوث الحملة حوالي الخمسة عشر يوماً في تلك الانحاء ، تمكنت خلالها من اعادة الامن وتنظيم الاحوال ، واستيفاء بعض الرسوم العينية من بقية القبائل ومن عشائر الجربا ، عرجت من هناك نحو الحلة ونزلت على نهر الفرات بالقرب من الهندية ، والغرض من هذا ضرب عشيرة اليسار التي كانت قد شقت عصا الطاعة ، ولكن هذه العشيرة ابدت بعض المقاومة ، وعندئذ هجمت عليها الحملة وشردتها واستولت على مواشيها ، ثم عادت الى بغداد وكانت عودتها في اليوم العاشر من شهر صفر .

وقد سر الوزير بالاعمال التي قامت بها ، وشكر قائدها محمد اغا ، وكانت مدة هذه السفرة شهرين وعشرة أيام .

ارسال حملة على عشائر شمر

نظراً لما قامت به عشيرة شمر من اعمال التمرد ، فقد تشكلت لمقاتلتها حملة قوية بقيادة محمد آغا الكتخدا الذي أبدى همة وبسالة في حملته السابقة ، وخرج من بغداد في الساعة الواحدة ليلاً . وظل يواصل سفره طوال تلك الليلة ونهارها حتى الظهر ، وبذلك قطع مسافة ثمانية عشر ساعة بدون توقف . ولما علمت العشيرة بدنو الحملة منها وأيقنت انها هي المقصود ، تفرقت حالاً وفرت من مساكنها ، وتركت امتعتها ومواشيها التي تبلغ بضعة الاف رأس من الاغنام والماعز . وعدداً من الجمال ، فاستولت الحملة عليها وسيرتها أمامها الى بغداد ، ثم عادت وقد استغرقت هذه السفرة ثمانية أيام .



صورة من بغداد القديمة

عزل أحمد باشا والي الموصل

لقد جلب أحمد باشا والي الموصل بسوء تصرفاته وبأعماله الكيفية استياء الوزير وغضبه ، فكتب عنه الى الدولة العلية مقترحاً عزله وتعيين محل لإقامته في حلب، وقد اجابت مقترحاته وعزلته، وعينت بدلاً عنه حسن بيك ابن حسين باشا من ابناء عبد الجليل، وأرسل الفرمان بيد الكتخدا السابق درويش آغا، فامتثل أحمد باشا لما جاء في الفرمان وحزم أمتعته وتهيأ للسفر الى حلب ، بيد انه غير نهجه في اللحظة الأخيرة ، وولى وجهه شطر بغداد، وفور وصوله ذهب الى الوزير والقى بنفسه عليه معتذراً ومستنجداً به وملتمساً الصفح عما كان منه .

وقد استقبله الوزير بالترحاب وانزله في دار الضيافة معززاً ومكرما .

ومن غرائب الاتفاق ان والي الموصل الجديد اصيب بعلة أودت بحياته ولم يتمتع بوظيفته الجديدة ، وعندئذ شفع الوزير لاحمد باشا لدى المقامات المختصة في الاستانة فاعيد الى ولاية الموصل والغي امر عزله .

تنكر محمود باشا متصرف بابان وكوي

كان قد اشترط على محمود باشا ان يقطع كل علاقة له بالدولة الايرانية ، وان ينصرف لخدمة بلاده وخدمة الدولة العثمانية، وعلى هذا الاساس صدر العفو عنه وتغاضت الحكومة عن افعاله ، واعيد الى منصبه وشمله الوزير بعطفه ، وقد بر الموما اليه بتعهده وظل مثال الموظف الحريص على واجباته، والمخلص في أعماله ردحاً من الزمن ، الا ان مساعي الحكومة الايرانية وعلى الاخص حكومة كرمنشاه وعلى رأسها الشاهزادة محمد علي ميرزا ، قد حرفته عن نهجه، وراحت تلك الحكومة تسعى في الخفاء لجذبه الى جانبها ترغيباً وترهيباً ، ولم يعجبها ركونه الى الهدوء والسكينة، واخيراً مال اليها وانجذب نحوها بتنفيذ ما تأمره

به ، واهمال الاوامر التي تصدر اليه من بغداد ، وأخذ ينحرف عن الطاعة شيئاً فشيئاً ، وظهرت منه بعض التصرفات التي كشفت عن نواياه، ولم يعد بالامكان التغاضي عنها .

وبعد ان عجز الوزير عن اعادته الى الطـاعة بالنصح والتحذير اوفد اليه المهردار عناية الله آغـا ليكرر عليه النصح ، ويذكره بالنعم التي أغدقها عليه الوزير ، وبالعواقب الوخيمة التي تترتب على افعـاله ، الا ان هذه المحاولات لم تثمر ثمرتها المرجوة وظل على ميله نحو ايران .

ولما عاد المهردار واطلع الوزير على الوضع بصورة مفصلة ، اصدر هذا أمراً بعزله عن كويسنجق ، ثم جهز عليه حملة بقيـادة عناية الله نفسه ، وقد ضم الى حملته بعض القوات الاحتيـاطية من حاميتي اربيل وقـامك ، وعدداً من عشائر الدزدي . وحين علم محمود باشا بدنو هذه الحملة منه ، أوفد أحـد اخوانه وهو حسن بيك حاكم قره داغ الى ايران لمقابلة محمد علي ميرزا، غير ان حسن بيك جمع من اتبـاعه مـا يقرب من الخمسمائة فارس واتجه بهم نحو بغداد ، فاراً من اخيه ومتبرئاً من اعماله ، وعرض خدماته على الوزير ، فكان موضع رعايته وشكره على اخلاصه ووطنيته ، كما ان احد أمراء كويسنجق وهو المدعو عثمان بيك قد التحق هو ومحمد عيسى آغا مع توابعهما بالحملة التي يقودها عناية الله آغا حين بلغت مدينة اربيل .

وقد واصلت الحملة سفرها ، ووصلت الى كويسنجق واحتلتها وعسكرت فيها ، وكتب قائدها الى الوزير يخبره بذلك ويستشيره فيما يجب عمله بعد هذه المرحلة ، وقد اصدر الوالي أمراً بتعيين حسن بيك حاكماً على كوي وحرير مع رتبة الباشوية تقديراً لاخلاصه ، وأوعز اليه بالسفر لاستلام وظيفته الجديدة ففعل .

أما محمود باشا فانه استنجد بالحكومة الايرانية وطلب مساعدتها في التوسط لاعادته الى منصبه ومقاطعاته التي طرد منها ، فلم تخيب الحكومة المذكورة

أمله فيها لما لها من المصالح في تلك المنطقة ، وجهزت حملة قوامها عشرة آلاف مقاتل وأرسلتها لمعاونة المومأ اليه ، كما أوعزت الى شيخ الفيلية حسن خان ان يصطحب قوات لورستان ويتجه بها نحو مندلجين . وكتبت أيضاً الى كلهر علي خان وكليعلي آغا وما لديهما من قوات تقدر بأربعة آلاف مقاتل ، ان يتوجها نحو بدره وجصان ويحتلاها . فقام الوزير ايضاً بجمع قوة كبيرة وارسلها بقيادة الكتخدا خليل آغا يعاونه رئيس الاغوات عبد الفتاح آغا نحو جهة بدرة وجصان . ثم سيّر حملة عسكرية بقيادة محمد آغا نحو كركوك لصد القوات الايرانية المرسلة لمعاونة محمود باشا .

وفي هذه الاثناء انتهز صادق بيك ابن سليمان باشا الفرصة وفر من بغداد ، والتجأ الى عشيرة زبير وشيخها شفلح الشلال الذي قبله وأقامه عنده ، وكذلك التجأ الى تلك العشيرة جاسم بيك الشاوي الفار من وجه العدالة والذي كان مختبئاً بين افراد عشيرة الخزاعل ، وراح هؤلاء يجمعون العشائر ويحرضونها على القيام بالثورة ضد الحكومة ، وكانت باكورة اعمالهم ان أخذوا يتعرضون لأبناء السبيل ويقطعون الطرق ، ولا سيما الطريق النهري بين البصرة وبغداد ويقومون بأعمال تخريبية ، وقد اضطروا الوالي بأعمالهم هذه الى ايقاف الحملة المنوي ارسالها الى كركوك وتوجيهها نحو هذه العشائر المتمردة ، وأرسل بدل هذه الحملة حملة اخرى بقيادة عبدالله باشا اشتركت فيها القوات التي كانت تحت ادارة محمد باشا آل خالد وحامية كويسنجق والقبائل التابعة للحكومة امثال عشائر دزه‌لي وشمامك .

وقد تحرك نحو العراق الشاهزاده محمد علي ميرزا من كرمنشاه ، الامر الذي استوجب ان يتحرك الوزير بنفسه لمقاومة هذه القوة والعمل على ردها عن البلاد ، وذلك بتأخير الكتخدا خليل آغا واستصحابه معه بدلاً من ارساله الى العشائر الثائرة ، اذ سلط عليها من شيوخ عشيرة زبير القدماء علي خان البندر وشبيب الدرويش ، فراح الاثنان يتباريان في تفريق العشائر الثائرة بكل وسيلة ،

وأصدر الوالي امره بعزل شفلح عن المشيخة وتعيين علي خان السبنور مكانه ، وقد نجح هذا الاخير في ضم عدد كبير من العشائر الى جانبه .

وفي مكان يسمى خشخيت تصادم مع القوات التي تقاتل برئاسة الشيخ المعزول شفلح ، فكانت الغلبة بجانب علي خان البندر ، اذ شتت شمل هذه القوات المتمردة ، وعندئذ فر صادق بيك وجاسم بيك نحو ديار عفك ومنها إلى الاهوار .

أما حملة عبد الله باشا فقد وصلت كركوك والتحقت بها هناك قوات محمد باشا آل خالد باشا ، والآغا المهردار ، وعسكروا في كركوك لاكمال الاستعدادات الضرورية لمقابلة الايرانيين الزاحفين لنصرة محمود باشا . وكان قصد هذه القوات الايرانية ان تحتل كويسنجق وتستولي على كركوك للقضاء على القوات المعسكرة فيها، وهكذا سارت من دربند بازنان حتى نصبت خيامها في مكان يسمى كوشك اسبان ، وهو يبعد ثلاث ساعات عن قره حسن ، واقترب خلال ذلك حسن خان رئيس الفيلية على رأس قوات لورستان من مندلجين ، كما اقترب أيضاً كلهر علي خان وكلي علي خان من بدره وجصان ، وبدأ كل هؤلاء بمناوشة القوات التي تعترض سبيلهم .

أما الشاهزادة محمد علي ميرزا الذي تحرك بقواته من كرمنشاه ، فقد اقترب من الطاق وهبت الحاميات كل من ناحيتها لمقابلة المهاجمين ببسالة ، ولم تدع لهم مجالاً للتقدم والتغلغل ، وقد حاولت قوة كبيرة من الاكراد والعجم ان تتقدم بالهجوم على القوات العراقية المظفرة ، ومع انها وصلت في هجومها الى قرب قرية تسعين الا انها ردت على اعقابها ، ولم تستطع الصمود بوجه القوات المظفرة ، واضطرت الى التراجع ، ولكنها في أثناء تراجعها نهبت بعض القرى الكائنة في طريقها ، ومع ذلك فقد ألقت ما نهبته وانشغلت بانقاذ نفسها من القوات التي تطاردها . وكان على رأس الهاربين محمود باشا الذي اتجه مخذولاً الى جبل هزاران ، ولم تقع أية خسائر من جانب القوات العثمانية . وكذلك

فعلت بقية الحاميات في الجهات الأخرى ، ووصلت اخبار انكسار الجيوش الايرانيــة الى مسامع الشاهزادة ، كما بلغـه خبر قدوم الوزير على رأس جيش جرار ، فأوهنت هذه الاخبار عزيمته ولم يجسر على التقدم ، وركن الى الطرق السلمية في التشبث لاعادة محمود باشا الى وظيفته .

وبعد مخابرات ومذاكرات وافق الوزير على اعادته لحاكمية كوي وحرير فقط ، على ان يكون مطيعاً وممتثلاً الأوامر التي تصدر اليه من جانب ولاية بغداد . وبعد موافقة الدولة العلية تم الاتفـــاق على هذا ، وعلى اعادة الذين التجأوا الى الدولة الايرانية وهم : سليمان باشا آل ابرهيم باشا ، ومتصرف درنة السابق عبد العزيز آل عبد الفتاح باشا ، وبذلك انسحبت الجيوش ، وخصص لسليمان باشا مقاطعة زنكبار ، ولعبد العزيز بيك درنه وباجلان ، وعاد كل شيء الى ما كان عليه ، وهدأت العاصفة .

أما ما كان من أمر صادق بيك وجاسم بيك الشاوي وهروبهما من اطراف الحلة مع شيخ زبير المعزول شفلح الشلال ، فان هؤلاء بعد هربهم نحو الاهوار أعادوا تنظيم صفوفهم وجمعوا حولهم بعض المتمردين ، وكوّنوا لهم قوة غير قليلة ، راحوا يتعرضون بها للآمنين ويقطعون الطرق منتهزين فرصة انشغال الحكومة برد عادية الايرانيين عن البلاد .

ولهذا فقد جهّز الوالي حملة برئاسة عبدالله آغا يرافقه فيها الشاوي عبدالله بيك ، وسيّرها نحو المتمردين . ولمـــا اقتربت هذه القوات منهم وجدتهم قد تحصنوا في أمكنة وعرة بحيث يصعب الوصول اليهم ، فطوقوهم وضيقوا عليهم ثم اتصلوا بواسطة الرسل بالشيخ شفلح الشلال وأقنعوه بالانصراف عن هذه الاعمال وبالتخلي عن الاميرين مقابل العفو عنه واعادته الى مشيخته بالتوسط له لدى الوزير ، وقد توسط له كل من عبدالله آغا والشاوي عبدالله بيك وحصلا على موافقته ، وعندئذ ترك الشيخ المذكور جماعته والتحق بالحملة الحكومية ، وبذلك تضعضعت قوات المتمردين واختلت امورهم وتشتتوا . أما صادق بيك

فقد ندم على ما فرط منه ، ولا سيا بعدمـا تخلى عنه انصـــاره والقوات التي كانت تدافع عنه ، وهرب نحو الحويزة ومنها إلى عشيرة بني كعب .

احتلال الدرعية من قبل القوات المصرية

أرسل الشيخ حمود الثامر الى الوزير كتاباً يعلمه فيه باندحار الوهابيين أمام الجيوش التي ارسلها اليهم وزير مصر محمدعلي باشا الكبير بقيادة ابنه ابرهيم باشا، اذ دك حصونهم ودمر قلاعهم وأطاح برئيسهم عبدالله آل سعود ، وقد استولت الجيوش المصرية على الدرعية التي كانوا يتحصنون فيها، والتي كانوا يعتقدون انها القلعة المنيعة . وكان ذلك صباح اليوم الثامن من شهر ذي العقدة .

وقد فر الوهابيون هنا وهناك لا يلوون على شيء، ولكن ابن المفر والجيش المصري يلاحقهم ويتعقبهم . وكان معظمهم طعمة للسيف أو هدفاً للقنابل والرصاص ، وتشتتوا في القفار والبراري وهم غير مصدقين بالنجاة .

وقد أسر أبناء السعود كلهم والملتفون حولهم من الملالي، وقتل احد اخوانهم وهو المدعو ابرهيم ، أما عبدالله فقد جيء به مقيداً الى القاهرة .



ارسال حملة على عشيرة الصقور التابعة لعشيرة عنيزة

اعتادت هذه العشيرة أن ترحل من ديارها قرب حلب الى جهة الشامية في كل عام للاكتيال من الحلة والحسكة وما يليهما من المدن العراقية . وعلى جاري عادتها اقتربت من المسيب وأناخت في الجهة الغربية منهـــا ، وأرسلت بعض رؤسائهـا الى بغداد للسلام على الوزير ، ولتستأذن منه في الرعي والاكتيال من هذه الجهات .

وقد رحب بهم الوزير وأذن لهم وعاملهم بمنتهى الكرم والرعاية ، غير انه اشترط عليهم ان لا يمسوا احداً بسوء ، وان لا يسببوا الاخلال بالامن، فعادوا من لدنه وهم على أتم ما يكون من الامتنان. ولكنهم بعدما رجعوا الى قومهم نكثوا بالوعد الذي قطعوه على انفسهم ، وراحوا يعتـدون على أهل المدن ويتعرضون لأبنـاء السبيل ، وكثرت الشكاوى من اعمالهم ، فاضطر الوزير الى تجريد حملة لمعاقبتهم واجلائهم عن هذه البلاد ، وسيّرها بقيـادة الخزنەدار يحيى آغا ، حتى اذا مـــا اقتربت من جرن الصخر هجمت على العشائر المذكورة ، واستعر القتال بين الطرفين ، وكادت الحملة تتغلب عليهم لولا جهل قائدها بفنون الحرب وعدم اتخاذه الحيطة ، فقد أدى جهله وغفلته الى تراجع افراد الحملة امام ضربات العربان ، واضطرتهـا الى الهرب نحو قلعة الدريعية ، ومن هناك كتبوا الى الوالي يعلمونه بما حل بهذه الحملة .

ولمـــا كانت الظروف لا تساعد على ارسال العون والمدد لتعزيز الحملة المذكورة ، فقد أذن لها بالعودة الى بغداد ، فعادت ولم تفعل شيئاً .

ارسال قوة على عشيرة شمر

لما حدثت موقعة عشائر الصقور وانكسرت امامهـا القوة التي كانت بقيادة يحيى آغا ، هبت عشيرة شمر تعلن العصيان والتمرد وعلى رأسها الشيخ مشكور

الزوين ، وراحت تعكر صفو الامن وتقطع الطرق ، فأرسل الوزير اليها حملة عسكرية قوية بقيادة الكتخدا محمد كهية ، وسار الموما اليه على رأسها ليلاً وقطع مسافة ثماني عشرة ساعة بدون توقف ، وقبل ان يقترب من ديار العشيرة المذكورة أحست به وأزمعت على الهرب بأموالها وعيالها ، وفرت مسرعة أمام الحملة تاركة مواشيها وأثقالها، وقد استولت الحملة على ما يقرب من الثمانية آلاف رأس من الاغنام وبضعة مئات من الجمال وعادت الى بغداد .

ذكر وقائع سنة اربعة وثلاثين ومائتين والف
الحملة على عشائر المنتفك وجليحة والصقور
ومقتل عباس الحداد متولي النجف الاشرف

ذكرنا فيما تقدم نتائج حملة يحيى آغا ضد عشيرة الصقور وعودتها بالخيبة والخذلان الى بغداد. ولقد كانت عودة الحملة على هذا الوجه باعثاً على ازدياد تعديات العشيرة المذكورة ومشجعاً لها على توسيع دائرة غزواتها ، وحذا حذوها عدد آخر من المتمردين وسرت الاضطرابات الى نواحي اخرى من البلاد والمدن ، يضاف الى هذا حدوث اضطرابات في النجف الاشرف اورى زنادها المتولي عباس الحداد وذلك بتحريضه قبيلتي الشمرت والزكرت بعضها على بعض ليتخلص بذلك من دفع ما في ذمته من الاموال الاميرية ، وحوادث اخرى قام بها شيوخ جليحة وعفك .

وعندئذ قررت الحكومة معالجة هذه الاوضاع بالقوة ، وجهزت حملة عسكرية قوية وسيرتها الى الشامية والحسكة بقيادة الكتخدا محمد كهية، فسافر مستعيناً بالله من بغداد يوم الاحد وهو اليوم الثاني من شهر محرم الحرام بعدما خوله الوالي باتخاذ كل ما يراه مناسباً لمعالجة الاحوال .

وقد وصل الحلة وعبر نهر الفرات من هناك الى ضفة الشامية ، وجعل هدفه الأول عشيرة الصقور ومن التف حولها مثل حمدان القميش وابن هزال

١٩

حميدي وزيد واخيه فواز ، وقد خرج هؤلاء بحجة استقبال قائد الحملة والسلام عليه ورافقوه من الكفل حتى الكوفة ، وهناك رأى الفرصة مؤاتية فقبض عليهم وارسلهم مقيدين الى بغداد ، وكانوا ثمانية عشر شيخاً . وفي الوقت نفسه أرسل صالح آغا الاندروني لالقاء القبض على عباس الحداد وجلبه حياً اذا أمكن ، ولما وصل النجف وتعذر القبض على المومأ اليه قتله وقتل معه علي دبيس واتى برأسيهما الى المعسكر ، وبموتهما تشتت بقية الثوار ، وانطفأت نار الفتنة بين الشمرت والزكرت ، وعاد الامن إلى تلك الديار ، وعين متولياً على النجف الاشرف احد أقارب الكلدار السابق محمد طاهر جلبي .

ثم تحركت الحملة نحو الجهات الاخرى . وفي هذه الاثناء قدم أحد شيوخ عنيزة المسمى حميدي ومعه ابن الحربيس وأربعة آلاف رجل من اتباعها على ظهور الجمال للاكتيال ، ولما علمت الخزاعل والبعيج باقترابهم من الموقع المسمى حاج عبد الله خرجوا عليهم لأخذ الثأر . وقد وصلت الحملة الى مدينة الديوانية وعسكرت فيها وراحت تهيء الجسور للعبور عليها، فوردتها الاخبار بأن العشائر الآنفة الذكر قد التحمت بعضها مع بعض واشتد بينها القتال ، وبما ان الجهتين من الذين شقوا عصا الطاعة على الحكومة، فقد انتهزت الحملة هذه الفرصة وشنت على العشائر المذكورة اثناء تناحرها حرباً ضروساً كبدتها خسائر فادحة وشتتت جموعها ، ووقع منها كثير من القتلى ، وغنمت الحملة كل ما كان بحوزة العشائر من أموال وجمال وأغنام ، وبعد انفضاض المعركة عبرت نهر الفرات قاصدة جليحة وعفك ، وبعد اصلاح كرمة اليوسفية واصلت تقدمها نحو عشائر تلك الجهات ، وأوقعت بها واحدة بعد الاخرى، مما بعث الرعب ببقية العشائر. ثم انشقت عشائر جليحة الى فرقتين واحدة برئاسة نهر الطعيمس استسلمت واذعنت وطلبت الصفح عما بدر منها فأجاب القائد طلبها بعد اخذ الرهائن منها والتعهدات ، والفرقة الثانية برئاسة مشكور الحمود هربت الى جهة الاهوار مما يلي البدير ، وتشتت بعد ذلك بقية عشائر عفك .

أما جماعة شنجر الغانم فقد تحصنت بقلاعها ولا سيما قلعة شنجر الحصينة ، ولكن هذه القلعة لم تصمد بوجه الحملة المظفرة واستسلمت بعد حصار دام بضعة أيام . وقد دكت الحملة هذه القلعة والقلاع المجاورة لها ، وذلك بعد قتال عنيف دام يوماً وليلة ، وفر من نجا منهم الى الاهوار القريبة ، وقد استولت الحملة على معداتهم واجهزتهم وغلالهم التي قدرت بأكثر من الف قنطار عدا المواشي .

وبعد هدم القلاع المذكورة ، ارسل القائد كتاباً الى الوالي يخبره بما تم من الامور ، فكانت لهذه الاخبار رنة ارتياح واستحسان نال القائد بها اعلى الاوسمة تقديراً لشجاعته وبسالته . وبالنظر لعودة الامور الى مجاريها الطبيعية وعدم بقاء ضرورة لمكوث الحملة هناك تحركت عائدة نحو الديوانية ، وبعدما عزلت بعض المشاريع وعينت البعض الآخر ، لوت عنانها وعادت الى بغداد ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول .

ذكر وقائع سنة خمسة وثلاثين ومائتين والف

توجيه حملة الى عشائر الدليم

بالرغم مما أصاب افراد عشائر الدليم من الاضرار والعقوبات بسبب تمردهم في سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين والف ، فقد نسوا تلك المصائب التي حلت بهم ، وعادوا الى الامتناع عن دفع ما بذمتهم من الرسوم والضرائب ، فعمدت الحكومة إلى ارسال حملة عسكرية لتعيدهم الى الطاعة، وقد تحركت في اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الاول بقيادة الكتخدا محمد كهية ، وما هي إلا جولات حتى تغلبت عليهم ومزقت جموعهم ، وقتلت الكثيرين منهم ، وغرق معظم الذين القوا بأنفسهم إلى نهر الفرات أثناء هزيمتهم ، واستولت الحملة على اموالهم ومواشيهم ، وسبت عيالهم وذراريهم ، ثم اتجهت نحو عشائر الجميلة والزوبع والبوعيسى لترابطهم سراً مع عشائر الدليم وطاردتهم إلى نواحي شفاثة وظفرت بهم ، وبعد معاقبتهم واستيفاء ما بذمتهم من رسوم واموال اميرية عادت الحملة . وبعد هذه الواقعة هدأت الاحوال ، وانتظمت الامور ، وخيم

السلام على البلاد ، وراح الشعراء يتسابقون الى مدح الوالي والثناء عليه لحزمه وحسن ادارته !

اعتقال محمد باشا ابن خالد باشا في كركوك
واعتقال خالد باشا وسليمان باشا ابن ابرهيم باشا

لقد كان أبناء متصرف بابان السابق خالد باشا وأتباعه يقطنون في كركوك ، ولكن هؤلاء الاتباع لم يركنوا الى الهدوء ، بل اخذوا يتعرضون لأهل القرى ويوصلون الأذى اليهم حتى رفعوا عدة شكاوى بهذا الشأن الى الولاية طالبين حمايتهم ، وكان الوالي قد بلغه ما يفعلون من مخالفات وأرسل الى رئيسهم والى الابن الاكبر وهو محمد باشا ان يكف أتباعه عن التعرض للناس ، ولكن محمد باشا لم يلتفت الى ذلك وتركهم يفعلون ما يشاؤون ، الأمر الذي اغضب الوالي فأمر متسلم كركوك موسى آغا ان يلقي القبض على محمد باشا ويسجنه هناك ، ففعل ذلك وحبس الموما اليه في احدى غرف السراي ، ولكن بعد مرور بضعة أيام على حبسه هجم أتباعه على السراي ليلاً وانقذوه من السجن .

ولما علم الولي بذلك أمر بالقاء القبض على والده خالد باشا وابن اخيه سليمان باشا آل ابرهيم باشا وحبسهما في باش اسكي ، ثم ندم محمد باشا على ما فعل وجاء الى المكان المسمى شوان الذي يبعد حوالي أربع ساعات عن كركوك وأقام فيه ، ومن هناك تقدم الى الوالي بعريضة يرجوه فيها العفو عما صدر عنه وان يسمح له ولاتباعه بالاقامة اما في كركوك او في خارجها ، مع التعهد بأن يمنع أتباعه عن كل ما يسيء الى الاهلين او الحكومة ، فأجابه الوالي الى طلبه ، وعاد الباشا الموما اليه الى محل اقامته القديم في كركوك آمناً مطمئناً . ثم أطلق سراح ابيه خالد باشا ، وكذلك اطلق سراح سليمان باشا الذي كان على وشك ان يقوم بمجابهة ضد الحكومة ، وقد خصصت لكل منهم رواتب تكفيهم وتؤمن لهم حياة رغيدة .

ختان نجل داود باشا

بالنظر لبلوغ طورسون يوسف بيك السنة السابعة من العمر فقـد اقيمت الافراح والاحتفالات بمنـاسبة ختـانه ، واقبلت الوفود من كل مكان للتمتع بمشاهدة المهرجانات الفخمة ولتقديم التهاني ، فكانت هذه الوفود موضع رعاية الوالي وكرمه وحسن استقباله لهم ، ودامت الحفلات ومجالس الافراح سبعة أيام تم في آخرهـا ختان المحروس ومعه مـا يزيد على الالف طفل من الايتـام والفقراء .

وقد تقدم أحـد موظفي المصرفخـانة وهو فوزي ملا محمد أمين بالقاء قصيدة رائعة أمام الوالي هنأه فيها بختان ولده نالت اعجابه وسروره .

ذكر وقائع سنة ستة وثلاثين ومائتين والف

بالنظر لمـا كان الوالي يبديه من الغيرة والحماسة في سبيل ضبط النظام وحفظ مصالح الدولة والرعية ورغبته في تقوية الجيوش التي تحت ادارته ، فقد وصلت إلى بغداد بنـاء على طلبه كميات هائلة من الاعتدة والمدافع ومختلف الاسلحة ، منها خمس عشرة قطعة من المدافع السريعة الطلقات ، وقد جلبها من الاستـانة مصلح الدين آغـا واتفق وصولها الى بغداد في شهر صفر ، وقد استقبل مصلـح الدين آغا ومن معه باحتفال مهيب ، ثم اودعت الاسلحة المذكورة في القلعة .

وقد أمر الوالي في هذه السنة بتشييد قصر تحف به حديقة غناء على نهر دجلة فرق الاعظمية في محلة الفريجات، وزرع في الحديقة كل ما تشتهيه الانفس ويلذ الاعين .

ونظراً لانخفاض باب السراي المقابلة للجامع الشريف وتضعضع أركانهـا ، فقد أمر الوالي بهدمها وإعادة تشييدها، واصلاح بناية السراي كلها ، فكان له ما أراد .

وكان الناس يعانون صعوبات جمة في سبيل ايصال الماء الى دورهم وبساتينهم بسبب انخفاض النهر وارتفاع الاراضي ، وكانت الآبار التي حفروها لا تجدي نفعاً ولا تسد عوزاً ، الى ان ورد على بغداد خلال هذه السنة أحد المهندسين الايرانيين وهو المسمى الميرزا عبد اللطيف ، الذي درس الحالة وتعهد بصنع مضخة لسحب المياه الى أي مكان مرتفع على ان تساعد الحكومة بدفع ما يلزم من النفقات ، وقد نقل هذا الكلام الى الوالي من قبل محمد أفندي المصرف فأمر باحضار الميرزا عبد اللطيف ، وبعد الاستيضاح والمداولة والمذاكرة وافق الوالي على صرف ما يحتاجه لاكمال الماكنة المذكورة ، وخصص عدداً من الحدادين والعمال للعمل معه ، وسهل له كل الوسائل التي تعينه على انجاز المشروع ، وخلال مدة وجيزة تم صنع المضخة ونصبت على نهر دجلة ، وراحت تمتح المياه بكثرة هائلة ، فكانت موضع اعجاب الناس على اختلاف طبقاتهم .

ثم اجريت بعض الترميمات والانشاءات في مختلف الامكنة .

ويظهر من سجل وقائع السنة المنصرمة ان الحكومة كانت قد أصدرت عفوها عن محمد باشا آل خالد باشا وأكرمت مثواه ، الا أن الموما اليه لم يلبث ان جمع أتباعه وغادر البلاد الى كرمنشاه والتحق بالميرزا محمد علي .

ولما بلغ خبره مسامع الوالي أسف لهذه الحركة التمردية ، ثم أمر بالقاء القبض على أبيه خالد باشا وزجه في السجن لارتيابه منه وخوفه من ان يلتحق بابنه .

وبالنظر للتقصير الذي ابداه الخزندار السابق يحيى آغا أثناء ارساله لتأديب عشائر الصقور ، وثبوت ما يدل على تهاونه ، وعدم اهتمامه في تنفيذ ما يؤمر به ، وتصريحاته التي تضر بالمصلحة العامة فقد عزل من منصبه ونفي الى طوزخورماتو ولكن الوالي عطف عليه وخصص له هناك بعض الاراضي لتأمين معيشته . وكان ينبغي له والحالة هذه ان يركن الى الهدوء والسكينة إلا أنه قام بمراسلة الميرزا محمد علي في ايران وحرضه على الهجوم على الديار العراقية ، ولم

بنأ الوالي ان يسرع في معاقبته بل تركه يعمل ما يشاء ، ولكن الحكومة لم تغفل عنه وظلت تراقبه وتترصد حركاته وتنقل اخبـاره إلى الوالي ساعة بعد ساعة ، ولمـا بلغت أعماله حداً من الخطورة بوغت بالقاء القبض عليه ، وجلب مخفوراً إلى مجلس الكتخدا وبعد محاكمته امر بايداعه السجن .

وخلال نقله إلى السجن استل خنجراً كان يخفيه تحت ثيـابه ، وهجم على الحراس وكاد يفتك بهم اولا ان تجمعوا عليه ولم يفسحوا له مجالاً للهرب ، واقتيد الى السجن وما لبث ان أعدم .

ثم اتجه الوالي نحو ايران وجمـع قوة كبيرة سار على رأسهـا حتى الحدود ، وارسل قوة اخرى في اربيل تقدر بأكثر من الفي محارب بقيـادة أحمد بيك نحو ايران أيضاً .

ولما علم الشاهزاده محمد علي ميرزا بذلك تظـاهر بالولاء والصداقة والمحافظة على العلاقـات الطيبـة بين البلدين ، وأرسل إلى الوالي بعض الهدايا والتحف ، متجاهلاً هذه الحشود ، وقد تظـاهر الوالي هو أيضاً بالمثل وشكره على هداياه ، وأعلمه بانه انمـا قدم إلى هذه الجهات بقصد الصيد وتمضية بعض الوقت للراحة والاستجمام .

أمـا سليمان باشا آل ابرهيم باشا متصرف بابان السابق فقد تبين أنه كان على صلة بيحيى آغا ، وكان متفقاً معه في ميوله ونواياه ، فلما قضي عليه خاف أن تمتد يد العقوبة اليه أيضاً فاختار الفرار ليلاً نحو ايران والتجأ إلى الشاهزاده محمد علي ميرزا .

وأما خالد باشا فقد ثبت ان لا علاقة له بتصرفات ولده ، وأنـه لم يقم بأية حركة تدل على اشتراكه معه أو على نوايا سيئة ضد الحكومة فتقرر اطلاق سراحه .

وصول الايرانيين الى داخل الحدود

بينما كان الوالي مشغولاً بتنظيم وادارة البلاد ، فاجأته الاخبار عن التحشدات

الايرانية على الحدود بتحريض امراء كردستان محمد باشا ال خالد باشا وسليمان باشا آل ابرهيم باشا وعبد الله باشا وهو أخو عبد الرحمن باشا ، هؤلاء الامراء الذين فروا الى ايران واستجاروا بالشاهزادة الميرزا محمد علي فسمح لهم بالاقامة عنده ، وهناك حرضوه على مهاجمة العراق ، وأكدوا له أنهم سيكونون هم وأتباعهم تحت أمره ، وقد مال الموما اليه إلى أقوالهم والاخذ بآرائهم ، واتجه نحو زهاو وتخطى الحدود ، وهجم على القرى والمدن الكائنة في طريقه ، وتقدم أمامه محمد باشا واقترب من خانقين وعلي آباد واحتلها ، وأغار على القرى والارياف المجاورة واستولى على مواشيها واموالها ثم عاد إلى زهاو .

وحين علم الوالي بذلك جهز قوة كبيرة لرد المعتدين الا انها لم تظفر بهم . ثم كتب الى الدولة العلية يستنجد بها ويطلب امداده بالجنود ، وفي الوقت نفسه اوعز الى عبد الفتاح آغا الذي كان قد أرسل الى جهات بني لام ان يعود بمن معه من القوات ليكون على اهبة الحركة الى الجبهة الايرانية .

ولما بدأت الامدادات تتوارد على بغداد ارسل قسماً منها يبلغ ألفاً وخمسمائة جندي الى زنكباد ، واتخذت هذه القوة اماكنها حيال الجيش الايراني ، ثم التحق بها الكتخدا محمد ليتولى قيادتها .

وقد تحرك الموما اليه بمن معه من قوات اخرى من بغداد يوم الثالث عشر من شهر رمضان المبارك ، وعسكر في مكان يسمى شيروانة حيث بقي حوالي الاربعين يوماً .

وخلال هذه المدة عين الشاهزادة – من باب وهب الامير ما لا يملك – عبد الله باشا حاكماً على كردستان ، ولأجل تنفيذ هذا التعيين بعث معه قوة عسكرية تقدر بخمسة آلاف جندي ، لكي يهجم بها على السليمانية ويحتلها . وقد ابلغ الكتخدا بهذه المعلومات محمود باشا ، وطلب ان يمده بما لديه من قوات لردها . وعلى هذا قام الكتخدا بجميع من معه وتحرك من شيروانة نحو كردستان .

ولما وصل بازيان علم بأن عبدالله باشا والقوات الايرانية التي معه عبرت

ديالي ، وبلغت اقاصي حدود شهرزور في مكان يسمى كلفبر ، وقد ارتاع سكان كردستان من هذا الهجوم ، كما ان زعيم عشائر الجاف المسمى كيخسرو بيك الذي كان محمود باشا يستند عليه ويعتبره القوة الاحتياطية له ، قد التحق بقوات عبد الله باشا وفر أتباعه الذين لم يلتحقوا به هنا وهناك .

وقد بلغت قوات الكتخدا محمد مسافة تبعد ثلاث ساعات عن السليمانية ، ثم تقدمت حتى جاوزت قرية باريكة وعبرت وادي تاجرود ، وعسكرت في الضفة المقابلة. وجمع حوالي الثمانية آلاف مقاتل وخرج بهم، ونصب خيامه تجاه قوات محمد الكتخدا .

أما عبد الله باشا فقد هجم على السليمانية وحاول احتلالها فلم يفلح ، وبعث في طلب الامدادات من الشاهزادة ، فأرسل له حوالي خمسة آلاف جندي من المشاة من أصل عشرين الفاً تحركوا من كرمنشاه ووصلوا بغتة إلى الطاق ، ثم اتجهوا نحو زهاو وعبروا ديالي وزنكباد ، وقد هرب السكان من أمامهم ووصل بعضهم الى بغداد بحالة يرثى لها ، الامر الذي حمل الوالي على جمع كل ما تحت يده من قوات وخرج بها لمقاتلة العدو ، وكتب الى قائد قوات كردستان محمد كتخدا يحثه على الصمود امـــام الاعداء ، وعدم فسح المجال لتقدمهم ويعلمه بحركته . غير ان قوات الحكومة هذه قد تعرضت للاوبئة والامراض المختلفة بسبب انتقالها من الاماكن الحارة الى الباردة ذات الهواء العفن ، وقد فتك المرض بهـــا بحيث كان يموت منها كل يوم ما يقرب من الخمسة عشر جندياً ، وصار الاحياء منهم شبه أموات لضعفهم وهزالهم وعجزهم التام عن الهجوم أو الدفاع ، وقد بلغت حالتهم مسامع عبدالله باشا ومن معه من الجيوش الايرانية فانتهزها فرصة وتقدم نحوها .

ثم اتضح أخيراً ان القائد وهو محمد كتخدا كان على اتصال مع عبدالله باشا، وكان يراسله سراً ويعلمه بكل شيء ، وظهر ذلك عندما عرّض جنوده لهجمات العدو فاندحروا امامه بسبب ما يعانون من أمراض .

وقد فر هو ومن تبعه نحو كركوك ، وبعد مكوثه هناك يوماً أو يومين وخشية من ان ينكشف امره اصطحب اخاه علي آغا واثنين من أتباعه وهرب نحو جهة العدو والتحق بركاب الشاهزادة .

ظهور أمراض خبيثة وافدة من الهند

وفد في بداية هذه السنة على العراق من الهند مرض لا يعرف اسمه ولا دواؤه ، وانتشر في بداية الامر في المدن الواقعة على الخليج العربي أمثال بندر عباس وبندر ابو شهر ، ثم سرى الى البصرة وحصد من سكانها ما يبلغ الخمسة عشر الفاً ، واخذ الاهلون يفرون إلى الضواحي والارياف من هذا الوباء الخطر ، ثم سرى إلى سوق الشيوخ فالسماوة والحلة وكربلاء ، وحل ضيفاً ثقيلاً في بغداد ، ومنها انتقل إلى كردستان .

وفي كل بلد كان يترك خلفه عدداً غير قليل من الضحايا . وقد فاتح الوالي رجال الحكومة الانكليزية للتعاون على ايجاد دواء لهذا الداء ، فتقدمت الدولة المذكورة ببعض الادوية المضادة لهذا المرض مع النصائح والارشادات للتوقي منه ، وزودت الولاية بمعلومات مفصلة ، وترجمت تلك المعلومات من اللغة الانكليزية إلى اللغة التركية وأرسلت إلى الجهات المختصة لدراستها وتطبيقها والعمل بموجبها في مثل هذه الاحوال .

ذكر وقائع سنة سبعة وثلاثين ومائتين والف

اقتراب الشاهزادة محمد علي ميرزا من دلي عباس ووفاته في الطريق

بينا في الفصول السابقة ان محمد كتخدا الذي اوكلت اليه مهمة المحافظة على الحدود قد التحق بالحاكم الايراني وكبد دولته وجنوده خسائر فادحة ، اذ بعد تعريض القوات التي في معيته وتحت قيادته الى الهلاك والهزيمة ، وترك كل ما لديه من عتاد وسلاح غنيمة باردة للاعداء ، راح يشجع القائد الايراني على الهجوم

والتقدم ، وقد تقدم فعلاً وهو في ركابه نحو كركوك ، فقابلته جموع الاهلين وصمدوا بوجهه ، ودافعوا دفاع المستميت عن بلدتهم ، ولما أعياه امرها ولم تفد مع سكانها ترغيباته وترهيباته عسكر حواليها ، وأخيراً انزاح عنها واتجه نحو داقوق ، وبعد اقامة عشرة أيام في تلك الانحاء ارتحل الى طوزخورماتو ثم الى كفري فقره تيه، وأخيراً وصل دلي عباس وعسكر هناك ، وكان غرضه من هذا التقدم احتلال بغداد حسب مشورة محمد كتخدا .

وقد اتخذ الوالي كل ما في وسعه لصد القوات الايرانية ومنعها من التقدم ، وفي الوقت نفسه كتب الى الدولة العلية يعلمها بالوضع ويطلب اسعافه بالامدادات.

وقد نهب الجيش الايراني كل ما صادفه في طريقه من مدن وقرى ، ومنها قرى هبهب وخالص وخريسان ، ودمر بساتينها وقطع أشجارها ، وقد اتخذت الاحتياطات اللازمة في مدينة بغداد بصورة خاصة للمحافظة عليها، وجعل الوزير على كل راية أو باب من أبوابها قوة من المشهورين بالاخلاص والتفاني والشجاعة والاقدام ، ورتب حرساً على الاسوار من القوات الاحتياطية والانكشارية ، بالاضافة الى جموع الاهلين الذين ثاروا حمية وحماسة للذود عن الوطن ، وشكلوا منهم جماعات يتناوبون المحافظة والمراقبة والحراسة .

أما العشائر الموالية فقد تقدمت منها فرقة بعد فرقة الى خارج الاسوار كقوات استكشافية ، وراحت هذه الفرق تناوش العدو وتغير على سراياه المتقدمة وتلحق بها اضراراً فادحة .

اما محمد الكتخدا فقد عسكر والقوات التي تحت قيادته في مكان يقع بين هبهب وخان جبق ، ثم انشقت عليه هذه القوات والتحق قسم منها بالمعسكر الايراني ، والقسم الآخر هجمت عليه عشائر الجربا برئاسة صفوك الفارسي ، وأوقعت بهم ضرباً وقتلاً، وذلك بالقرب من بلدة دلتاوه، وجردتهم من اسلحتهم وتجهيزاتهم .

ولما رأى الشاهزاده ان التقدم نحو بغداد ليس من الامور الهينة ، وأنه

اصبح في خطر محدق لقرب وصول الامدادات العسكرية ، أرسل أحد المجتهدين وهو الشيخ موسى الشيخ جعفر لعرض الصلح على المسؤولين ، وبعد مشاورات ووساطات وتردد بعض الوجهاء على الجهتين من أمثال محمد آغا والكركوكي نائب زاده محمد اسعد أفندي تمت الموافقة على الصلح ، على ان تعطى مقاطعة بابان الى عبدالله باشا وكوي وحرير الى محمد باشا آل خالد باشا ، وعاد الشاهزادة بجيوشه الى ايران ، وقد روعيت المصلحة العامة في قبول هذه الشروط وصينت دار السلام .

وعندما كان الشاهزادة مقيماً في دلي عباس أصيب بمرض خطير اخذ يشتد عليه يوماً بعد يوم ، وخلال عودته وعبوره نهر ديالي تفرق الكثيرون من أتباعه وفروا نحو بلادهم بدون انتظام ، وبالقرب من قرية قزانية هجمت عليه وعلى قواته بعض العشائر ، وقتلت منهم عدداً كبيراً ، وغنمت ما معهم من أموال وأسلحة .

وعند وصول الشاهزادة الى المكان المسمى مرجانية قرب قزلرباط لفظ انفاسه الاخيرة ونقلت جثته الى كرمنشاه .

عودة الامور الى مجاريها واستتباب الامن

بينا سابقاً تقدم الشاهزادة الميرزا محمد علي من كرمنشاه ووصوله الى دلي عباس للهجوم على بغداد واحتلالها بتحريض محمد الكتخدا . ونضيف الآن الى ذلك ان الموما اليه بتقدمه قد أرعب السكان الآمنين ، ففر قسم منهم نحو كركوك وقسم الى بغداد ، واستوطنوا الاماكن التي فروا اليها ، ومع كثرة أعدادهم فان الله سبحانه وتعالى قد وفر لهم الارزاق ولم ترتفع الاسعار لكثرة المخزون من الاطعمة والمؤن ، كما لم تحدث مجاعة ولا ضيق .

ولكن كثرة الناس من مختلف الاجناس كانت تشكل خطراً يؤدي بطبيعة الحال الى المجاعة فيما لو استمر الحصار وبقي العدو جاثماً على الابواب بضعة اشهر

الا أن الله سلم وعاد الناس الى اماكنهم بعد انقشاع الغمة ، وبهذه المناسبة الغت الحكومة تحصيل الضرائب من الرعايا عن هذه السنة لكيما يعودوا الى حالتهم الطبيعية والى السعي للحصول على الكسب الاعتيادي .

غير أن بعض المتمردين من العشائر كانوا يترصدون حركات الناس وتنقلاتهم ويشنون الغارة عليهم ، ويسلبونهم ما معهم، وقد تجمعت فلول هذه العشائر في اطراف الدجيل فكان مما لا بد منه توجيه حملة اليهم اضربهم وتشتيت جمعهم واسترداد ما نهبوه واعادته الى اصحابه وكذلك كان .

وبما ان الايرانيين كانوا يتربصون الدوائر بالدولة العلية، فانهم انتهزوا فرصة انشغالها بملاحقة المتمردين من بعض الانحاء وقام الشاهزادة عباس ميرزا حاكم تبريز بالهجوم فجأة وبكل ما لديه من قوات على ارضروم . ولما بلغ خبره مسامع الجهات المختصة في الاستانة اصدرت تعليماتها الى صاحب الدولة محمد امين رؤوف باشا الصدر الاسبق والي منطقة ديار بكر بالتحرك لصد القوات ، وخولته باتخاذ ما يراه مناسباً لمعالجة الحالة ، فقام بالاستعدادات اللازمة وتهيأ للسفر . ثم أمدته بقوات اخرى من الاناضول وأوعزت الى والي الموصل ان يلتحق بها على رأس القوات التي تحت ادارته ، وأصدرت أمرها بالقبض على محمد الكتخدا واعدامه فوراً ، كما ارسلت فرماناً الى والي بغداد تخوله اتخاذ ما يراه ضرورياً فيما يتعلق بمواجهة الموقف ومعالجة ما يحدث من الطوارىء .

ولم تقع في منطقة العراق أية حادثة تعكر صفو الامن ، والحمد لله الذي أبعد عنا الحزن .



الفهرست

٢٠

وقائع سنة ١٢٠٤ ، سفر الوالي نحو مندلجين . العفو عن عبد الرحمن بيك اخي عثمان باشا . عزل ابرهيم باشا وتوجيه بابان و كوي وحرير الى عبد الرحمن بيك .	١٩٢
وقائع سنة ١٢٠٥ ، عودة ابرهيم باشا من ايران والعفو عنه . تحرك احمد كهية ضد الحاج سليمان بيك ومحمد كهية ، سفر سليمان باشا نحو حمدون لمحاربة ملّو تيمور .	١٩٣
وقائع سنة ١٢٠٦ .	١٩٦
وقائع سنة ١٢٠٧ ، عصيان سليمان بيك الشاوي وهجوم احمد كهية عليه	١٩٦
وقائع سنة ١٢٠٨ ، سفر احمد كهية ضد محسن شيخ الخزاعل ، عزل محسن المحمد شيخ الخزاعل وتوجيه المشيخة الى حمد الحمود .	١٩٧
وقائع سنة ١٢٠٩ ، مقتل الحاج سليمان بيك الشاوي . مجيء تيمور ملّو الى بغداد .	١٩٨
وقائع سنة ١٢١٠ ، توجه احمد كهية الى الحسكة ، سفر الوالي الى سامراء . قتل علي آغا الخزنه‌دار لأحمد باشا كهية .	١٩٩
وقائع سنة ١٢١١ ، مشيخة ثويني . ورود رتبة ميرمران لعلي كهية	٢٠٠
وقائع سنة ١٢١٢ ، وفاة حاكم ايران وتولي الحكم من قبل فتح علي خان احد ابناء اخوته . عصيان حمد الحمود شيخ الخزاعل وسفر علي باشا الكتخدا لمعاقبته . عزل عبد الرحمن باشا وتعيين ابرهيم باشا بدله . سفر علي باشا الى الجوازر .	٢٠٢
وقائع سنة ١٢١٣ ، تحركات الوهابيين والسفر نحوهم ، مقتل الشيخ ثويني شيخ المنتفك ، قيام حمود الثامر بالمشيخة .	٢٠٤
وقائع سنة ١٢١٤ ، غزوة علي باشا الكتخدا لعشائر عنيزة ، وغزوته لعشائر القشعم والدليم .	٢١٠

وقائع سنة ١٢١٥ ، سفر علي باشا نحو الخزاعل ، توجيه ولاية رها لتيمور آغا ملّو .	٢١٢
وقائع سنة ١٢١٦ ، سفر علي باشا نحو الهندية لمواجهة الوهابيين . سفره الى عفك وجليحة . حبس عبد الرحمن باشا واخيه سليم بيك ونفيهما الى الحلة وتوجيه مقاطعات كوي وحرير الى محمد بيك بن محمود كولي ، ظهور وباء الطاعون في بغداد وهجوم الوهابين على كربلاء .	٢١٣
وقائع سنة ١٢١٧ ، وفاة سليمان باشا والي بغداد وتوجيه الولاية الى علي باشا .	٢١٨
وقائع سنة ١٢١٨ ، عزل مراد خان حاكم العمادية وتعيين قباد باشا . قتل محمد بيك الشاوي والحاج عبدالعزيز بيك الشاوي وحبس ابنائهما وحبس الحاج احمد بيك بن الحاج سليمان بيك . سفر علي باشا لمقاتلة عشائر العبيد المتجمعين في الخابور .	٢٢٤
وقائع سنة ١٢١٩ ، غزوة ابي عوسج . قتل عبد العزيز الوهابي . سفر الوالي الى الحلة . ارسال حملة الى جبل شمر .	٢٢٦
وقائع سنة ١٢٢٠ ، عبد الرحمن باشا يقتل محمد باشا كولي ويعلن العصيان . سفر علي باشا نحوه . توجيه حاكمية بابان لخالد بيك بن احمد بيك ، وكوي وحرير لسليمان بيك بن ابرهيم باشا . سفر علي باشا نحو الحلة ، وارساله سليمان بيك الكتخدا نحو بني لام .	٢٢٨
وقائع سنة ١٢٢١ ، توجه علي باشا نحو ايران . خالد باشا يطلب المدد وسفر سليمان كهية نحوه ، سفر علي باشا الى الحلة وعودة سليمان كهية من طهران .	٢٣٤

وقائع سنة ١٢٢٢ ، سليمان كهية يعين ميرميران . وفاة السلطان سليم خان وجلوس السلطان مصطفى خان . قتل علي باشا وقيام سليمان باشا بالوكالة .	٢٣٨
وقائع سنة ١٢٢٣ ، توجيه ولايات بغداد والبصرة وشهرزور لسليمان باشا . وفاة السلطان مصطفى خان وجلوس السلطان محمود خان . توجه سليمان باشا نحو عبد الرحمن باشا . تحركات الوهابيين . عزل سليمان باشا من السليمانية وتعيين عبد الرحمن باشا . توجيه ولاية الموصل لأحمد افندي بن بكر افندي الموصلي .	٢٤١
وقائع سنة ١٢٢٤ ، سفر سليمان باشا نحو ديار بكر لمقاتلة عشائر سنجار وعربان الظفير . نفي عبدالله آغا الخزنه‌دار السابق وطاهر آغا الجوقدار . حرب احمد باشا وأمراء الموصل وقتله .	٢٤٥
وقائع سنة ١٢٢٥ ، وصول حالت محمد سعيد افندي مندوباً عن الدولة العلية . عصيان سليم آغا متسلم البصرة، عزل سليمان باشا ، مقاومة سليمان باشا لحالت محمد سعيد ومحمود باشا وعبد الرحمن باشا واتباعهم الذين تقدموا نحو بغداد لاحتلالها عنوة. مقتل سليمان باشا والي بغداد. قيام عبدالله آغا الخزنه‌دار السابق بالوكالة. وفاة محمود باشا متصرف الموصل .	٢٤٨
وقائع سنة ١٢٢٦ ، عزل عبد الرحمن باشا بعد حركة الميرزا محمد علي .	٢٥٢
وقائع سنة ١٢٢٧ ، عودة عبد الرحمن باشا الى السليمانية. سفر عبدالله باشا لمحاربة عبد الرحمن باشا . تحركات الشاهزادة محمد علي ميرزا لنصرة عبد الرحمن باشا . سفر عبدالله باشا نحو حمود الثامر شيخ المنتفك وانخذاله .	٢٥٥

وقائع سنة ١٢٣٥ ، تعيين الحملة على عشائر الدليم ، حبس محمد باشا ابن خالد باشا في كركوك وحبس خالد باشا وسليمان باشا آل ابرهيم باشا . ٢٩١

وقائع سنة ١٢٣٦ ، ورود عتاد من الدولة العلية الى بغداد . بعض الاصلاحات التي اجراها الوالي داود باشا . نصب مضخة لمتح المياه من نهر دجلة. تخطي الايرانيين للحدود واتخاذ الاحتياطات للدفاع. تقدم قوات الشاهزادة وتمرد الكتخدا محمد . ٢٩٣

وقائع سنة ١٢٣٧ ، وصول الشاهزادة محمد علي ميرزا بجيوشه الى دلي عباس بعاونه محمد الكتخدا. عودة الجيوش الايرانية ووفاة قائدها الشاهزادة . عودة الاحوال الى مجاريها الطبيعية . ٢٩٨

Kamaran Kurdewar

مطبعة كرم - بيروت



